الكثافة الشّعريّة

وتفاصيل السّرد في أدب سناء شعلان

(بنت نعيمة)

عبّاس داخل حسن

الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد
في أدب سناء شعلان (بنت نعيمة)

الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في أدب

سناء شعلان (بنت نعيمة)

عبّاس داخل حسن

الطّبعة الأولى

٢٠٢٣

Book Title The poetic profundity and narrative details in the literature of Sanaa Shalan “bint Na,ima”	عنوان الكتاب:الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في أدب سناء شعلان (بنت نعيمة)
First Edition2023	الطبعة الأولى2023
Abbas Dakhel Hassan	المؤلف:عبّاس داخل حسن
Book type:Critical book	نوع الكتاب :كتاب نقديّ
Number of pages :186	عدد الصفحات : ١٨٦
Filing number 2023 /6 /3336	رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٣٣٣٦/ ٦/ ٢٠٢٣)
ISBN 978-9957-545-57-4	الرقم المعياري الدولي (ISBN)978-9957-545-57-4
Descriptors Literary Criticism// Arabic Novels// Literary Works// Arabic Literature	الواصفات النقد الأدبي/ / الرّوايات العربيّة/ / الأعمال الأدبية/ / الأدب العربي
Author and publisher data Väinölänkatu 19B38 33500 Tampere Finland Hassan Abbas.Dakhel-00358456606168 altnoor62@gmail.com	بيانات المؤلّف والنّاشر : مركز التّنور الثقافي فنلندا- تامبرة ٣٣٥٠٠ عباس داخل حسن-٠٠٣٥٨٤٥٦٦٠٦١٦٨ altnoor62@gmail.com
Cover design:Asma Jaradat - Asma Office for Design and Directing	تصميم الغلاف:أسمى جرادات- مكتب أسمى للتصميم والإخراج

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنيّة أو أي جهة حكومية أخرى.**
- **تم إعداد بيانات الفهرسة والتّصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**
- **جميع حقوق الملكيّة الأدبيّة محفوظة للمؤلّف، ويُحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على أسطوانات ضوئية إلاّ بموافقة خطيّة منها.**

The author bears the full legal responsibility for the contents of this publication. This publication does not reflect the views of the National Library Department or any other government department.
The primary indexing and classification data was prepared by the Department of National Library.
All rights reserved to the author. No Part of this book may be reprinted, photocopied, translated or entered into a computer or translated into a disk without the permission of the author.

الفِهْرِستْ

العنوان	الصّفحة
الفِهْرِستْ	٥
إهداء	٧
مدخل خاصّ.	٩
مقدّمة لا بدّ منها.	١١
الباب الأوّل **الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في روايات سناء شعلان (بنت نعيمة).**	٤٥
١- البوح في رواية "أَدْرَكَهَا النّسيان".	٤٧
٢- رواية "السّقوط في الشّمس" وتيار الوعي في السّرد.	٥٩
٣- قراءة مضادّة في رواية "أَعْشَقُنِي".	٦٧
الباب الثاني **الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في قصص سناء شعلان (بنت نعيمة).**	٧٧
١- تجلّيّات العشق والكتابة في قصّة "نفس أمّارة بالعشق".	٧٩
٢- جماليّات الصّورة الحسيّة والأيروسيّة في قصّة "الضّياع في عيني رجل الجبل".	٨٩
٣- توثّيق الحلم الفلسطينيّ وتاريخه في المجموعة القصصيّة "تقاسيم الفلسطينيّ".	١٠٣
٤- دلالات المكان في المجموعة القصصيّة "حدث ذات جدار".	١١٣
٥- الحِجَاج في المجموعة القصصيّة "أكاذيب النّساء".	١٢١

الباب الثالث **الكثافة الشعريّة وتفاصيل السّرد في أدب الرّحلة عند سناء شعلان (بنت نعيمة).**	١٣٣
١- فتنة العجيب والغريب في "الطّريق إلى كريشنا" للدّكتورة سناء شعلان (بنت نعيمة).	١٣٥
٢- شواهق العشق: الصّعود إلى سماوات الملكوت: قراءة في رحلة سناء شعلان (بنت نعيمة) إلى كردستان العراق.	١٥١
٣- كوبا جزيرة السّيجار والرّومبا: رحلة في كوبا.	١٦٣
٤- رحلة مخضّبة بالحنّاء ومعطّرة بالخُمْرةَ: رحلات في السّودان.	١٧٣

إهداء

إلى طفلتي روحي: عُلا وروان

عبّاس داخل حسن

مدخل خاصّ

"أنا أحاول من خلال الكتابة أن أجد أولئك الرّجال والنّساء الذين يرغبون في العدالة والجمال؛ هؤلاء هم أبناء عالمي، وممّن يعشون فيه".

إدواردو غاليانو

مقدّمة لا بدّ منها [١]

تُعدّ الأديبة الأستاذة الدّكتورة سناء شعلان (بنت نعيمة) من الشّخصيّات الأكثر تأثيراً في الأردن، ومن الأديبات والشّخصيّات الباذخة الحضور في المشهد الثّقافيّ العربيّ والإنسانيّ كاملاً؛ فهي أستاذة جامعيّة في الجامعة الأردنيّة في حقل الأدب الحديث ونقده، وهي تحمل درجة الأستاذيّة الجامعيّة في تخصّصها الأكاديميّ، وهي زائرة لأكثر من جامعة عربيّة وعالميّة، ومراسلة أدبيّة لأكثر من مجلّة أدبيّة بأكثر من لغة.

هذا الحضور الزّخم والمقدّر جعلها تظفر بالمرتبة رقم ١٩ في الشّخصيّات المؤثّرة في الأردن في الاستفتاء الذي قام به تحالف اتّحاد منظّمات التّدريب الأردنيّة (Juthro) في الأردن في عالم ٢٠١٣، فضلاً عن حصولها على لقب "واحدة من أنجح ٦٠ امرأة عربيّة" ضمن الاستفتاء العربيّ الذي أجرته مجلّة "سيدتي" الصّادرة باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزية في عام ٢٠٠٨، فضلاً عن تكريمها والاحتفاء بها إبداعيّاً وأكاديميّاً في الكثير من دول العالم ومحافلها الأدبيّة والأكاديميّة والحقوقيّة والبحثيّة. [٢]

إنّ هذا الحضور والتّأثير والانتشار لم يأتِ هبة من السّماء، بل كان نتيجة كدٍّ إبداعيّ وأكاديميّ ومعرفيّ وعلميّ صنعته بتأنٍ من خلال إخلاصها وعشقها للكتابة بضروبها الإبداعيّة والمعرفيّة جميعها، كما تُرجمتْ أعمالها إلى كثير من اللّغات [٣]، وما تزال الكثير من أعمالها تحت مجهر التّرجمة والدّراسة والبحث العلميّ، لا سيما أنّ الكثير من المشاريع الجامعيّة والرّسائل والأطاريح الجامعيّة

قد استهدفتْ ترجمة إبداع سناء شعلان إلى أكثر من لغة [٤]، إلى جانب أنّ الكثير من المناهج الدراسيّة والجامعيّة والإبداعيّة والتّطويريّة قد اعتمدتْ نصوصها الإبداعيّة في مفرداتها.

لقد أغوتها القصص الأوّلى، وهي طفلة بنت السّادسة من العمر، وبمرور الأيام أصبحت الطّفلة المسحورة بالسّرد "شهرزاد" قصص الحبّ والعشق، ووقفتْ في الطّليعة في هذا الجنس الأدبيّ الضّارب الجذور في التّراث الإنسانيّ والعربيّ.

تعاظم شغفها بالقصص، وأبدعتْ فيها بمرور الأيام حتى بلغتْ مقاعد الدراسة الجامعيّة في الأردن في المستوى الأوّل، فأصدرتْ أوّل مجموعة قصصيّة منشورة لها (الجدار الزّجاجيّ)، وطُبعتْ هذه المجموعة على نفقة الجامعة الأردنيّة، وهذا لم يحصل من قبل ولا من بعد في تاريخ الجامعة الأردنيّة؛ إذ لا تطبع سوى الأعمال البحثيّة، ولا تطبع أبداً أيّ عمل إبداعيّ مهما علا شأنه أو شأن كاتبه؛ لكن جاء هذا الأمر بوصفه تكريماً لسناء شعلان، وإيماناً بموهبتها المميّزة التي سرعان ما لفتت الأنظار إليها؛ إذ إنّ مجموعتها القصصّية الثّانية (الكابوس) حصلتْ على الجائزة الأولى في حقل القصّة القصيرة للعام ٢٠٠٥ من جائزة الشّارقة للإبداع العربيّ/ الإمارات العربيّة المتحدة، ومن بعدها توالتْ الجوائز العالميّة والإقليميّة والعربيّة والمحلّيّة على سناء شعلان في حقل القصّة القصيرة وفي حقول الإبداع النّثريّ والبحث العلميّ النّقديّ.

لقد حصدتْ شعلان جوائز ودروع تمّيز وألقاب عديدة تليق بمنجزها الإبداعيّ، مثل: "سيّدة القصّة العربيّة"، وهو لقب أطلقه عليها العلاّمة العراقيّ الشّهير علي القاسميّ، ولقب "شمس الأدب العربيّ"، أطلقه عليها الإعلاميّ

الأردنيّ حسين المومنيّ، وأيقونة الأدب العربيّ، أطلقه عليها الإعلاميّ الأردنيّ محمد غنّام.

لقد رفدت القاصّة والرّوائيّة والرّحّالة والمسرحيّة والأستاذة الأكاديميّة د. سناء شعلان المكتبة العربيّة -حتى الآن- بنحو ٧٢ مؤلفاً منشوراً بين كتاب نقديّ متخصّص ورواية ومجموعة قصصيّة وقصّة أطفال ونصّ مسرحيّ ورحلة مع رصيد كبير من الأعمال المخطوطة التي لم تُنشر بعد، إلى جانب المئات من الدّراسات والمقالات والأبحاث المنشورة، فضلاً عن الكثير من الأعمدة الثّابتة في كثير من الصّحف والدّوريات المحليّة والعربيّة والعالميّة، وسيناريوهات المسلسلات والأفلام.

هذا الرّصيد العملاق حصد عدداً استثنائيّاً من الجوائز بلغ عددها -حتى الآن- ٦٥ جائزة عالميّة وعربيّة وإقليميّة ومحلّيّة، منها على سبيل الذّكر لا الحصر: جائزة العمل المسرحيّ المتكامل، وجائزة المثقّف العربيّ، وجائزة كتارا للرّواية العربيّة، وجائزة هيفاء السّنعوسيّ لكتابة المونودراما، وجائزة صلاح هلال الأدبيّة للقصّة القصيرة، وجائزة النّاصر صلاح الدّين الأيوبيّ، وجائزة منظّمة كتّاب بلا حدود، وجائزة كلاويز التّقديريّة للإبداع، وجائزة دبي الثّقافيّة للإبداع، وجائزة أحمد بوزفور للقصّة القصيرة، وجائزة معبر المضيق، وجائزة الشّيخ محمد صالح باشراحيل للإبداع الثّقافيّ العالميّة، وجائزة الكاتب الشّاب في المسرح، وجائزة ساقية الصّاوي الإبداعيّة في القصّة القصيرة، وجائزة أدب العشق لوكالة سفنكس للتّرجمة والنّشر، وجائزة شرحبيل بن حسنة للإبداع، وجائزة أنجال هزّاع آل نهيان لأدب الأطفال، وجائزة الكاتب الشّاب في القصّة القصيرة، وجائزة الشّارقة للإبداع العربيّ، وجائزة دار ناجي نعمّان للثّقافة،

وجائزة البجراويّة، وجائزة الدّكتورة سعاد الصّباح، وجائزة رابطة الأدب الإسلاميّ للقصّة القصيرة.

يحتوي منجز سناء شعلان على أربع مدوّنات رحليّة لا تخلو من رصد العشق وأساطير الحبّ في فلكلور وتراث الشّعوب التي كتبت بكثافة الشّعر وتفاصيل السّرد مثل رحلة: "الطّريق إلى كريشنا" التي فازت بجائزة ابن بطوطة لأدب الرّحلة/ الدّورة الحادية والعشرين للعام ٢٠٢٢، ورحلة إلى شواهق العشق: رحلات في إقليم كردستان العراق"، و"جزيرة السّيجار والرّومبا: رحلة في كوبا"، و"تغريبة الحناء والخَمرة: رحلات في السّودان".

يُذكر أنّ جلّ أعمالها تأخذ من العشق والحبّ موضوعاتها وثيماتها وركائزها الفلسفيّة والفكريّة والتّأمليّة الحالمة. يجب أن نذكر هنا أنّ التّأمل الشّارد، على عكس الحلم، لا يمكن سرده لنقل التّأملات الشّاردة، بل يجب أن نكتبها، وأن نكتبها بتأثّر، وبذوق، وأن نعيشها من جديد، أحسن من الثّابت، إنّها لدرجة ما قد ماتتْ، لكن حسنتها أنّها تبقى موجودة ما زالت موجودة تلك النّفوس التي تعبّر عن أنّ الحبّ هو اتّصال شعورين، وانصهار تأملين شاردين "إنّ القصّة بالأحرف تعبّر عن الحبّ بمازجة جميلة خليط من الصّور والمجازات، فقول حبّاً يجب كتابته، ولا نكتب كفاية أبداً مهما كتبنا.

كم من العشّاق يفتحون دفاترهم ما أنْ يعودوا من لقاءاتهم الغراميّة! إنّ الحبّ لم ينته يوماً في التّعبير عن نفسه، وكم هي جميلة تعبيراته؛ لأنّه شاعريٌّ هو موضوع الحبّ، أيّ موضوع الحلم.

كما أنّ تأمّلات روحين متوحّدين تحضر لذة الحبّ، ولا يرى الواقعيّ الذي ينظر إلى الشّغف بواقعيّة، الأجمل متلاشياً فيما أقول، لكن الحقيقة أنّها هي قصص الحبّ الكبيرة التي يتمّ تحضيرها في تأمّلات كبيرة، كما يتمّ بتر واقع الحبّ بانتزاعه من عدم واقعيته". (٥)

سناء شعلان السّاردة والرّحّالة والأكاديميّة والإعلاميّة والحقوقيّة والمثقّفة الفاعلة لم تكن في انقطاع عن جذورها الفلسطينيّة؛ فكتبتْ مجموعتين قصصيتين لا تقلاّن أهميّة عن بقية الأعمال التي كتبتها في العشق والحبّ، وقد كرّستْ هاتين المجموعتين للكتابة عن معاناة الفلسطينيّ في الدّاخل والشّتات، وهما المجموعتان المنشورتان: "تقاسيم الفلسطينيّ"، و"حدث ذات جدار"، مع الإشارة إلى أنّ هاتين المجموعتين قد صدرتا في طبعة عربيّة ثانية، كما صدرتا باللّغة الفارسيّة عن مؤسّسة (إفرا) الفارسيّة تباعاً في العامين ٢٠٢٢-٢٠٢٣، وأُشهرتا في معرض طهران للكتاب تباعاً في دورتي العامين ٢٠٢٣-٢٠٢٣، كما حصلتْ "تقاسيم الفلسطيني" على جائزة فلسطين العالميّة في حقل المجموعة القصصيّة المنشورة في العام ٢٠٢٢

أهمّ ما يميّز قصص سناء شعلان (بنت نعيمة) وسرديّاتها لغتها الشّاعريّة المتوقّدة والمكثّفة ذات العمق الدّلاليّ الخاصّ والنّسيج الفنّيّ الدّقيق والانبهار الفينومينولوجيّ للصّور الشّاعريّة وشجاعة البوح الأنثويّ والتّوق الجارف الذي تارة يأتي مباشراً، وتارة أخرى يأتي عبر الرّمز المؤنس، وهي تمارس لعبة التّشكيل السّرديّ بأشكال مختلفة، وأنماط دقيقة في الحبّكة ورسم شخصيّات قصصها، وترسم ملامحها ودواخلها وعمقها النّفسيّ من خلال التّدوير وتعدّد

الأبعاد وشعرنة الوصف بكشف هادئ وموحٍ بأدق التّفاصيل، حتى لو اخترقت التّابوات كلّها.

بصراحة هي تـذكّرنا بشـاعرات الأنـدلس، وتعيـدنا إلى أسـاطير الحـبّ الأوّلى وإشراقاته الجيّاشة بالعواطف والأيروس المقدّس.

هي تشتغل بوعي المثقّفة الفاعلة والمجدّدة بتجريب محكم، وتقود سفينتها، وتبحر في الواقع والحياة، وهي تقاوم الأمواج الهوجاء جميعها وتيـارات النّشـاز للجندرة وبغض المنع وتغوّل المتغوّلين، وتحـافظ علـى قلقهـا الإبـداعيّ النّبيـل، وهي تعرف أنّ المعرفة لا تضيّق على العارفين والمخيلة؛ لذلك فقد كانتْ عنواناً بارزاً في المشهد الإبداعيّ والأكاديميّ والثّقافيّ على الرّغم من المعوّقات والخيبات والانكسارات كلّها التي يعاني منها المثقف والمبدع العربيّ عموماً.

الأديبة سناء شعلان (بنت نعيمة) لديها إيمان يقينيّ بأنّ لا شـيء يخلـص هذا العالم من شقائه سوى الحبّ والجمـال، إنّـه عالمنـا المتنـاقض وغـير العـادل والفنتازيّ، والمتشابك والإشكاليّ إلى حدّ التّلاحم المأساويّ، ومن هنا يبدأ تيهنا الذي يبدو أنّه سيطول؛ لأنّنا كفرنا بالحبّ.

لعلّ إصرارها على أن تُلحق اسـم أمّهـا الأديبـة الرّاحلـة نعيمـة المشـايخ باسمها هو صورة مشرقة وجريئة وابتكاريّة للحبّ الذي تؤمن به، كمـا تكتبـه، ومن هذا المنطلق أكّدنا حبّها لأمّها بحبّنا لهذه الرّابطة المقدّسة بـين البنـت وأمّهـا عندما قام (مركز التّنور الثّقافيّ) بنشر كتاب (نحبّكِ يا نعيمـة: شـهادات إنسـانيّة ونقديّة بأقلام من عاصروها وأحبّوها)، كما أصدرنا طبعات جديدة من روايات سناء شعلان (السّقوط في الشّـمس)، و(أعشـقني)، و(أدركهـا النّسـيان) إهـداءً

لروح أمّها الرّاحلة نعيمة المشايخ التي أُتيح لي –لحسن حظّي– أن ألتقيها مطوّلاً في زيارتي للأردن في العام ٢٠١٩، حيث عرفتها عن قرب، وتأثّرتُ بها وبحنوّها وطيبة قلبها وإخلاصها لكلّ ما يخصّها، وعلى رأس ذلك أسرتها وقضيّتها الفلسطينيّة.

انطلاقاً من هذا الحبّ والوفاء والبرّ آثرتُ أنّ يحتضن عنوان كتابي هذا (الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في أدب سناء شعلان بنت نعيمة) اسم الابنة البارّة (سناء)، واسم الأمّ العظيمة الرّاحلة (نعيمة).

سناء شعلان تقاتل الظّلم والجهل والقبح بالكتابة الواعية مستقصية تخوم مشاعر الحبّ والعشق ويوتوبيا الأحلام المجنحة للإنسانيّة التي أرهقتها الحروب والهروب الجماعيّ من الأوطان "اللّجوء"، هذا كلّه يحصل بسبب الجشع والتّسلّط ومحاولة قلب معادلة هذا الواقع المترع بأنواع الرّثاثات كلّها، من خلال الكتابة، مثل تجميع ما يجري، وإعادة تفكيكه بإبداع وسمو دون مواربة؛ فهي لا تجامل بالأفكار التي تؤمن بها، وتصرّ عليها بشجاعة؛ فكانتْ نصوصها السّرديّة متّقدة بالعاطفة الإنسانيّة الأسمى "الحبّ" الذي يمثّل أقانيم الحقّ والعدل والجمال، ويخلّص الإنسانيّة من دنسها، ويبعث الطّمأنينة في النّفس، ويسبغ عليها وافر التّسامح الذي افتقدته في خضمّ معارك الحياة المتوحّشة بكلّ ما في كلمة توحّش من معنى.

من المفيد بمكان أن أتحدّث هنا عن الوجه الآخر للأديبة سناء شعلان (بنت نعيمة) في هذه المقدّمة، إضافة إلى ما نعرفه عنها من إنجازات، وما كُتب عنها من دراسات وأبحاث ونقد ورسائل وأطاريح جامعيّة ومقالات وكتب متخصّصة، إلاّ أنّ سناء شعلان (بنت نعيمة) الرّحّالة وما دونته من رحلات لها

مع أمّها الرّاحلة نعيمة المشايخ لم يتناوله أحد على الإطلاق -حتى هذه اللّحظة- بدراسة مستفيضة متعمّقة؛ لهذا خصّصتُ باباً كاملاً في هذا الكتاب عن مدوّناتها الرّحليّة المكتوبة بلغة شعريّة مكثفة ومزدانة بتفاصيل السّرد ودقّة الالتقاط وجرأة المغامرة، وبقيتْ بعيدة عن القارئ غير المتخصّص في الأدب، وربما أغفلها مَنْ كَتَبَ عن منجز سناء شعلان الضّخم بمكان يبدو محيّراً أحياناً، ويشعر المرء بالعجز عن قول ما يرغب فيه، أو ما يريد قوله، أو بالعجز عن أيّ وجه ينبغي الكتابة عن روائيّة وقاصّة ورّحّالة وناقدة وأكاديميّة ومسرحيّة وحقوقيّة وكاتبة للأطفال وناقده جذّابة الحضور في المشهد الإبداعيّ، وهي من لا تخلو من الإشكاليّة والمشاكسة والتّمرد لأسباب كثيرة، منها: جرأتها في البوح والدّفاع عن حقوق المرأة والطّفل والفقر ومقارعة التّابوات والقمع السّلطويّ في المحافل الدّوليّة جميعها، وفي المناسبات التي تحلّ ضيفة شرف عليها، أو مشاركة بمتون بحثيّة يشيد بها كلّ مَنْ حضر تلك المؤتمرات في أمريكا والهند واستراليا والوطن العربيّ وأوروبا، وغيرها من أصقاع الدّنيا.

الأستاذة الدّكتورة سناء شعلان (بنت نعيمة) تحمل درجة الأستاذيّة (برفيسورة) في الأدب الحديث ونقده من الجامعة الأردنيّة، كما هي أستاذة جامعيّة معروفة ومرموقة على الرّغم من أنّها تنتمي إلى جيل الشّباب، وقد حققتْ نجاحها بامتياز منذ أن كانتْ على مقاعد الدّراسة، فقد كانتْ تبحث عن الجديد والابتكار والتّجريب والتّحدي، وقد منحت المكتبة العربيّة رسالة ماجستير بعنوان "السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن١٩٧٠- ٢٠٠٢"، وأطروحة دكتوراه بعنوان "الأسطورة في روايات نجيب محفوظ".

هذه الرّسالة وهذه الأطروحة تُعدّان اليوم من المصادر المهمّة في الأدب العربيّ في موضوعهما، وهما مطبوعتان في أكثر من طبعة، ومتوفّرتان في المكتبات الورقيّة والالكترونيّة، ومعتمدتان لطلبة الدّراسات الدّنيا والعليا في كليات الآداب العربيّة في كثير من أصقاع الدّنيا، فضلاً عن أنّها بعد ذلك قد صدّرت الكثير من الكتب النّقديّة المتخصّصة في قضايا نقد الرّواية والقصّة القصيرة والشّعر الحديث وأدب الأطفال والمسرح والأدب المقارن والملاحم الأدبيّة، نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر: السّراب وأهزوجة النّور: دراسات نقديّة في الأدب المعاصر، والدّواني والغواني: غصون في الأدب المعاصر ونقده، وترنّم الصّوت وثورة الصّدى: دراسات نقديّة في إبداعات معاصرة، So Close, Much Farther: Studies in Criticism

كذلك شاركتْ شعلان في فصول نقديّة متخصّصة في كتب نقديّة جامعة لأكثر من قلم نقديّ وأكاديميّ، نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر: المشاركة بفصل نقديّ بعنوان "الفجيعة عند علي السّباعيّ في مجموعته القصصيّة: إيقاعات الزّمن الرّاقص" في كتاب "المنجز الإبداعيّ في ذي قار لسانيّاً ونقديّاً: القسم الثّاني: التّحليل السّرديّ"، ط١، تحرير الدّكتور خالد حوير الشّمس، مؤسّسة دار الصّادق الثّقافيّة، بغداد، العراق، ٢٠٢٢، والمشاركة بمقالتين في كتاب "عاصفة من الحقائق"، يوسف مسمار، كوريتبيا، البرازيل، ٢٠٢٢، والمشاركة بفصل نقديّ بعنوان "دوائر الألم ومقطوعات الحزن في سيمفونيّة الرّماد" في كتاب "سيمفونيّة الرّماد في مرايا المثقّفين: قصّة+ ١٥ دراسة كُتبتْ عنها"، قصّة الأديب محمد رشيد، وإعداد الكاتب أحمد بالحمر وتقديم د, عبد الحسين شعبان، دون دار نشر، العراق، ٢٠٢١، والمشاركة بفصل بعنوان "السّرد الجميل لتأثيث عالم قبيح" في كتاب بعنوان "حنون مجيد في منجزه القصصيّ"، جمع وإعداد وتحرير د. سمير

الخليل، دار أمل الجديدة، دمشق، سوريا، ٢٠١٨، والمشاركة بفصل بعنوان "لقاء مع العلامة علي القاسميّ: أبو المعاجم العربيّة الحديثة" في كتاب "الدّكتور علي القاسميّ سيرة ومسيرة: مجموعة بحوث ودراسات مهداة إليه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسّبعين"، جمع وإعداد د. منتصر أمين عبد الرحيم، دار الوفاء، الإسكندريّة، مصر، ٢٠١٧، والمشاركة بفصل بعنوان "عبد الكريم غرايبة العملاق الذي ينير الدّرب للجميع" في كتاب "عبد الكريم غرايبة مؤرّخاً عربيّاً، منشورات جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة، عمّان، الأردن، ٢٠١٤، والمشاركة بفصل بعنوان "مساحة التّوتّر بين الانتظار والخيبة عند القاصّ العراقيّ فرج ياسين في مجموعته القصصيّة "واجهات برّاقة" في كتاب "في آفاق النّصّ القصصيّ: مقاربات في الهويّة والنّصّ والتّشكيل عند فرج ياسين"، دار تموز للنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٣، والمشاركة بفصل بعنوان "البطل في قصص زياد أبو لبن" في كتاب "القصّة القصيرة في الوقت الرّاهن"، دار أزمنة للنّشر والتّوزيع بدعم من وزارة الثّقافة الأردنيّة، الأردن، ٢٠١١، والمشاركة بفصل بعنوان "الذين لا يموتون" في كتاب المبدع الرّاحل محيي الدّين زنكنه بأقلام أصدقائه، دار سردم للطّباعة والنّشر، السّليمانيّة، العراق، ٢٠١٠، والمشاركة بفصل بعنوان "الفنتازيا رداءً للتثوير في التّجربة القصصيّة عند محيي الدّين زنكنة" في كتاب "نظرات نقديّة في عالم محيي الدين زنكنة الإبداعيّ"، مؤسّسة كلاويز ضمن منشوراتها لمهرجان كلاويز في دورته الرّابع عشرة، مركز كلاويز الثّقافيّ والإبداعيّ، السّليمانيّة، إقليم كردستان العراق، العراق، ٢٠١٠، والمشاركة بفصل بعنوان "شهادة إبداعيّة للأديبة الأردنيّة سناء شعلان" في كتاب "دراسات نقديّة عن الأدب الكرديّ"، منشورات اتّحاد الأدباء الكرد، دهوك، كردستان العراق، العراق، ٢٠١٠،

والمشاركة في فصل إبداعيّ في مؤلّف جماعيّ في إطار سلسلة "الثّقافة بالمجّان من دار نعمّان للثّقافة"، دار نعمّان للثّقافة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦

فضلاً عن أنّها نشرت مئات الدّراسات والمقالات والأبحاث العلميّة المحكّمة الرّصينة التي نُشرت في مجلّات عالميّة ذات تصنيفات مرتفعة باللّغة العربيّة والإنجليزيّة والإسبانيّة والفرنسيّة، نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر:

- The image of Jordanian society according in Ahmed Hassan Al-Zu'bi satirical writings.
- Political Alienation in the Jordanian Short Story: Selected Models.
- Legendizing of The Hero in (The Epic of Gilgamesh.
- The implications of fear, their consequences, and endings in the writings of Jordanian novelist Ahmed Mansour Az Zu'be in his novel: "Sommon, Bokmon, Umyon".
- The formation of fear and its symbols in Ahmed Mansour Al-Zoubi's (the castration) and (Behind the Hyena**.**
- Man's character Rebellion in Naguib Mahfouz's:Novels: Selected Forms.
- The symbolism of salvation in (Ashour Al-Naji), (Al-Jablawi) and (Sayed Sayed Al-Rahimi) novels.
- Estrangement in Fadia Faqir's My Name is Salma.
- Fantasy Structure in Mo'nis Al-Razzaz's Novels: The Labyrinth of Bedouins in the Mirage Skyscrapers, When Dreams Wakes Up and Sultan of Sleep and Zarqa Al-Yamamah.
- Saeed's, the protagonist, character in a comparative analysis in: Saeed Abi Al-Nahs the Pessoptimist "Al Mutasha'l" (Habibi, ٢٠٠٦) and Guardian of the Lost City "Haris Al Madena Ad Die'aa" (Nasrallah, ١٩٩٨) novels.

- The fantasy of a man's character in Najeeb Mahfouz's novels: Selected Examples.
- The narrative mockery of the traitor's character to his homeland: (Saeed the Luckless Pessoptimist) as a model.
- LA PRODUCCIÓN TEXTUAL Y ARTÍSTICA FEMENINA: EL "YO", EL "OTRO" Y EL CONFLICTO. UN ESTUDIO COMPARATIVO: LA BIOGRAFÍA DE FADWA TOUKAN, "RIHLA JABALIYA RIHLA SAABA", Y LA BIOGRAFÍA DE ISABEL ALLENDE, "PAULA", EJEMPLO.
- LA VISIÓN Y LA CONFIGURACIÓN A TRAVÉS DEL DESTELLO POÉTICO EN EL POEMA "SETENTA VENTANAS ITINERANTES" DEL POETA KURDO SHERKO PEAKS.
- La experiencia del amor en la obra de Pablo Neruda y Nizar Qabbani: Un estudio comparativo entre los dos poemarios: "Veinte poemas de amor y una canción desesperada" y "Cien cartas de amor.
- Fantasy worlds in the novel of: (Ahramian) by Jordanian novelist Ghassan El Ali.
- Sexual motivation as a tool to incriminate women in the story of: The Scheming of Women and Their Snare is Mighty, in A Thousand and One Nights.
- Experimentation in the Jordanian Novel: Fantasy Narrative as a Path
- LA DESGRACIA EN LA COLECCIÓN DE CUENTOS "LOS RITMOS DEL
- TIEMPO BAILADOR" DE ALI AL-SIBAI.
- El conjunto exótico y maravilloso en Don Quijote y Alutachael.
- UN ENFOCQUE COMPARATIVO DE LA FORMACIÓN DEL AMOR EN LAS CARTAS AMAROSAS DE GHASSAN KANAFANI Y SIMÓN BOLÍVAR *A COMPARATIVE APPROACH OF FORMING LOVE IN THE LOVE LETTERS OF GHASSAN KANAFANI AND SIMÓN BOLÍVAR.*

جدير بالذّكر أنّ الدّراسات النّقديّة والبحثيّة للدّكتورة سناء شعلان تنطوي على درجة بالغة من الأهميّة؛ وما الكمّ الهائل لاعتمادهما من قبل المختصّين والدّارسين إلاّ دليل قاطع على ذلك.

لا يفوتنا الذّكر في هذا الصّدد أنّ نشير إلى أنّ المنجز الإبداعيّ لسناء شعلان (بنت نعيمة) قد حرّض أقلام الباحثين والدّارسين والنّقّاد لدراسة أدبها بشكل مستفيض؛ يجعلني أقول بثقة أنّها تكاد تكون صاحبة حظّ الأسد في الدّراسات النّقديّة المعاصرة، لا سيما أطروحات الماجستير والدّكتوراه وما بعد الدّكتوراة [٦]، إلى جانب عدد كبير من الدّراسات والأبحاث المنشورة والمبثوثة في كلّ مكان، لا سيما الأبحاث الذي درستْ إبداعها، وتمّ تقديمها في مؤتمرات أكاديميّة علميّة محكّمة ورصينة. [٧]

أودّ التّنويه أيضاً إلى نشاط الدّكتورة سناء شعلان في التّنمية البشريّة والأعمال الخيريّة التي تساهم بها سواء من خلال جهودها الفرديّة أم من خلال منظمات المجتمع المدنيّ والمنظّمات الإنسانيّة المتنوعة، وهو جهد مستمرّ من لدنها، ولها عدد من المبادرات الإنسانيّة البيضاء، كما لها محاضرات ومقابلات تلفزيونيّة عديدة في التّنميّة البشريّة والمهارات الشّخصيّة، وقد تُوّج هذا الجهد الإنسانيّ المتميّز بأن نالتْ في مطلع العام ٢٠٢٣ منصب الرّئيس الفخريّ لمنظّمة السّلام والصّداقة الدّوليّة، منظّمة السّلام والصّداقة الدّوليّة، الدّنمارك والسّويد، بعد حصولها في العام ٢٠١٤على نجمة السّلام بعد جهودها المتميّزة في المناصب التي شغلتها في المنظّمة على امتداد سنوات، ومن أبرزها: عضو ومندوبة دوليّة في منظّمة السّلام والصّداقة الدّوليّة (الدّنمارك والسّويد)، والنّاطقة الرّسميّة باسم منظّمة السّلام والصّداقة الدّوليّة في مملكة الدّنمارك، والنّاطقة الرّسميّة

باسم منظّمة السّلام والصّداقة الدّوليّة في السّويد، وسفيرة دوليّة للسّلام في منظّمة السّلام والصّداقة، منظّمة السّلام والصّداقة (الدّنمارك والسّويد).

أعتقد أنّنا في حاجة إلى مثل هذه الإضاءات المهمّة جدّاً في تنمية مجتمعاتنا العربيّة الفقيرة ثقافيّاً وتنمويّاً.

كذلك يُذكر لسناء شعلان اهتمامها بأدب الأطفال، وتميّزها فيه؛ فلها الكثير من قصص الأطفال المنشورة، أهمّها ما نُشر منها ضمن مشروع قصص الأطفال المصوّرة (الذين أضاءوا الدّرب)، مثل قصّة: "زرياب: معلّم الناس والمروءة"، و"هارون الرّشيد: الخليفة العابد المجاهد"، و الخليل بن أحمد الفراهيديّ: أبو العروض والنّحو العربيّ"، و"ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحيي السّنّة"، و"اللّيث بن سعد: الإمام المتصدّق"، و"العزّ بن عبد السّلام: سلطان العلماء وبائع الملوك"، و"عبّاس بن فرناس: حكيم الأندلس"، وقد نالتْ هذه المجموعة أكثر من جائزة منها: جائزة شرحبيل بن حسنة للإبداع للعام ٢٠٠٨، وجائزة دار ناجي نعمّان للثّقافة عن السّيرة الغيرية للأطفال للعام ٢٠٠٦

كذلك نالتْ قصّة الأطفال المصوّرة (صاحب القلب الذّهبيّ) جائزة أنجال هزّاع بن زايد آل نهيان لأدب الطّفل للعام ٢٠٠٧، وصدرت الطّبعة الأولى منها عن مؤسّسة الجائزة (مؤسّسة هزّاع بن زايد آل نهيان) الإماراتيّة في العام ذاته.

كما كتبتْ سناء شعلان في حقل رواية الأطفال والفتيان، ومن أشهر ما كتبتْ في هذا الحقل رواية (أصدقاء ديمة) التي نالتْ جائزة كتارا للرّواية العربيّة، فئة رواية الفتيان غير المنشورة للعام ٢٠١٨، ونشرتها الجائزة في طبعتها الأولى في العام ٢٠١٩، كذلك شرعتْ دار كتارا للنّشر والتّوزيع في إصدار رواية

(أصدقاء ديمة) في طبعة خاصّة بلغة (بريل) للمكفوفين بالتعاون مع مركز النور للمكفوفين، بعد أن تمّ أصدرتْ دار كتارا للنّشر والتّوزيع نسخة من رواية (أصدقاء ديمة) بشكل صوتيّ ضمن مشروع "مشوار وراوية".

أمّا في مجال المسرح للأطفال، فقد كانتْ لسناء شعلان الكثير من الإسهامات فيه؛ إذ كتبتْ، وأخرجتْ الكثير من المسرحيّات للأطفال، مثل: "اليوم يأتي العيد"، و"رحلة مع المعلّمة فرحة"، و"المقامة المضيرية"، و"عيسى بن هشام مرة أخرى"، و"العروس المثالية"، و"الأمير السعيد"، و"أرض القواعد"، و"من غير واسطة"، وغيرها من المسرحيّات.

لقد اهتمّ الباحثون والمترجمون بأدب سناء شعلان للأطفال، كما اهتموّا بكلّ ما خطّتْ أناملها من إبداع؛ فترجموا كثيراً من قصصها ومسرحيّاتها ورواياتها للأطفال لكثير من اللّغات، كما كانتْ هذه الإبداعات هدفاً وموضوعاً للدّراسات البحثيّة المتنوّعة. (٨)

هذه إضاءات مقتضبة حاولتُ أن أشير بها إلى محطات متفرّقة من عطاء الأديبة سناء شعلان (بنت نعيمة) وثراء تجربتها الإبداعيّة الواسعة جدّاً ونتاجها السّرديّ الذي عُنيتُ بالكتابة عن بعضه؛ إذ أخضعته لقراءتي الخاصّة.

في هذا الشّأن أشير إلى أنّ القراءة تعتمد على أنماط ثقافيّة وجوديّة سيسولوجيّة وتاريخيّة خاصّة بكلّ قارئ وبمخيلته، وبالتّالي يخلص القارئ لما يعتقده؛ لهذا نحاول تأدية وظيفة أدائيّة نقديّة متوازنة بالقراءة عن منجز أيّ كاتب أو فنّان مبدع، وخلق صورة تقييميّة عن المنجز الإبداعيّ دون الاعتماد على التّكرار والنّمطيّة.

يبقى الأمر متروكاً للمتلقي في الأحوال كلّها للوصول إلى فهم مشترك قدر الإمكان لتقييم الجمال والإدهاش الذي تحتويه النّصّوص بتصنيفاتها الإبداعيّة كلّها بوصفها منتج إبداعيّ سيموطيقيّ، أو كما يعبّر عن هذا الفهم رولان بارت حين يقول: "إن ما كان يفتنني طوال حياتي هي الطّريقة التي يستخدمها البشر لجعل عالمهم قابلاً للفهم". "هذا الفهم بحاجة إلى قراءة أفقيّة وعاموديّة وإيجاد توازناً كميّاً ونوعيّاً قدر الإمكان عبر السّيموطيقيا التي تساعدنا على فهم نشاطاتنا الإنسانيّة المختلفة من خلال اللّغة الدّليل الوحيد المتاح، وكلّما كانت قراءتنا السّيموطيقيّة موفّقة، تجدّد افتنانا، وتجدّدتْ طاقة دهشتنا بالتّعامل ضدّ ما هو مملّ ونمطيّ ومناوئ يبعث على السّأم واللاّمعنى واللاّفهم".

الحبّ والعشق وحدهما يصنعان الافتنان والحميميّة مع الأشياء المحيطة بنا والوجود. وما يزال القرّاء لم يكفّوا عن قراءة ألف ليلة وليلة وأعمال شكسبير وجبران خليل جبران عبر الأجيال، في حين بقيت الأعمال الأدبيّة الأخرى خالدة؛ لأنّها قصص عشق وحبّ بالدّرجة الأولى.

بهذا المبدأ أحرص على قراءة أعمال الدّكتورة سناء شعلان (بنت نعيمة) وفهمها ونقدها جماليّاً وبنيويّاً وتفكيكيّاً متمنيّاً الوصول إلى جوانيّات هذه النّصّوص، وما تنطوي عليه من إدهاش وخيال يثير فينا الانفعال الجماليّ الذي يمنحنا اللّذة والمتعة، ونختلج وجدانيّاً؛ لأنّ النّصّوص الأدبيّة هي نصوص وجدانيّة بالمقام الأوّل، لكن الفكر والفهم يظهران في النّظام الطّبيعيّ للأشياء والنّصوص والأعمال الفنّيّة.

الأديبة سناء شعلان (بنت نعيمة) في نصوصها وأعمالها كلّها تحاول تشكيل الوعي المشترك للنّساء والرّجال النّازعين نحو الحرّيّة والعدالة والمساواة

والجمال، وهذا النّزوع العارم يحتاج إلى تجسيد في السّلوك والعمل، وهي تفعل ذلك في يوميّاتها وحضورها في حلّها وترحالها بين العواصم والمدن القريبة والقاصية، وهي تبشّر بحبّ المتصوّفة الأوائل بعشقهم الإيمانيّ الطّاهر وروحهم المتقشّفة والمتسامحة الذي لا يمكن للوجود أن يستمرّ من دونها مهما حاولت الإنسانيّة، وكابرتْ، وتجبّرتْ، وعتتْ بغلواء مجانينها من الحكّام المتسلّطين وأصحاب الكروش المتخمة والكافرين بنعمة العشق والحبّ.

سناء شعلان (بنت نعيمة) تحاول تخليصنا من التّململ اليوميّ المدنّس؛ لتفتح لنا نافذة من خلال اللّغة والتّحليق على آفاق بعيدة عن الواقع الآيل للسّقوط وإعادة بنائه بخيال يعيد للوجود قيمته التي يستحقّها.

بنيتُ هذا الكتاب النّقديّ على ثلاثة أبواب رئيسيّة هي؛ الباب الأوّل: الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في روايات سناء شعلان (بنت نعيمة)، والباب الثّاني: الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في قصص سناء شعلان (بنت نعيمة)، والباب الثّالث: الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في أدب الرّحلة عند سناء شعلان (بنت نعيمة)، وأجّلت الحديث عن كتاباتها في أدب الطّفل والمسرح والفنون النّثريّة الموازية إلى مشروع قادم مأمول.

الإحالات:

١- انظر سيرة حياة د. سناء شعلان (بنت نعيمة) في: كتاب باللّغتين العربيّة والفارسيّة بعنوان "نظرة على السّيرة العلميّة والأدبيّة للدكتورة سناء شعلان""زنگاهي به زندگي‌نامه علمي و ادبي دكتر سناء شعلان، بقلم سمانه موسى بور، ط١، الارتقاء بالفكر المنشورات، ط١، قم، إيران، ٢٠٢٢، ص١٥-١٧؛ فصل تعريفي بسناء شعلان في معجم القاصّين والرّوائيين الأردنيين، بقلم محمد المشايخ، ط١، عمّان، الأردن، ٢٠١٩، ص ١٤٠-١٤١؛ فصل تعريفيّ بسناء شعلان في كتاب "دليل الكاتب الأردنيّ"، محمد المشايخ، ط١، عمّان، الأردن، ص ٣٥١- ٣٥٣؛ فصل تعريفي بسناء شعلان في معجم الأدباء الأردنيّين في العصر الحديث، وزارة الثّقافة الأردنيّة، ط١، عمّان، الأردن، ٢٠١٤، ص١٤٠-١٤١؛ فصل تعريفي بسناء شعلان في كتاب "دليل آفاق حرّة للأدباء والكتّاب العرب"، محمد صوالحة ومحمد فتحي المقداد، ط١، ج١ عمّان، الأردن، ٢٠٢٠، ص١٠٠-١٠٥؛ فصل عن سيرة سناء شعلان الإبداعيّة والأكاديميّة والإنسانيّة في "معجم أعلام النّساء الفلسطينيّات"، غريد الشّيخ، ط١، دار النّخبة للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ٢٠٢١، ص١٧٠-١٧٢؛ فصل عن تجربة سناء شعلان الإبداعيّة في كتاب "لقاءات تحت أشعة الحروف المشرقة"، للإعلاميّ سردار زنكنة، منشورات اتّحاد أدباء كورد، فرع كركوك، العراق، ٢٠١١، ص ١٢٨- ١٣٥؛ عدد خاصّ عن أدب الرّحلات عند نعيمة المشايخ وابنتها سناء شعلان في الهند وكشمير في العدد التّاسع للعام السّادس، مجلّة (المشاهد) الهنديّة، مجلس الثّقافة والمعارف، الجامعة العليميّة، بلدة جمدا شاهي، مديرية بستي/ الهند، ٢٠٢١؛ عدد خاصّ عن نعيمة المشايخ وعن ابنتها د. سناء شعلان بمناسبة رحيل نعيمة المشايخ إلى بارئها، مجلّة (هلال الهند)، العدد ٣، نيودلهي، الهند، سبتمبر ٢٠٢١، شارك فيه عدد كبير من الأدباء والنقّاد والباحثين والأكاديميين من سائر أنحاء العالم؛ عدد خاصّ وحصريّ عن الأديبة الرّاحلة نعيمة المشايخ أمّ سناء شعلان بأقلام من عاصروها وأحبّوها، مجلّة (كاليكوت) الهنديّة، قسم اللّغة العربيّة، جامعة كاليكوت، كيرالا، الهند، ٢٠٢٢

٢- من التّكريمات والاحتفاءات المحليّة والعربيّة والإقليميّة والعالميّة لسناء شعلان على سبيل الذّكر لا الحصر: تكريم في حفل خاصّ برعاية رئيس الجامعة الأردنيّة معالي الأستاذ الدّكتور نذير عبيدات لحصولها على جائزة فلسطين العالميّة للآداب للعام ٢٠٢٢+ منجزها الإبداعيّ والأكاديميّ؛ حاصلة على تكريم من منظّمة السّلام والصّداقة الدّوليّة (PEACE ANDFRIENDSHIP INTERNATIONAL ORGANIZATION)على مجمل منجزها الإبداعيّ والأكاديميّ والإنسانيّ؛ لدورها الثّقافيّ في دعم الإنسانيّة وحقوق الإنسان، وحاصلة على تكريم من مبادرة (نشميّة وطن) في دورتها العاشرة على مجمل منجزها الإبداعيّ والأكاديميّ والإنسانيّ، وحاصلة على لقب (سفيرة الكلمة) من الاتّحاد الدّوليّ للقادة والمبدعين العرب لجهودها المبذولة في نشر السّلام والأمن العالميّ وترسيخ مفهوم الإنسانيّة في الوطن العربيّ، وحاصلة على وسام (القيادة والإبداع) من الاتّحاد الدّوليّ للقادة والمبدعين العرب لعطائها الأدبيّ والإنسانيّ وتأثيرها في الوطن العربيّ، وذلك على هامش فعاليّات المؤتمر الدّوليّ للقادة والمبدعين العرب (كن ذا أثر)، وحاصلة على لقب (عميدة الثّقافة العربيّة في الأردن)، وحاصلة على تكريم بـ(درع العطاء المتميّز) في يوم المرأة العالميّ، من قامات ومنارات أدبيّة، وحاصلة على تكريم من ملتقى مأدبا الثّقافيّ وملتقى أحباب مأدبا الثّقافيّ، وحاصلة على تكريم مدير دائرة المكتبات العامّة في إطلاق برنامج "كتاب ومبدع وقارئ" في حفل إشهار "سيلفي مع البحر"، ودرع تكريميّ من بيت الثّقافة والفنون على تميّزها الإبداعيّ والبحثيّ والأكاديميّ، وحاصلة على تكريم من الجامعة الأردنية في الحفل السّنويّ الأوّل لتكريم الباحثين المتميّزين في الجامعة الأردنيّة للعام ٢٠١٩، وحاصلة تكريم من منارة العرب للثقافة والفنون لجهودها في إثراء الحركة الأدبية، وحاصلة على تكريم من جامعة العلوم الإسلاميّة العالميّة، وحاصلة على تكريم نادي الجسرة الثّقافيّ والاجتماعيّ بدرعه على جهودها الإبداعيّة والأكاديميّة، وحاصلة على تكريم من رئيس الجامعة الأردنيّة عبد الكريم القضاة، وجمعيّة التّجديد للثّقافة والإعلام، على جهودها الإبداعيّة والأكاديميّة، وحاصلة على تكريم على منجزها الإبداعيّ والأكاديميّ وعلى إدارتها لقسم الأدب

في منارة العرب للثّقافة والفنون، وحاصلة على تكريم من المؤتمر التّربويّ الثّاني: كلّ معلّم معلّم لغة"، وحاصلة على درع تكريميّ بوصفها عضو هيئة تحكيم المسابقة الثّانية لنظم وإلقاء الشّعر لجمعيّة الأيدي الواعدة بالتّعاون مع مدرسة اليوبيل، وحاصلة على تكريم تيار التّجديد الثّقافيّ الأردني بمناسبة حصولها على جائزة كتارا ٢٠١٩، وحاصلة على تقدير من الدّرجة العليا مع مرتبة الشّرف من مؤسّسة عرار العربيّة للإعلام، وحاصلة على تكريم لها لفوزها بجائزة كتارا من جمعيّة الفيحاء ومن منارة العرب للثّقافة والفنون، وحاصلة على تكريم ودرع وزارة الثّقافة والشّباب الأردنيّة بمناسبة حصولها على جائزة كتارا في الرّواية العربيّة، وحاصلة على تكريم من مبادرة "شكراً لها التّقديريّة للنّساء الرّياديّات المتميّزات" على جهودها العلميّة والإبداعيّة والعلميّة، وحاصلة على تكريم من الورشة الإبداعيّة للطّلبة الفائزين على مستوى المملكة الأردنيّة الهاشميّة في مسابقة الإبداع الأدبي (الشّعر والقصّة والمقالة والخطابة)، وحاصلة على تكريم في مبادرة "أكرموهم" للأمّ المثاليّة بمناسبة عيد الأمّ، وحاصلة على تكريم من جمعيّة وادزا المغربيّة للثّقافة والإبداع والتّنمية، وحاصلة على تكريم في جامعة جواهر لآل نهرو بالتّعاون مع مركز الدّراسات العربيّة والإفريقيّة، وحاصلة على درع التّميّز من وكالة الحدث الدّوليّة في بريطانيا، وحاصلة على تكريم من الجمعية الثّقافيّة للشّباب والطّفولة، كما أُختيرتْ امرأة الأسبوع في برنامج سيدتي، قناة روتانا الخليجيّة، وحاصلة على تكريم برعاية ملكية/ الأميرة آية بنت فيصل بمناسبة عيد الأمّ، وحاصلة على لقب الأمّ المثاليّة المختارة من قبل مجلس الكتّاب والأدباء والمثقّفين العرب، كذلك عُقد مؤتمر عن أدب سناء شعلان تحت عنوان "الرّواية العربيّة والتاريخ: آسيا جبّار وسناء شعلان"، في جامعة معسكر الجزائريّة، وحاصلة على تكريم من أسرة نجوم العربيّة، وتكريم من الأستاذ الدّكتور عبد القادر الخالديّ رئيس جامعة معسكر في الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة، وحاصلة على درع وتكريم من حزب مصر المستقبل المصريّ في مهرجانه السّنويّ تقديراً لدورها في العمل العامّ الخدميّ والاجتماعيّ، وحاصلة على الدّرع التّكريميّ للسّفارة العراقيّة في الأردن، وحاصلة على تكريم ووثيقة شكر من السّفير

البلغاريّ في عمّان "ألكسندر كوفاتشيف" على جهودها في دعم الثّقافة البلغاريّة والتّواصل معها، وأُقيم لها مهرجان تكريميّ في ثانوية الفحيص للبنات بمشاركة رسميّة من وزارة التّربية والتّعليم الأردنيّة، وحاصلة على درع الملحقيّة الثّقافيّة العراقيّة تقديراً لدعمها للأدب العراقيّ والكرديّ، وحاصلة على درع مهرجان الفحيص في دورته الثّانية والعشرين، وحاصلة على درع المنبر الثّقافيّ لخالد شفيق المنيزل، وحاصلة على درع وزير الثّقافة العراقيّة للتّميّز والإبداع، وحاصلة على درع مهرجان كلاويز للتّميّز في دورته السّادسة عشرة، وحاصلة على درع جامعة الشّرق الأوسط، ودرع "النّجوم" الاستراليّ للتّميّز الإبداعيّ والإعلاميّ، وحاصلة على درع تكريميّ وأمسية قصصيّة من نادي الوحدة الاجتماعي والثّقافيّ والرّياضيّ، وحاصلة على درع الجامعة الأردنيّة لعضو هيئة التّدريس المتميّز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٧، والعام ٢٠٠٨ ، والعام ٢٠٠٩، وحاصلة على درع تكريميّ لها من رابطة الكتّاب الأردنيين، وحاصلة على درع تكريميّ من أسرة أدباء المستقبل للتّميّز.

٣- من أعمال سناء شعلان المترجمة إلى لغات مختلفة على سبيل الذّكر لا الحصر:

أ- مجموعة "قافلة العطش"، مترجمة إلى الإنجليزية تحت عنوان: **"The Convoy of Thirst"**، ترجمة عدنان قصير، أمواج للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٦

ب- مجموعة "قافلة العطش"، مترجمة إلى البلغاريّة تحت عنوان "Керванът на жаждата"، ترجمة خيري حمدان، مطبعة الفنار بالشّراكة مع الدّكتور حيدر إبراهيم مصطفى رئيس نادي خريجي الجامعات البلغاريّة، عمّان، الأردن، ٢٠١٣

ت- المجموعة القصصيّة "حدث ذات جدار"، مترجمة إلى الفارسيّة بعنوان: "به وقت ديوار"، ترجمها إلى الفارسيّة مرتضى حيدريّ آل كثير، ط١، مؤسّسة افرا/ بنياد افرا، قم، إيران، ٢٠٢٣

ث- رواية "أَدْرَكَهَا النّسيانُ: دختری در دامان فراموشی"، مترجمة إلى اللّغة الفارسيّة، ترجمها إلى الفارسيّة: سمانه موسى بور ود. يوسف هادي بور، وتحرير أفشين باوفا، ط١،النّاشر: المكتب المركزيّ لبحوث ساوالان، شركة سلكو للأبحاث والنّشر، طهران، إيران، ٢٠٢٢

ج- رواية "أُعْشَقُنِي" مترجمة إلى الفرنسيّة، تحت عنوان "Je m'adore"، ترجمة محمد طاهري، دار لارماتون للنّشر (L'Harmattan)، باريس، فرنسا، ٢٠٢١

ح- مجموعة "الهروب إلى آخر الدنيا"، مترجمة إلى اللّغة المحليّة الهنديّة ملا يالام تحت عنوان (oliyidam kadannukalayunnavarude) (കടന്നുകളയുന്നവരുടെ ഒളിയിടം)، سعد الدين كيري، دار ترجمان للنّشر والتّوزيع، كاليكوت/ كيرالا/ الهند، والإمارات العربيّة المتّحدة، ٢٠٢٠

خ- مجموعة قصصيّة مشتركة مع أدباء عرب معاصرين بعنوان "سِفْر الشّمس" (പുസ്തകം വെയിലിന്റെ)، مترجمة إلى اللّغة الملايالامية الهنديّة، اختيار وترجمة وتحرير محمد علي الوافي، قسم اللّغة العربيّة في الكليّة السنسكرتية الحكوميّة في مدينة فاتامي، فالاكاد، كيرلا، الهند، ١/ ٣/ ٢٠١٩

د- مجموعة قصصيّة مشتركة مترجمة مع أدبيات أردنيات بعنوان "أزهار متفتحة"، اختيارBlossoming flowers ، مترجمة إلى الإنكليزيّة، ترجمة سعيد سليمان الخواجة، دار اليازوري، عمّان، الأردن، ٢٠١٧

ذ- مجموعة قصصيّة مشتركة مع ٤٠ أديبة فلسطينيّة بعنوان: وحشة اسمها وطن" Loneliness named homeland /Самота, наречена отечество، مترجمة إلى البلغاريّة، اختيار وترجمة مايا تسينوفا، دار مولتيبرينت MULTIPRINTLD LTD / Мултипринт، صوفيا، بلغاريا، ٢٠١٦

ر- مجموعة قصصيّة مشتركة مع أديبات أردنيات بعنوان "From the speaking Womb of the Desert:SHORT STORIES FROM JORDAN" مترجمة إلى الإنجليزيّة، اختيار وترجمة أ. د رلى قوّاس، دار أزمنة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٣

٤- من أعمال سناء شعلان المترجمة إلى الكثير من اللّغات على سبيل المشاريع الجامعيّة والرّسائل والأطاريح الجامعيّة على سبيل الذّكر لا الحصر:

أ- مشروع تخرّج بكالوريوس بعنوان:

Revision of English Translation of Arabic Novel: مقامات الاحتراق

By Dr.Sana Shalan

، أعدّتها علوية عاوي، بإشراف الدّكتور شير خان، قسم التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالمية، إسلام آباد، باكستان، ٢٠٢٢

ب- رسالة ماجستير بعنوان "الترجمة التعليقية الأردية لرواية قافلة العطش للدكتورة سناء شعلان (دراسة تحليلية في ضوء استراتيجيتي التدجين والتغريب لـ لارنس فينوتي):

Urdu Annotated Translation of the Novel "قافلة العطش" by Dr. Sanaa Shalan: An Analytical Study in the light of Lawrence Venuti's strategies, "Foreignization" & "Domestication"

، أعدّتها ناهيد سيف الله، بإشراف الدّكتور محمد نواز، قسم التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالمية، إسلام آباد، باكستان، ١٨/ ٢/ ٢٠٢٣

ت- رسالة ماجستير بعنوان:

Annotated Translation of the book "تقاسيم الفلسطيني" By Dr. Sanaa Shalan :An Analytical Study in the light of Translation :Strategies

ترجمة مشروحة لكتاب "تقاسيم الفلسطينيّ" بقلم سناء شعلان: دراسة تحليليّة في ضوء استراتيجيّات التّرجمة، وهي ترجمة من اللّغة العربيّة إلى اللّغة الأورديّة، أعدّتها الباحثة حمنى سهيل (Hamna Sohail)، بإشراف الدّكتور محمد نواز، قسم التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، إسلام آباد، باكستان، ٢٠٢٢/٨/١٨

ث- رسالة ماجستير باللّغة الانجليزية بعنوان:

"Translating for Children: Issues of Dual Readership and Taboo-breaking Topics"

(الترجمة للأطفال: قضايا القراءة المزدوجة والمواضيع المخترقة للمحرمات)

أعدّها الباحث علاء الدّين أبو العلا، بإشراف الدّكتور جمال أقبلي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، جامعة عبد المالك السّعديّ، طنجة، المغرب، ١٣/ ١٠/ ٢٠٢١

ج- رسالة ماجستير بعنوان "ترجمة المجموعة القصصيّة عام النّمل لسناء شعلان إلى اللّغة الفارسيّة: ترجمۀ مجموعۀ داستانی «عام النمل» اثر سناء شعلان"، أعدّها الباحث يوسف متقيان نيا، بإشراف الدّكتور غلامرضا کـریمی فرد/ مشرف أوّل، ود. نعيم عموري/ أستاذ مستشار، قسم الأدب العربيّ، كليّة أصول الدّين والدّراسات الإنسانيّة، جامعة شهيد تشمران، أهواز، إيران، ١٤-٩-٢٠٢١

ح- أطروحة تخرج بكالويوس بعنوان "كتاب للأطفال صاحب القلب الذهبي لسناء كامل أحمد شعلان: ترجمة تواصليّة": BUKU CERITA ANAK SÂHIBU AL-QALBI AL-DZAHABÎ KARYA SANÂ` KÂMIL AHMAD SYA'LÂN: PENERJEMAHAN KOMUNIKATIF، أعدّتها الباحثة (فيبريانا سيتيو بوسبيتو ساري: Febryana Setyo Puspito Sari)، بإشراف الدكتورDr. Ulil Abshar,., M.Hum ، كليّة الآداب والعلوم

الإنسانيّة، جامعة شريف هداية الله الإسلاميّة في جنوب تانغيرانع في جاكرتا، أندونيسيا، ١٥/ ١/ ٢٠٢١

خ- رسالة ماجستير بالانجليزيّة بعنوان:

"Revisiting Foreignization and Domestication in Translating Children's Literature from Arabic to English: Sanaa Shalan's *Ziryab* and *Abbas ibn Firnas* as Case Studies" أيّ بالعربيّة "مراجعة التّغريب والتّوطين في ترجمة أدب الأطفال من العربيّة إلى الانجليزيّة: زرياب وعبّاس بن فرناس" للأديبة سناء شعلان أنموذجاً دراسة حالة، أعدّها الباحث محمد فنزاريّ، بإشراف الدّكتور جمال أقبليّ، مدرسة الملك فهد العليا للتّرجمة، جامعة عبد المالك السّعديّ/ طنجة، المغرب، ١٢/ ٧/ ٢٠٢٣

د- مشروع تخرّج بكالوريوس بعنوان:

"Translation of Arabic Novel 'A'shiquni' by Sana Sha'la'an (Chapter ٧) Into English"

أيّ بالعربيّة: "ترجمة رواية أعشقني إلى اللّغة الانجليزيّة الفصل السّابع"، أعدّها الطّالب محمد إبراهيم، بإشراف الدّكتور شير علي خان، قسم التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، باكستان،٢٠٢٣

ذ- مشروع تخرّج بكالوريوس بعنوان:

Revision of English Translation of Arabic Novel Arz ul Hikayati By Sana Shallan"

أيّ بالعربيّة "مراجعة التّرجمة للرّواية العربيّة أرض الحكاية بقلم سناء شعلان، أعدّها الطّالب لي لو شن(LI LE XIN) بإشراف الدّكتور شير علي خان، قسم التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، باكستان، ٢٠٢٣

ر- مشروع تخرّج بكالوريوس بعنوان "ترجمة الرّواية العربيّة أصدقاء ديمة لسناء شعلان إلى اللّغة الإنجليزيّة"، أعدّتها الطّالبة عائشة حيدر علي، بإشراف الدّكتور شير علي خان، قسم التّرجمة والتّرجمة الفوريّة، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، باكستان، ٢٠٢٣

٥- شاعريّة الأحلام: غاستون باشلار، ترجمة جورج سعد، ط١، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ص١٢-١٣

٦- من بعض رسائل الماجستير وأطروحات الدّكتوراه التي دارتْ حول أدب د. سناء شعلان على سبيل الذّكر لا الحصر: رسالة ماجستير بعنوان "شعريّة العنوان لتقاسيم الفلسطينيّ مجموعة قصصيّة للدّكتورة سناء شعلان"، أعدّتها الباحثة سارة قاصب، ومشروع تخرّج بكالوريوس بعنوان "جدليّة الحضور والغياب في مجموعة القصصيّة لتقاسيم الفلسطيني لسناء شعلان"، أعدّتها الطّالبتان صارة شعلان وهديل تواتي، بإشراف الدّكتورة عدي ليلى، ورسالة ماجستير بعنوان "الدّكتورة سناء كامل الشّعلان وإسهاماتها في أدب الأطفال"، أعدّتها الباحثة نصرين مندل، بإشراف الدّكتور جهانغير عالم، ورسالة ماجستير بعنوان "الترجمة التعليقية الأردية لرواية قافلة العطش للدكتورة سناء شعلان (دراسة تحليلية في ضوء استراتيجيتي التدجين والتغريب لـ لارنس فينوتي)، أعدّتها ناهيد سيف الله، بإشراف الدّكتور محمد نواز، وأطروحة دكتوراة بعنوان "المرأة عند الأديبة سناء شعلان في ضوء منجزها القصصيّ"، أعدّها الباحث عبد الرّحمن، ورسالة ماجستير بعنوان "المتعاليات النّصيّة والعتبات في رواية (أدركها النسيان) لسناء شعلان: دراسة سيميائيّة"، أعدّتها الباحثة إخلاص حسن حسين حسن، ورسالة ماجستير بعنوان "سيمائيّة العنوان في روايات سناء كامل شعلان"، أعدّتها الباحثة آمنة لامي عبّاس، ورسالة ماجستير بعنوان "جدليّة المرأة والرّجل في رواية السّقوط في الشّمس"، أعدّتها الباحثة آمنة محمد عبد الجليل عليويّ، ورسالة ماجستير بعنوان "توظيف تقنيّات السّرد في رواية أدركها النسيان لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثتان إيمان قارة وحنان العيفاويّ، ورسالة ماجستير بعنوان "البنية

السّرديّة في المجموعة القصصيّة الهروب إلى آخر الدّنيا لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثتان سعاد سراي وخليدة سعدون، ورسالة ماجستير بعنوان "تجلّيات التّجريب في رواية أدركها النّسيان لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثتان آية نفطيّ ونور الهدى خطوط، ورسالة ماجستير بعنوان "ترجمة كتاب تقاسيم الفلسطينيّ" "ترجمه ى كتاب تقاسىم الفلسطىنى اثر دكتر سناء شعلان"، أعدّتها الباحثة حكيمة توكلي، وأطروحة دكتوراه بعنوان "سيميائيّة العنوان والأسماء في قصص سناء شعلان: دراسة دلاليّة تحليليّة"، أعدّها الباحث حسن علي سرحان جسّام، ورسالة ماجستير بعنوان "ترجمة المجموعة القصصيّة عام النّمل لسناء شعلان إلى اللّغة الفارسيّة: ترجمۀ مجموعۀ داستانى «عام النمل» اثر سناء شعلان"، أعدّها الباحث يوسف متقيان نيا، ورسالة ماستر بعنوان "الفضاء النّصيّ وطبوغرافيا المكان في رواية أَعْشَقُنِي"، أعدّتها الباحثتان عبدون هيفاء ورزوقي شيماء، ورسالة ماستر بعنوان "البعد التّحرّريّ وقداسة المكان في المجموعتين القصصيتين تقاسيم الفلسطينيّ وحدث ذات جدار لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثتان كريمة خلوف وزينب روان، وأطروحة دكتوراه بعنوان "الرّؤية والتّشكيل في المنجز القصصيّ لسناء شعلان"، أعدّتها الباحث محمد وهاب، ورسالة ماجستير بعنوان "دراسة عنصري الرّاوي والحدث في رواية (أَعْشَقُنِي) وطرق الرّواية فيها"، أعدّتها الباحثة سميرا حاجى كمالى، وأطروحة دكتوراه بعنوان "المرأة في قصص سناء شعلان"، أعدّها الباحث علي خالد حامد، ورسالة ماستر بعنوان "بنية الشّخصيّة في رواية أَدْرَكَهَا النّسيانُ لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثة سالمة دعمي، ورسالة ماجستير بعنوان "مسرح الطّفل عند سناء شعلان من خلال مسرحيّات (اليوم يأتي العيد، الأطفال في دنيا الأحلام، السّلطان لا ينام: دراسة تحليليّة فنيّة"، أعدّتها الباحثة عقيلة رباب، ورسالة ماستر بعنوان "البنية القصصيّة في المجموعة القصصيّة ناسك الصومعة سناء شعلان"، ورسالة ماستر بعنوان "البناء الفنّيّ لمجموعة أرض الحكايا لسناء شعلان: دراسة فنيّة"، أعدّتها الباحثة مهرين بلال، ورسالة ماستر بعنوان "الرؤية والتّشكيل السّرديّ في رواية أَدْرَكَهَا النّسيانُ لسناء شعلان أنموذجاً"، أعدّتها الباحثة فضيلة قريب، وأطروحة دكتوراة بعنوان "مواجهة العنف الأسري في روايات سناء شعلان"،

أعدّها الباحث سيف الدّين لطفي الغمّاز، ورسالة ماجستير بعنوان "دكتورة سناء شعلان وروايتها أَعْشَقُنِي دراسة تحليليّة"، أعدّتها الباحثة نور النّساء، ورسالة ماجستير بعنوان "حضور المكان في رواية أدركها النسيان لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثتان رشيدة ضريف وغرابي خولة، ورسالة ماجستير بعنوان "دراسة تحليليّة لعمليّة التّرجمة للنّصوص المختارة (الذي سرق نجمة)"، أعدّتها الباحثة حبيبة عبد الله، ورسالة ماجستير بعنوان "صورة الصّهيونيّ في المجموعة القصصيّة تقاسيم الفلسطينيّ لسناء شعلان، أعدّتها الباحثان أماني معنصري ونعيمة بوزيدي، ورسالة ماجستير بعنوان "البنية الزّمنيّة في رواية السّقوط في الشّمس لسناء شعلان"، أعدّها الباحث عمور إبراهيم وطيب الشّريف عادل، ورسالة ماجستير بعنوان "تمظهرات المكان ودلالته في رواية السّقوط في الشّمس لسناء كامل شعلان"، أعدّتها الباحثة مباركة رايسي، ورسالة ماستر بعنوان "شعريّة المكان في المجموعة القصصيّة "حدث ذات جدار" لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثتان فضيلة قريب وفاطمة الزّهراء بريشي، وأطروحة دكتوراة بعنوان "مكوّنات السّرد وخصائصها في رواية الخيال العلميّ العربيّة المعاصرة: رواية أَعْشَقُنِي لسناء شعلان أنموذجاً"، أعدّتها الباحثة سعاد عريوة، ورسالة ماستر بعنوان "تجليّات البطل في المجموعة القصصيّة "حدث ذات جدار" للكاتبة الفلسطينيّة سناء شعلان"، أعدّتها الباحثة نجلاء كبوية، ورسالة ماستر بعنوان "العجائبيّة في قصص سناء شعلان: نماذج مختارة"، أعدّتها الباحثتان خولة قاسمي ومديحة دمان، ورسالة ماجستير بعنوان "صورة الآخر في قصص سناء شعلان"، أعدّتها الباحثة سناء جبار حياوي العبودي، ورسالة ماجستير بعنوان "شعريّة الوصف في قصص سناء شعلان"، أعدّتها الباحثة تمارة رياض ذنون محمد، ورسالة ماجستير بعنوان "شعريّة المكان في المجموعة القصصيّة حدث ذات جدار لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثة سهيلة بلعربي، ورسالة ماجستير بعنوان "التّخييل السّرديّ في المجموعة القصصيّة تراتيل الماء لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثة هالة دوادي، ورسالة ماجستير بعنوان "المتخيّل السّرديّ في رواية أَعْشَقُنِي لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثة كريمة بعلول، ورسالة ماجستير بعنوان "الآنا والآخر في مسرحيّات سناء شعلان: مسرحيّة وجه واحد لاثنين ماطرين أنموذجاً"،

أعدّتها الباحثة بريزة سواعديه، ورسالة ماجستير بعنوان "تشكيل الفضاء السّردي بين الذّات والآخر في روايةأَعْشَقُنِي لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثة فاطمة الزّهراء بن عزوز، ورسالة ماجستير بعنوان "تشكيل الفضاء السّردي بين الذّات والآخر في رواية أَعْشَقُنِي لسناء شعلان"، أعدّتها الباحثة فاطمة الزّهراء بن عزوز، ورسالة ماجستير بعنوان "التّشخيص في مسرحيّات سناء شعلان مسرحيّة دعوة على شرف اللون الأحمر أنموذجاً، أعدّتها الباحثة أسماء مزوز، ورسالة ماجستير بعنوان "الرؤية السّرديّة ومكوّناتها في تجربة سناء شعلان القصصيّة"، أعدّها الباحث محمد صالح مشاعلة، ورسالة ماجستير بعنوان "الشخصيّة في قصص سناء شعلان"، أعدّها الباحث ميزر علي الجبوري، ورسالة ماجستير بعنوان "النّزوع الأسطوريّ في قصص سناء شّعلان: دراسة نقديّة أسطورية"، أعدّتها الباحثة وناسه مسعود علي كحيليّ، ورسالة ماجستير بعنوان "الترجمة التعليقية الأردية لرواية قافلة العطش للدكتورة سناء شعلان (دراسة تحليلية في ضوء استراتيجيتي التدجين والتغريب لــ لارنس فينوتي)، أعدّتها ناهيد سيف الله.

٧- من الأبحاث التي قُدّمتْ عن أدب د. سناء شعلان في المؤتمرات العلميّة المتخصّصة على سبيل الذّكر لا الحصر: قدّم الأستاذ الدكتور رمضان أحمد عبد النّبي عامر ورقة بحثيّة بعنوان "تجلّيات الأسطورة في لغة السّرد العربيّ المعاصر"، في المؤتمر العالميّ العلمي بعنوان:

INTERNATIONAL CONFERENCE MODERN ARABIC LITERATURE BETWEEN MYTH AND REALITY

"المؤتمر الدولي للأدب العربي الحديث بين الأسطورة والواقع"، كليّة الدّراسات الشّرقيّة في جامعة وارسو، بولندا، ١-٢/ ٦/ ٢٠٢٣، وقدّم الباحث إبراهيم عمور ورقة بحثيّة بعنوان "الخطاب العجائبيّ في المنجز السّرديّ العربيّ: سحر المتخيّل وبلاغة الحكي"، مؤتمر دوليّ بعنوان "الخطاب العجائبيّ في المنجز السّرديّ العربيّ: سحر المتخيّل وبلاغة الحكي"، المركز الجامعيّ الشّهيد سي الحوّاس، معهد الآداب واللّغات، قسم

اللّغة والأدب العربيّ، جامعة بريكة، بريكة، ولاية باتنة الجزائر، ٢٣/ ١١/ ٢٠٢٢، وقدّم الباحث عبّاس ب. م ورقة بحثيّة بعنوان "ظاهر التّغريب في مسرحيّات سناء الشّعلان"، مؤتمر دوليّ بعنوان "مسيرة الأدب العربيّ بأجناسه المختلفة عبر العصور"، مدرسة الألسن، جامعة جواهر لآل نهرو، نيودلهي، الهند، ٢٩/ ١١/ ٢٠٢٢، وقدّم الباحث واصف علي ورقة بحثيّة بعنوان "أزمة الفرد والمجتمع وتحليلها في روايات د. سناء شعلان"، ندوة وطنيّة حول موضوع "الأدب العربيّ المعاصر: الفنّ والمجتمع"، جامعة بردوان، بنغال الغربيّة، الهند، ٢٢/ ١٢/ ٢٠٢٢، وقدّم أ. د أحمد الهادي رشراش ورقة بحثيّة بعنوان "اللّغة الشّاعرة في القصّة القصيرة مقاربة أسلوبيّة: نماذج تطبيق على قصص د. سناء الشّعلان،" في النّدوة العربيّة الرقميّة بمشاركة ١٧ دولة عربيّة بعنوان "السّاردون يغرّدون"، ليبيا، ٢٧/ ٣/ ٢٠٢٢، وقدّم الباحث عباس ب. م ورقة بحثيّة بعنوان "آليّات السّرد في مونودراما "خرافيّة سعديّة أمّ الحظوظ" للكاتبة الأردنيّة سناء شعلان" في النّدوة الدّوليّة بعنوان "العلاقات العربيّة الهنديّة والأدب العربيّ في عصر الرّقمنة"، وقدّمت الباحثة الهنديّة إرم زهراء رضويّ بحثاً بعنوان "صورة الرّجل في رواية "السّقوط في الشّمس: لسناء شعلان (بنت نعيمة)" في نيودلهي الهند في المؤتمر الوطنيّ للباحثين حول "الدّراسات العربيّة: الأدب والثقافة والتّرجمة"، وقدّمت الباحثة إرم زهراء الرّضويّ من جامعة الملّيّة الإسلاميّة ندوة بعنوان (صورة المرأة في رواية السّقوط في الشّمس) ضمن أعمال منتدى الباحثين، وقدّم الأستاذ الدّكتور علي حسين جلود الزّبيديّ من جامعة ذي قار والباحثة م. م سناء جبار حياوي العبوديّ من المديريّة العامّة للتّربية في محافظة ذي قار بحثاً مشتركاً بعنوان "مرثيّة الوجود في قصص سناء شعلان نماذج مختارة" في مؤتمر "منهاج المؤتمر الدّوليّ الثاني: التّوجهات المعاصرة في العلوم الاجتماعية والإنسانيّة"، وعُقدتْ ورشة متخصّصة عن "رواية أَعْشَقُنِي" في نادي القراءة للمكتبة الوسائطيّة، وعُقد عقد ملتقى عن تجربة شعلان الرّوائيّة في جامعة مصطفى اسطمبولي، تحت عنوان "الرّواية العربيّة والتّاريخ: آسيا جبّار وسناء شعلان"، وقدّم الأستاذ الدّكتور إشارت علي ملا رئيس قسم اللّغة العربيّة في جامعة كولكتا، والأستاذ الدّكتور سعيد الرّحمن من جامعة

عالية الهنديّة محاضرة مشتركة بعنوان "ربط الحاضر بالماضي في قصص الأطفال للدّكتورة سناء كامل شعلان" في جامعة غور بنغا، مالدوه، وقدّم الأستاذ الدّكتور نور الدّين صدّار عميد كليّة الآداب واللّغات في جامعة معسكر الجزائريّة بحثاً بعنوان "سيميائيّة الخطاب السّرديّ: رواية أَعْشَقُنِي لسناء شعلان أنموذجاً"، وذلك مشاركة بأعمال المؤتمر الدّوليّ "أفق الخطابات بين التّحليل اللّسانيّ والتّأويل السّيميائي"، وقدّم الأستاذ الدّكتور خالد اليعبوديّ من جامعة محمد بن عبد الله، فاس بحثاً بعنوان "أبعاد الكون في رواية أَعْشَقُنِي: لسناء شعلان"، وذلك مشاركة في ندوة بعنوان "الخيال العلميّ في الرّواية العربيّة"، وقدّم النّاقد المصريّ فرج مجاهد عبد الوهاب دراسة بعنوان "أَعْشَقُنِي: وتواترت أطراف المعادلة بين الفنتازيا ورسائل الحبّ والجنس" في مؤتمر القاهرة الدّوليّ السّادس للرّواية العربيّة في القاهرة، مصر، وقدّم النّاقد العراقيّ الدّكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "المشاهد الجنسيّة والرّسائل في روايةأَعْشَقُنِي" في ندوة خاصّة في قسم علم النّفس في الجامعة المستنصريّة، وقدّم النّاقد العراقيّ الدّكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "المرأة المقهورة في رواية أَعْشَقُنِي للدّكتورة سناء شعلان" في ندوة خاصّة في قناة المسار العراقيّة، وقدّم النّاقد العراقي الأستاذ الدّكتور غنام محمد خضر دراسة بعنوان "التحوّل والتعرّف وجماليّات التّلقي: قراءة في نصوص سناء شعلان القصصيّة"، مؤتمر جامعة رابرين، وقدّم الباحث الأردنيّ سيف الدّين الغماز بحثاً بعنوان "العنف ضدّ المرأة في أعمال سناء شعلان: رواية أَعْشَقُنِي أنموذجاً، مؤتمر طلاّب الدّراسات العليا الشّباب الحادي عشر، جامعة ماليزيا الوطنية الحكوميّة(UKM)، وقدّمت الباحثة الجزائريّة صبرينة جعفر ورقة بحثيّة بعنوان "السّرد الغرائبي في القصّة القصيرة النّسائيّة بين الجماليّة والتّأويل: أرض الحكايا لسناء شعلان نموذجاً، النّدوة الوطنيّة التي انعقدتْ تحت عنوان "التّلقي والتّأويل بين سلطة القراءة وفضاء المشاهدة"، وقدّمت الباحثة الجزائريّة صبرينة جعفر ورقة بحثيّة بعنوان "المسرح في الجامعة: مسرحيّة دعوة على شرف اللّون الأحمر لسناء شعلان أنموذجاً، في الملتقى الوطنيّ الأوّل للمسرح تحت عنوان "المسرح في الجامعة بين المتعة والمنفعة وصناعة الوعي"، وقدّم الدّكتور الهنديّ أورنك زيب الأعظميّ ورقة

بحثيّة بعنوان "رواية أَدْرَكَهَا النّسيانُ للكاتبة الأردنيّة سناء شعلان: دراسة تحليلية"، في مؤتمر الرّواية العربيّة بعد عام ١٩٥٠ م"، وقدّم الدّكتور غنام محمد خضر ورقة بحثيّة بعنوان "مسرح الطّفل بين الخيال العلميّ والتّخييل الفنيّ: قراءة في مسرحيّة اليوم يأتي العيد لسناء شعلان"، في المهرجان الدّوليّ لمسرح الطّفل، وقدّم الدّكتور عواد الغزيّ ورقة بحثيّة بعنوان "رواية الخيال العلميّ بين فلسفة العتبات النّصّيّة والتّواصليّة الاجتماعيّة: رواية أَعْشَقُنِي للأديبة د. سناء شعلان مثالاً"، ملتقى القاهرة الدّوليّ السّابع للإبداع الرّوائيّ، وقدّمت الباحثة صبرينة جعفر ورقة بحثيّة بعنوان "المغامرة الجماليّة للنص الروائيّ السيرذاتي النسويّ بين الإبداع والخصوصية: السّقوط في الشّمس/ وأَعْشَقُنِي "لسناء شعلان"، ندوة "الرّواية الجزائريّة والكتابة السير ذاتيّة"، وقدّم الباحث عباس ب. م ورقة بحثيّة بعنوان "التّجربة المسرحيّة عند الأديبة الأردنيّة د.سناء شعلان" في النّدوة الوطنيّة بعنوان "إبداعات المرأة في الأدب العربيّ الحديث"، وقدّم الدكتور غنام محمد خضر ورقة بحثيّة بعنوان "مسرح الطّفل بين الخيال العلميّ والتّخييل الفنيّ: قراءة في مسرحيّة اليوم يأتي العيد لسناء شعلان"، في "المؤتمر العلميّ الدّوليّ الأوّل للدّراسات الصّرفة والإنسانيّة".

٨- من أمثلة ترجمة أدب الأطفال عند سناء شعلان، ودراسته بشكل بحثيّ على سبيل الذّكر لا الحصر: رسالة ماجستير بعنوان "مسرح الطّفل عند سناء شعلان من خلال مسرحيّات (اليوم يأتي العيد، الأطفال في دنيا الأحلام، السّلطان لا ينام: دراسة تحليليّة فنيّة"، أعدّتها الباحثة عقيلة رباب، بإشراف الدّكتورة سعادت عظمى، قسم الأدبيّات، كليّة اللّغة العربيّة، الجامعة الإسلاميّة العالميّة، إسلام آباد، باكستان، ٢٠٢٠؛ وأطروحة تخرج بكالويوس بعنوان " كتاب للأطفال صاحب القلب الذّهبيّ لسناء كامل أحمد شعلان: ترجمة تواصليّة": BUKU CERITA ANAK SÂHIBU AL-QALBI AL-DZAHABÎ KARYA SANÂ` KÂMIL AHMAD SYA'LÂN: PENERJEMAHAN KOMUNIKATIF، أعدّتها الباحثة (فيريانا سيتيو بوسبيتو ساري:Febryana Setyo Puspito Sari)، بإشراف الدكتور (Dr. Ulil Abshar, S.S.,

M.Hum)، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة شريف هداية الله الإسلاميّة في جنوب تانغيرانع في جاكرتا، أندونيسيا، ٢٠٢١، وقدّم الأستاذ الدكتور إشارت علي ملا رئيس قسم اللّغة العربيّة في جامعة كولكتا، والأستاذ الدّكتور سعيد الرحمن من جامعة عالية الهنديّة محاضرة مشتركة بعنوان "ربط الحاضر بالماضي في قصص الأطفال للدّكتورة سناء كامل شعلان" في جامعة غور بنغا، مالدوه، بنغال الغربية، الهند، ٢٠١٨؛ وقدّم الدكتور غنام محمد خضر ورقة بحثيّة بعنوان "مسرح الطّفل بين الخيال العلميّ والتّخييل الفنيّ: قراءة في مسرحيّة اليوم يأتي العيد لسناء شعلان"، في المهرجان الدّوليّ لمسرح الطّفل، أم العرائس، تونس، تونس، ٢٠١٩؛ وقدّم الباحث عباس ب. م ورقة بحثيّة بعنوان "التّجربة المسرحيّة عند الأديبة الأردنيّة د. سناء شعلان" في النّدوة الوطنيّة بعنوان "إبداعات المرأة في الأدب العربيّ الحديث"، الكليّة الحكوميّة بكاسركود، كيرلا، الهند، ٢٠١٩

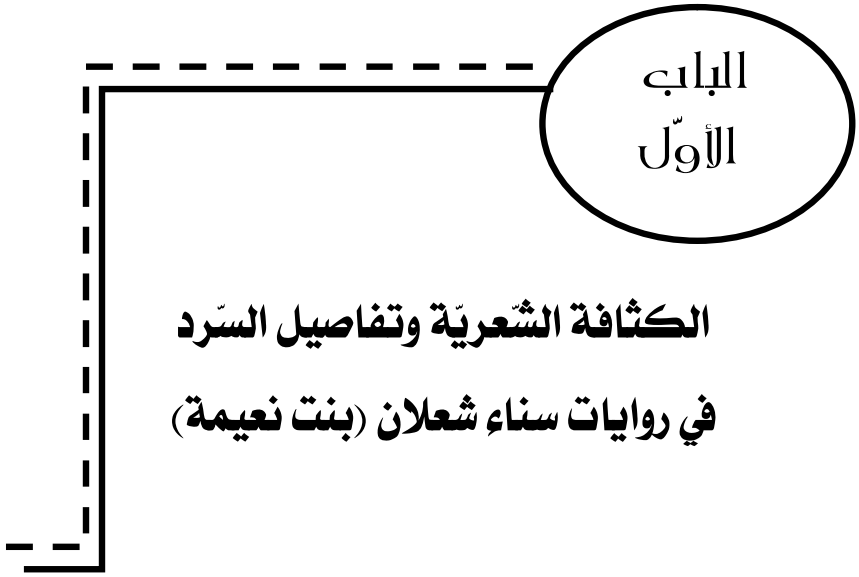

الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في روايات سناء شعلان (بنت نعيمة)

"الرّواية هي طريقة رؤيتي للعالم والإنسان"

سناء شعلان

"١"

البوح في رواية "أَدْرَكَهَا النّسيان"*

"البوح مثل العريّ لا يكون إلاّ أمام الذّات أو توأمها : بهاء بطلة رواية أدركها النّسيان"

"كتابة الرّاوية طقس شبيه بعرض "استربيتز"، مثل الفتاة التي تحرّر نفسها من ملابسها تحت أضواء الخشبة العارية من الخجل، وتعرض مفاتنها السّريّة واحداً تلو الآخر؛ يعرّي الكاتب أيضاً ذاته الحميمة عليه أمام جمهور رواياته، لكن هناك بالطّبع اختلافات؛ فالذي يعرضه الرّاوي من ذاته ليستْ مفاتنه السّاحرة مثل الفتاة، لكنّه يكشف بدلاً منها الشّياطين التي تسيطر عليه، حنينه، أو ذنبه، وأحياناً استياءه.

"اختلاف آخر هو أنّه أثناء عرض "الاستربيتز" تكون الفتاة مرتدية ملابسها أوّلاً، ثم تتعرّى نهائيّاً، وفي حالة الرّاوية ينعكس المسار، ففي البداية يكون الكاتب عارياً، وفي النّهاية مرتدياً ملابسه": الرّوائيّ: ماريو فارغاس يوسا.

رواية أَدْرَكَهَا النّسيان رواية تنتمي إلى تيار الرّاوية الجديدة ولعالمها الخاصّ متخذة من التّجريب السّرديّ مقترناً بعيداً عن الالتزام بالأساليب والمعايير المحدّدة أو القوالب النّمطية للحكاية، جاءتْ وفق التّحولات البنيويّة التي يعرفها جنس الرّاوية الجديدة والمفارقات التي تقوم عليها المستمدّة من مفارقات الواقع الموضوعيّ المعيش، لكن باستعلاء لغة السّرد على الواقع "إنّ الرّاوية الجديدة في

وسعها نقل تجربة الواقع انطلاقاً من التّجربة الرّوائيّة، وجعل هذه الأخيرة ذات طابع ذاتيّ من حيث الجوهر، لكنّها تعبّر عن أشياء موضوعيّة".[١]

النّجاح الباهر الذي يُذكر لهذه الرّواية أنّها مكتوبة بنمط السّرد المتقطّع من دون الاعتماد على التّسلسل المنطقي للأحداث، فقد بدأت الرّوائيّة سردها من نهايتها، وجعل البداية هي الخاتمة.

هذا مظهر عبقريّ بحقّ في التّشكيل السّرديّ للرّواية، فلو غيرّنا ترتيب الفصول لما انهارت البنية السّرديّة للرّواية، وهذا التّشظي جاء متناغماً مع بنية النّشاط السّرديّ نفسه وبوعي وقصديّة وفق تخيّل سردّي بارع؛ لتدع القارئ يشارك في تركيب العمل الرّوائيّ من جديد، وينتج نصّه المؤول بوصفه قارئاً ضمنيّاً يشكّل رؤيته وهويته الرّوائيّة.

إنّ الرّاوية "لم تعد تعني جملة القواعد والقوانين الرّوائيّة، ولا مجموعة من الطّرق الفنيّة التي تحدّد هذا الجنس الأدبيّ وشروطه، وإنّما أصبحت الرّاوية بناء يحدث الآن، وكياناً ينشأ لحظة تشكّله، إنْ لم نقل لحظة ينهض القارئ بأعباء القراءة وجوداً تحدّد هويته الرّوائيّة من داخل مخزوناتها نفسها، وليس من خلال موقفنا المسبق من الرّاوية".[٢]

هذه الرّاوية تحكي عن معاناة "بهاء" بطلة الرّاوية في حياتها الصّعبة في ظلّ فقرها ويتمها، ثم تعرض تجارب حياتها في مواجهة مرض السّرطان الذي أصاب دماغها، وبدأ يأكل ذاكرتها بالتّزامن بالتقائها بالصّدفة بحبيبها الضّائع "الضّحّاك" الذي يقرّر أن يقف إلى جانبها في أزمتها بعد أن بلغ السّرطان مبلغه، وأكل جسدها، ودبّ في دماغها.

تتوالى أحداث الرّاوية ضمن أزمان استرجاعيّة واستشرافيّة متداخلة مقدّمة لنا نسيجاً سرديّاً كاملاً يضمّ البطلين وحياتهما الملتبسة المتداخلة التي تكشف عن تجربتهم الإنسانيّة، بقدر ما تكشف عن التّجربة الإنسانيّة الجمعيّة في قطبي العالم العربيّ والعالم الغربيّ. إنّها رواية كوزموبوليتانيّة بالاتّجاهين السّلبيّ والايجابيّ في تشكيل المجتمع الرّوائيّ وتشاركه.

جاء عنوان رواية "أَدْرَكَهَا النّسيان" من خلاصة وعي الكاتبة التي تتبنّى مبدأ جماليّاً يقوم على المفارقة، وتخضعها لأسس فكريّة، وتتمثّلها تمثّلاً كليّاً.

إنّ العنوان يمثّل العتبة الأولى واللاّفتة الدّلاليّة الأهمّ للنصّ السّرديّ، فجاء العنوان مفارقاً ومخاتلاً ومرتبطاً ارتباطاً وثيقاً وعضويّاً بالنّصّ السّرديّ؛ فـ"أَدْرَكَهَا النّسيان" عبارة تنطوي على مستويّات متعدّدة من المعنى الظّاهريّ المعجميّ.

المستوى الخارجي "لأَدْرَكَهَا النّسيان" بمعنى أصابها، أمّا المعنى الدّاخليّ أنقذها من المعاناة، ونجد في الغلاف الدّاخليّ للرّواية" حكاية امرأة أنقذها النّسيان من التّذكّر"، هذا مستوى آخر للمعنى.

في حقيقة الأمر هناك تذكّر وذاكرة، وهنا يجب التّوقف عند هذا التّضاد الخفيّ أو التّناقض والتّمثيل الدّلاليّ المتناقض "الانزياح"، ومغادرة الكلمة "أدركها" لمعناها الأول لتنتج لنا مفاهيم ودلالات أخرى، والنّسيان ثيمة تعالقيّة في النّصّ الرّوائيّ على امتداد الفصول التي عنونتها الرّوائيّة بترقيم النّسيان على امتداد فصول الرّاوية الثّلاثين.

نحن نحتاج إلى تفكيك دلاليّ للعنوان "أَدْرَكَهَا النّسيان"؛ فإنّ الإدراك بالنّسبة لحركة العلامة، هو الانتقال من التّمثّل للتّمثيل والواسطة، هو الاستيعاب بعيداً عن اللّغة المعجميّة التي تمثّل سطح المفاهيم، ولا تعيد إنتاجها، لكن في الأدب الأمر مختلف جذريّاً؛ فالإدراك أصبح بنية عارية، غادرتْ إدراكها الأوّل من خلال إنتاج مفاهيم ودلالات كشفت عن النّصّ الرّوائيّ.

كذلك كلمة نسيان عندما نراجعها في المعجم اللّغويّ سنجد لها معنى تمثيليّاً، وهو المعنى المتداول، لكن عندما تدخل الكلمة في التّمثيل ستغادر تموضعها الأوّل، وتحمل ذاكرة جديدة بعيداً عن حركيّة العلامة التي تشير إليها أو داخلها.

النّسيان عند "بول ريكور" هو الاستيهام، أو بمعنى آخر إنّ الذّاكرة المشوبة بالنّسيان هي من تخلق عوالم الميثولوجيا للعلامة.

عندما نضع كلمة النّسيان بمقارنة التّذكّر نجد أنّ الذّاكرة جمعيّة، وأنّ النّسيان فعل فرديّ؛ فالنّسيان هو فعل الإبداع والكتابة على المحو، كما فعلتْ بطلة الرّاوية "بهاء"، أمّا التّذكّر فهو فعل جمعيّ لمحيطها الاجتماعيّ على الرّغم من أنّ الاختلاف مميّز بقوّة بين الذّاكرة الفرديّة وبين الذّاكرة الجماعيّة، لكن العلاقة حميميّة ومحايثة، وكذلك فإنّ هذين النّوعين من الذّاكرة يتداخلان".

من هنا أصبحت "أَدْرَكَهَا النّسيان" هي المدوّنة الخاصّة بالبطلة "بهاء" عبر مذكّراتها المكتوبة "الكتابة ضد النّسيان" التي يقرأها عليها حبيبها "الضحاك"، وهي خائرة جسديّاً بعد أنْ دبّ السّرطان في دماغها، وهي مَنْ تعدّه أرحم من شناعات العابرين على جسدها من الرّجال من الأعراق والاثنيّات كلّها الذين

استباحوها بحيل وذرائع شتى مثّلت الجانب الخفي لممارسات الجندر والسّلطات الغاشمة تحت مسميّات وشعارات شتى ما زالتْ تتسلّط على مجتمعاتنا.

لقد كشفت الرّوائيّة فعلاً عن شياطينها، وعرّت الوجه الآخر من الإنسان المعاصر والعطب الذي أصاب المجتمع، وعبّرتْ عن استيائها من الفضائح المخيفة والمرعبة التي يمارسها بني البشر على أبناء جلدتهم بدءاً من الاغتصاب الذي يمارسه معلّم دار الأيتام الذي كان بمثابة مسلخ للإناث "عاملات ونزيلات – قاصرات وبالغات"، وهو المكان الذي قذفت الأقدار بـ "بهاء- والضّحّاك" فيه بطلا الرّاوية، ليتعرّف أحدهما على الآخر فيه، ويعيشان القلق والحرمان والإذلال، حتى يبدو العالم لهما مثل ميتم كبير موجع.

كانتْ مديرة الميتم تمارس سلطتها الغاشمة، وتخضع الجميع لملك يمينها، ولا تتورع عن ارتكاب أبشع الممارسات دون أن يرف لها رمش.

من ثم تتوالى هذه الممارسات على "بهاء" بطرق حربائيّة شتى، وتمارس البغاء من أجل البقاء على قيد الحياة، وتتحمّل كلّ سخام وقذارة الرّجال الذين واقعتهم أو واقعوها.

هنا نجد المفارقة السّرديّة؛ إذ تعكس صراع الحياة ومفارقات الواقع الإنسانيّ الرّث والمتساقط والمهلهل. هنا كشف الخطاب المفارق عن استحضار الدّوافع المتضادّة من أجل تحقيق وضع متوازن في الحياة.

سرديّاً تلعب المفارقة وظيفة تقوم على الصّراع بين الذّات والموضوع، وبين المتصوّر والمألوف، والخارج والدّاخل والواقعيّ والمتخيّل.

لهذا فإنّ رواية "أَدْرَكَهَا النّسيان" هي خطاب محرّض على الوعي الضّديّ، ويبدو منقسماً باستمرار نتيجة مجموعة التّضادّات والمفارقات الموجودة والقائم عليها الواقع وعلاقات المجتمع الإنسانيّ، لكن يبقى لكلّ قارئ نصيب من الدّهشة في الوصول إلى المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون "المعنى الضّد، وليس مجرد وسيلة بلاغيّة أو أسلوبيّة، وإنّما تفضح لتكشف، وتهدم لتبني، وتشكك لتؤكد".

هذا كلّه يتوقّف على إعادة قراءته للواقع السّرديّ في ضوء خبرته ومعرفته الجماليّة ومقدار تمتّعه بمساعدة اللّغة الشّعريّة التي أضفت على السّرد الرّوائيّ خطاباً أدبيّاً يمثّل منظومة من الدّوال والمداليل.

هنا تبدأ الإزاحة باتجّاه المعنى الشّعريّ بعيداً عن التّقريريّة بأنّ "اللّغة كما تعرف لا تقتصر على الألفاظ وحدها، إنّما هناك أمور أخرى مشتركة مع الألفاظ لأحداث لغة صالحة للبناء الفنيّ الرّوائيّ، وأوّل هذه الأمور هي طريقة تركيب الألفاظ، ووضعها في نظام معين بحيث تؤدّي الفكرة التي يقصدها الأديب، وبذلك تصبح الكتابة الرّوائيّة كتابة شعريّة تضفي على اللّغة الرّوائيّة طابعاً جماليّاً، فتنتقل اللّغة من وظيفتها التّوصيليّة إلى مجال الرّمز والإيحاء"

في مقال سابق تحدّثت بتفصيل أكثر عن اللّغة المعياريّة التي تتسم بها الأعمال الرّوائيّة للدّكتورة سناء شعلان، المعروف عنها التّمكّن اللّغويّ، واهتمامها المتميّز بهندسة نصوصها، إضافة إلى أنّها أستاذة للأدب الحديث في الجامعة الأردنية، وتمارس تدريس الأدب الحديث ومهارات التّواصل واللّغة، وهذا منحها دراية وقوّة لغويّة غير متوفّرة عند الكثيرين من كتاب السّرد والقصّة؛ فكانت أعمالها مكتوبة بلغة شعريّة جليّة للعيان، وتتوافر فيها خصائص

سلامة النّحو والبلاغة "إنّ قيمة العمل الشّعريّ لا تكمن في مدى كونه "واقعيّاً أو"حقيقيّاً"، أو لأنّه "يمثّل"، أو"يعكس"، وإنّما تكمن في مدى قدرته على جعل اللّغة تقول أكثر ممّا تقوله عادة، أيّ خلق علاقات جديدة بين اللّغة والعالم، وبين الإنسان والعالم". (٤)

"أَدْرَكَهَا النّسيان" رواية متداخلة الأزمان والأماكن ضمن بُنى سرديّة متداخلة؛ فهي مزيج متجانس ومتداخل بين رواية وسيرة ونصوص نثريّة ونصوص شعريّة مساندة، فجاءتْ نجوم أوراق "الأوريغامي" استهلالات افتتاحيّة لفصول الرّاوية لا تقلُّ عن العناوين الفرعيّة، مثل توظيف جماليّ وإجرائيّ.

أعتقد أنّ الرّوائيّة سناء شعلان كانتْ على قصديّة كاملة عندما صنعتْ هذه المتعاليات النّصيّة الموازية، والعتبات المصاحبة لها في الرّاوية؛ إذ لعبتْ جميعها دوراً مهمّاً بوصفها صيّاغات يعيدها القارئ حسب آليّة التّأويل لديه، والأمر المهمّ أنّها تفتح أفق التّوقّع المستمر، وتكشف عند القارئ المسؤول الدّلالات الوسيطة بينه وبين المعنى المضمر.

استهلالات نجوم "الأوريغامي" تمثّل أحد أنواع الخطاب المنطوي على جمال اللّغة وجاذبيّة البناء وفق معمار الرّاوية بأسلوب متفرّد، وأثارتْ رؤىً أو رسائل افتتاحيّة لكلّ فصل من فصول الرّاوية، على الرّغم من أنّها تُكتب لتنتظر محوها على حدّ قول "جاك دريدا" في مؤلّفه "التفكيكيّة"؛ الأفضل لها أن تنسى، لكن هذا النّسيان لا يكون كليّاً؛ فهو يبقى على أثره، ليلعب دوراً متميّزاً، وهو تقديم وتقدمه النّص لجعله مرئيّاً قبل أنْ يكون مقروءاً.

لقد شكلّت العتبات الموازية للنّص في رواية "أدركها النّسيان" إضاءات للمتن الرّوائيّ ومسلكاً إغوائيّاً وجماليّاً محفزّاً للقارئ، وهذا فخّ جماليّ ذكي صنعته سناء شعلان لتورّط القارئ في روايتها، وتجذبه إلى عوالمها.

رواية "أَدْرَكَهَا النّسيان" هي رواية متعدّدة الأصوات "بولوليفونيّة"، فتعدّدت الرّؤى الأيدلوجيّة والشّخصيّات والأساليب والمنظورات السّرديّة، أيّ أنّها متحرّرة من المنظور واللّغة والأسلوب؛ بمعنى آخر إنّها متحرّرة من سلطة المؤلّف.

هي تُروى على لسان أكثر من راوٍ؛ إذ هناك الرّاوي العليم الذي يروي من زاوية الحدث إلى جانب الرّاوية الجزئيّة "باربرا" التي تقوم بدور سرديّ للرّاوي العليم في هذه الوظيفة، أمّا الرّاوي البطل "ضحّاك" والرّاوية البطلة "بهاء"، فهما يتناوبان على لعب السّرد ضمن أزمان متداخلة.

كشفت الرّوائيّة عن شياطين الخيال، وعرّت المسكوتْ عنه، والمخفي قسراً في الذّاكرة الجمعيّة للمجتمع الإنسانيّ المتنوّع والمعطوب من الدّاخل.

هذه الرّاوية هي رواية الصّراعات المطلقة بين عناصرها المختلفة؛ فهناك صراع على مستوى الزّمان والمكان والشّخوص والحبكات، وتلعب تقنيّات السّرد وتنويعاتها أدواراً مختلفة ومتباينة في خلق الحدث الذي يتوزّع على أزمان الاستشراف والاستدعاء والاسترجاع، مثل تقنيّة مذكّرات "بهاء" المكتوبة على ورق الأوريغامي "نجوم الأوريغامي" التي يقرؤها "الضّحّاك"، حيثُ قلب مقولة الكتابة ذكر والحكي أنثى؛ فـ"بهاء" هي مَنْ كتبت مذكرّاتها، و"الضّحّاك" يقرؤها؛ إنّه انقلاب شهرزاديّ، ودلالة انقلابيّة على صورة الجندر التي تسيطر علينا دون

مسوّغ، وإنّ المجتمع لا يكتفي بمنح السّلطات للذّكور فقط، بل أوصلوا الذّكور إلى الهيمنة على سلطة الكتابة، وهنا تمثّل آخر لفكرة المسكوت عنه ضمنتها الرّاوية بالإيحاء.

الرّاوية مخترقة لتعيّن الزّمان والمكان في حالة إغفال مقصودة لتعينهما؛ من أجل تعميم التّجربة الإنسانيّة، وتوزيعها على الإنسانيّة كاملة، وذلك عبر رصد ستين سنة من عمر بطلي الرّاوية "الضّحّاك" و"بهاء"، وهي فترة زمنيّة محمّلة بتجارب إنسانيّة ومخاضات تاريخيّة عربيّة مهمّة.

هنا ترسيخ واضح لتعريف السّرد على أنّه تجربة زمنيّة مدركة، أو كما يقول "بول ريكور": إنّ كلّ تصوير سرديّ يتضمّن بالضّرورة إعادة تشكيل تجربتنا الزّمنيّة، وأيّاً كان المعمار الشّكليّ للسّرد، فهو نتاج الزّمن الذي يشكّل بنية الرّاوية".

الزّمن في رواية "أَدْرَكَهَا النّسيان" زمن نفسيّ لا اصطلاحيّ، أيّ أنّه زمن إدراكيّ متعدّد الأبعاد، ويرتبط بتجارب وعواطف أبطال الرّاوية، وطبقاً لنظريّة "جيرار جينيت" يُعدّ الزّمن بما تحمله الرّاوية بالوعي الخاصّ بالزّمن متضمّناً زمن الحكي والمحكي والقراءة، "إنّ طريقة بناء الزّمن في النّص الرّوائيّ تكشف تشكيل بنية النّصّ، والتّقنيّات المستخدمة في البناء، وبالتّالي يرتبط شكل النّصّ الرّوائيّ ارتباطاً وثيقاً بمعالجة الزّمن الرّوائيّ، يعني بلورة بنية النّصّ". (٥)

إذن الزّمن في "أَدْرَكَهَا النّسيان" اتّخذ أشكالاً عديدة وفقاً للأحداث وحركة الشّخوص، وأخيراً ما زال العالم الذي يعيد السّرد تصويره عالماً زمنيّاً، فإنّ

السّؤال الذي يُثار حول مدى المعونة التي نتوقعها من تأويليّة الزّمن المرويّ من ظاهرية الزّمن." (٦)

ما زال أنّ الزّمان والمكان هما عنصرا الوجود المتلازمان، وأساسا الوجود، فإنّ الزّمان والمكان هما عنصران رئيسان في تشكيل النّصّ وحركة الأشخاص والأحداث، وعليه يصبح النّصّ الرّوائيّ مستقلاً عن الواقع، وله حيات الخاصّة به.

في هذه الرّواية "يتخذ المكان دلالته التّاريخيّة والسّياسيّة من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، وهو يتّخذ قيمته الكبرى من خلال علاقته بالشّخصيّة". (٧)

إنّ ما ينتج بين الشّخوص من علاقات تنطبق ذات الرّؤية على علاقة الشّخوص بالفضاء السّرديّ ومحتوياته تلون رؤية الكاتب، أيّ أنّها تتضمّن التّصوّرات المكانيّة والزّمانيّة للحكاية.

إنّ الفضاء الرّوائيّ هو أكثر من مجموع الأمكنة الموصوفة، وهو يتحدّد بالمكان في زمان محدّد، فالفضاء الرّوائيّ يتكوّن من الزّمن الرّوائيّ والمكان الرّوائيّ.

"الفضاء الرّوائيّ ينشأ من خلال وجهات نظر متعدّدة؛ لأنّه يُعاش على مستويات متعدّدة، منها الرّاوي بوصفه كائناً مشخّصاً وتخيليّاً أساساً، من خلال اللّغة التي يستلمها الرّوائيّ لتحديد المكان والزّمان والشّخصيّات التي تحتويها أحداث الرّاوية، والقارئ الذي يدرج بدوره وجهة نظره". (٨)

هذه الرّاوية تقدّم ذلك ضمن دائرة شخصيّة ضيّقة تنحصر في حكاية الحبّ والفراق التي جمعتْ بطلي القصّة على المستوى الظّاهريّ، في حين أنّ البنية الدّاخليّة التي تحمل المعنى الغائب للرّواية هي تقدّم مشاهد زمنيّة وتاريخيّة للمنطقة العربيّة وللإنسان العربيّ ضمن منظومة كبيرة من العلاقات وحركاتها.

الرّاوية قائمة كلّها على تقنيّة القطع السّينمائيّ، حيث هناك مشهديّة الحدث بشكل اللّقطة السّينمائيّة .

"أَدْرَكَهَا النّسيان" هي –بحقّ– رواية الإثارة والدّهشة والإبهار على الرّغم من أجوائها الكابوسيّة والانتهاكات التي اعترتْ حياة بطلي الرّاوية، وتعريتها لهشاشة عالمنا الإنسانيّ المخادع والمكايد والأنانيّ.

"أَدْرَكَهَا النّسيان" رواية حبّ وانسحاق مصائر واغتراب وحرمان وضحايا حروب معلنة وخفيّة وبوح؛ "والبوح مثل العري لا يكون إلاّ أمام الذّات أو توأمها"، كما قالتْ "بهاء" في هذه الرّواية.

في هذه الرّاوية عوامل النّجاح الذّاتيّة والموضوعيّة كلّها، والأمر المهّم فنيّاً هو أنّها مثّلتْ شكلاً جديداً ضمن تيار الرّاوية الجديدة في المشهد الرّوائيّ العربيّ الحالي، وهب تحتاج إلى قراءات متعدّدة، وأنا متيقّن من أنّها ستنال استحقاقها الإبداعيّ من القرّاء والمهتميّن بالرّاوية العربيّة.

الإحالات:

*- أدركها النسيان: د. سناء شعلان، ط١، أمواج للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٨

١- الرّاوية الجديدة والواقع: مجموعة كتاب ترجمة سعيد بنحدو، ط١، كتاب الدّوحة، الدّوحة، قطر، العدد ٩١

٢- التّجريب في الرّاوية العربيّة: تأليف خليفة عليوفي، ط١، الدّار التّونسيّة للكتاب، تونس، تونس، ٢٠١٢

٣- شعريّة القبح في رواية "تفكك" رشيد بوجدر دراسة تحليليّة: أ. ليلى بوعكاز، مجلّة الأثر الجزائريّة، الجزائر، الجزائر، العدد ٢١، ٢٠١٤

٤- سياسة الشّعر: أدونيس، دار الآداب البيروتيّة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥، ط١

٥- الزمّن في الرّاوية العربية: مها حسن القصراويّ، ط١، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان.

٦- الزّمان والسّرد والحبكة: تأليف بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي وفلاح رحيم، جزء١، ط١، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦

٧- الرّاوية العربيّة الحديثة: محمد الباردي، ط١،، دار الحوار، اللاّذقيّة، سوريا، ص٢٣٢

٨- دلالات الفضاء الرّوائيّ في ظل معالم السّيميائيّة: أطروحة دكتوراة: د. عبدالله توام، جامعة أحمد بن بله، وهران، الجزائر، ٢٠١٥

"٢"

رواية "السّقوط في الشّمس" وتيار الوعي في السّرد

لقد أسّست الرّوائيّة سناء شعلان معمارها السّرديّ في هذه الرّواية على الاسترجاع والحلم والمونولوج وفق تيار الوعي السّرديّ من خلال بوح بطلة الرّواية العاشقة عبر الميتا سرد وصوره النّاشئة من البُنى والأنساق الفنيّة داخل الرّواية التي ترويها البطلة العاشقة لتؤكّد لنا أنّ الجمال ليس كائناً في الشّيء المادي، وإنّما يتعلّق بحالات شعوريّة أو بخبرات ذاتيّة لتجربتها وللشّخوص الموجودين والحاضرين حولها في النّص.

إذا كان العمل الفنّي والسّرديّ يشبه الحلم، عندها تصبح اللّغة إشاريّة رمزيّة، ويسمو العمل السّرديّ في قدرته على التّعبير عن اختلاجات النّفس الفرديّة للبطل وانعكاسها على القارئ "التّداعي الحرّ"؛ لأنّه يملك ذات الذّاكرة والعواطف والخيالات التي يبحث دلالاتها الباطنيّة التي تبدو متناقضة مع ظاهرها، ومن هنا يأتي الإدهاش للصّور السّرديّة وإعادة تخيّلها وفق الواقع السّرديّ النّاشئ بوصفه معادلاً موضوعيّ للواقع، ويغدو من الضّروري أن نبحث عن معانٍ حقيقيّة جديدة عن العشق والحبّ، وهي لا تقلّ قيمة في التّأثير السّيكولوجيّ والجماليّ.

إنّ تقنية التّبئير الدّاخليّ قد شكّلتْ رؤية لشخوص الرّواية من وجهة نظر الرّاوي البطلة نفسها، ويبلغ التّبئير ذروته وحدوده القصوى في المونولوج

الذي يستحضر شخوص الرّواية، ويقدّم حالاتهم النّفسيّة بشكل انسيابيّ للذّهن، ويفتح أبواب الكينونات الإنسانيّة المغلقة.

يُعرف هذا النّمط السّردي بـ"تيار الوعي"، وهو يُستخدم للدّلالة على منهج تقديم الجوانب الذّهنيّة للشّخصيّة في القصص، فهو لا يتمّ بالدّرجة الأولى برسم الشّخصيّة من الخارج، لكن يتغلغل فيها بهدف سبر مكنوناتها الباطنيّة ليقدّم صوراً لواقعها الدّاخليّ والنّفسي للشّخصيّة؛ بذلك فإنّ الزّمن لم يعد له مكان.

لقد خصّ النّاقد "روبرت همفري" في كتابه الموسوم بـ"تيار الوعي في الرّواية الحديثة" هذا المصطلح والمنهج السّرديّ بدراسة مفصّلة، ضمّنها أهم الرّوايات التي انتهجتْ هذا الأسلوب السّرديّ، وأبرز الرّواد الذين أبدعوا فيه، أمثال: "جيمس جويس"، و"فرجننا وولف"، و"وليم فوكنر"، وغيرهم، إذ يرى "همفوي" أنّ مجال الحياة الذي يهتم به أدب تيار الوعي هو التّجربة العقليّة والرّوحيّة." (١٠)

من هنا يتّضح أنّ تيار الوعي هو نقل السّرد من نمط إلى نمط مغاير فرضته ضرورات حضاريّة وفكريّة ونزعة تجريبيّة ملازمة للرّواية.

لقد استقرّ تيار الوعي عند الرّوائيين العرب بعد التّغييرات الكبيرة في الواقع السّياسيّ والاجتماعيّ بوصفه حاجة للتّعبير عن شخصيّة "البطل الرّوائي" من الدّاخل وفق تجربة ووعي الرّوائيّ، وظهر ذلك جليّاً عند الرّوائيين العرب بوصفه نمطاً جديداً، أمثال: نجيب محفوظ، وعبد الرّحمن منيف، والطّيب صالح،

والطّاهر وطّار، وعبد الحكيم قاسم، وغسّان كنفاني، وإسماعيل فهد إسماعيل، وآخرين كثر.

العشق والايروتيكيّة والشّبق المحرم:

إنّ المتابع للأديبة سناء شعلان ولمنجزها الإبداعيّ يدرك أنّ أغلب أعمالها قائمة على ثيمات الحبّ والعشق والأيروتك بصفته هبة الآلهة عبر الأساطير التي وصلتنا، لكن مجتمعنا الذّكوريّ قلب المعادلة رأساً على عقب، وجيّره لمصلحته، واحتكر حتى تفسير المقدّس لصالحه بسبب النّزعة السّلطويّة التي تسود مجتمعاتنا الذّكوريّة غير المتصالحة مع ذاتها.

لكن في الآونة الأخيرة بدأت المرأة ترفع صوتها على المسكوت عنه منذ قرون، محاولة تخفيف وطأة القمع من خلال الكتابة؛ فظهر جيل من الكاتبات الرّوائيّات اللّواتي يكتبن في الأيروتيك والعشق على الرّغم من المنع من ذلك؛ بسبب النّظر إليه على أنّه أدب سوقيّ يسعى لإثارة الغرائز، علماً بأنّنا نحبس تراث ضخم لا يمكن تصوّره. لكن نتيجة نكوص مجتمعاتنا بقي حبيس الغرف المظلمة أو المنع أو محصور بين الرّجال الذين ما فتئوا يتمسّكون بولايتهم على المرأة بوصفها جزءاً أصيلاً من ملكيّاتهم لأيّ سلعة أخرى يقتنونها، ليمنعوا عنها حريّة التّعبير والكتابة أو إثبات ذاتها الإبداعيّة في السّرد والشّعر والفنّ.

تُعدّ الأديبة سناء شعلان واحدة من أبرز الكاتبات والرّوائيّات العربيّات اللّواتي قلبن المعادلة الاستبداديّة للسّلطة الذّكوريّة ومقارعتها إبداعيّاً من أجل التّحرّر من العبوديّة بسردياتها المتعدّدة قصّاً وروايةً ومقالاً دون أن تسقط

نصوصها في الابتذال والسّطحيّة بعيداً عن الانـزلاق في البورنوغرافيّـة المقـزّزة والمتهتكة.

لقد ولدتْ روايتها "السّقوط في الشّمس" بلغـة أيروسـيّة فائقـة الشّـعرية مـن خلال تفاصيل السّرديّ والتّخييل والاحتفال بالأنـا المثاليّـة الـتي تجاهـد "البطلـة" باسترداد الإشباعات النّرجسيّة الأولى، لكن بمجـرّد أن تفقـدها تتمنّـى التّحليـق بعيداً نحو الشّمس "جسدي لا زال يشعر بالبرد، استلقى بتعـب، طيفـكَ يحضـن طيفي بسعادة بذلك الجسد المسجّى على ذلك المقعد. أحد عمّال المحطّـة يقـترب من ذلك الجسد، ويصرخ مـذعوراً، لا أنتظـر لأراقـب مـا يحـدث، بـل أمسـك طيفكَ، وأحلّق معكَ نحو البعيد. . . نحو الشّمس." (١١)

بطلة رواية "السّقوط في الشّمس" عاشـقة دون حـدود، خـي عاشـقة مثقّفـة قويّة، توظّف قوّتها وثقافتها في صنع عشقها الخاصّ، عشق كُتب عليه ألاّ يكون محقّقاً كما عند العذريين الرّجال." (١٢)

خلاصة القول إنّ المرأة الكاتبة تحاول تحقيق ذاتها إبداعيّاً، وعلى الـرّغم من ذلك لم يكن الطّريق معبّداً ورديّاً وسهل المنال أمامها فـ"الكتابة تكـون أيضـاً واقعاً غامضاً: فمن تولّد بصـورة لا تقبـل النّقـاش مـن مواجهـة بـين الكاتـب ومجتمعه، ومن ناحية أخرى هذه الغائيّـة الاجتماعيّـة تعيـد الكاتـب بنـوع مـن التّوجيه المأساويّ إلى المصادر الصّناعيّة لخلقها. ولّما كان التّاريخ عـاجزاً عـن أن يقدّم للكاتب لغة جاهزة للاستهلاك؛ فإنّه يقترح عليه ضرورة امتلاك لغة تنـتج بكلّ حريّة". (١٣)

لقد جعلت الأديبة سناء شعلان من الكتابة عن الحـبّ وفي الحـبّ حجـز الزّاوية في الحكاية وتكثيف الذّات في نقطة واحدة الذّات العاشـقة، كأنّهـا تريـد

القول للقارئ إنّ الحبّ دائماً قادر على تفسير ما يعجز عنه الواقع، وهذا يؤكّد أنّ الأديب وجدانيّ في المقام الأوّل عبر أصل اللّغة المؤنّثة دون أن تفقد أسباب توازن السّرد الواقعيّ، فكانت بارعة في مناجاة النّفوس لأبطالها وهواجسهم المشحونة بالبوح "وفق تيار الوعي في السّرد" بخطاب "يتجدّد بالحكي بالنّسبة له كتجلٍ خطابيّ سواء أكان هذا الخطاب يوظّف اللّغة أم غيرها.

يشكّل هذا التّجلي الخطابيّ من توالي أحداث مترابطة تحكمها علاقات متداخلة بين الوسائط التي عبرها يتجلّى بوصفه خطاب أمام متلقيه بفرض على ما ذهب إليه بارتْ إنّه يمكن أن يقدّم بواسطة اللّغة أو الحركة أو الصّورة منفردة أو مجتمعة بحسب نوعيّة الخطاب الحكائيّ، وبهذا المعنى عندما نتحدّث عن الخطاب الحكائيّ يكون حديثاً عامّاً، أي منطلقه المركزيّ الحكي أيّاً كان وسيط تجلّيه". (١٤)

جسد اللّغة ولغة الجسد:

يسعى الرّوائيون باجتهاد دائم إلى الوصول إلى أعلى درجات الشّاعريّة باللّغة ورسم الصّور السّرديّة التي ستنتهي بقراءة المتلقّي لها عبر خاصيّة التّخييل بلذة ومتعة، وهذا الهدف الذي يحقّق الإدهاش والانفعال الجماليّ عند القارئ، فإنّ السّردي "الحكي هو لغة تركيبيّة بشدّة، تقوم بصورة أساسيّة على قواعد التّشابك والتّضمين، وكلّ نقطة من الحكاية تشع في اتّجاهات عديدة وفي وقت واحد". (١٥)

استطاعت الرّوائيّة سناء شعلان أن تجعل كلّ نقطة من حكاية عاشقة "بطلة الرّواية" تشعّ في اتّجاهات عديدة، ويحتاج هذا إلى حرّيّة ليكون التّشويق

والإدهاش متحقّقاً، فأصبحت الحكاية تشعّ باتّجاهات متعدّدة من خلال الرّمز والدّلالة التي نتلقاها عبر مخيلتنا للصّور السّرديّة المتدفّقة وتحقيق وظيفة السّرد بتشكيل متوالية محكاتيّة للواقع النّصيّ لنقل انفعالات ومصائر وشبق أبطال الرّواية، هذا كلّه يصلنا من خلال اللّغة وانزياحاتها لتعود إليها "للرواية"، هذا كلّه يحدث من خلال اللّغة التي تُعنى بوظيفتين العقليّة "الذّهنيّة"، والوظيفيّة الانفعاليّة، ولا يتمّ تفكيكها إلاّ من خلال المتلقّي"القارئ".

إنّ من الإشكاليّات المزدوجة في الأدب النّسويّ العربيّ – وإن كنتُ لا أميل إلى هذا المصطلح الإشكاليّ- هو فرض لغة محدّدة على المرأة دون الرّجل بما في ذلك من إقرار بالاستلاب والإخضاع بحجج المقدّس والتّابو الاجتماعيّ، فُتفرض عليها لغة لا تعبّر عن ذهنيّتها وانفعالاتها.

هذا ما كسرته المرأة الكاتبة في الآونة الأخيرة باتّخاذها من الكتابة سلاحاً مشهراً في ردّ الاعتبار لها في التّواصل بمحيطها بوصفها ذاتاً إنسانيّة فاعلة في سبيل كسر عزلتها، "ولا تخلو لغة من كلمات تفصح عن الحضور الجنسيّ فيها: سلوكاً متنوّعاً، وأداء لفظيّاً وتعبيراً لغويّاً، وصياغة دلاليّة، أو منحى وصفيّاً مجازيّاً". (١٦)

إنّ حريّة المرأة بالتّعبير عن أفكارها إبداعيّاً وجماليّاً والتّعبير عن كينونتها الإنسانيّة لا يعني الدّعوة إلى التّعري وإشاعة الرّذيلة، ومن حقّ المرأة التّعبير عن حاجات غريزيّة وجسديّة دون قمع فكريّ وسيسيولوجيّ مظهريّ، والتّعامل معها بوصفها عورة حتى في الصّوت والكتابة الإبداعيّة والتّعبير عن ذاتها في معظم المجتمعات العربيّة والإسلاميّة متناسين أنّها أصل الوجود والإنسانيّة على كوكبنا، ومتناسين كذلك أنّ اللّغة تنطوي على الشّبق والسّعار والشّهوة المتكومة

في المجاز، لكن روح القمع والإقصاء عطّل لغتهم، فباتوا أحادي النّظـرة والفكـر حتى في اللّغة، مستسلمين للتّخلّف والبلاهة؛ فهم لم يكلّفوا أنفسهم عناء قـراءة التّراث الدّينيّ والإنسانيّ، فباتتْ تصوّراتهم منقوصة في فهم أنّ الجـنس مطلـب جسدي أصيل، وما اعتقادهم أنّ العشـق رذيلـة والحـبّ تـابو إلّـا تأكيـد علـى نكوصهم المريع ليس في الإنسان سوى ما يجسّده هو حقيقة وجـوده، ومـا يعبّـر عنه، ويدخل في حكم القيميّ وحتى المتعالي أو الماورائي امتداد لجسده.

اللّغة ذاتها تتلبّس الجسد، بل ترقى إلى مستوى الكائن الحي، كـائن مجسّـد، نورانيّ شبحيّ عفريتي ملائكيّ مسوخيّ غرائبيّ، وكلّ ذلـك بفعـل الجسـد هـذا الذي فيه وعبره عاش أسلافنا، ونعيش نحن فيه، وسيعيش سوانا بكـلّ مـا بثثنـا فيه من متناقضات". (١٧)

الإحالات:

١- السّقوط في الشّمس: سناء شعلان، ط١، دار اليازوريّ للنّشر والتّوزيع، عمّـان، الأردن، ٢٠٠٥
٢- نفسه: ص٣
٣- نفسه: ص٥
٤- رواية السّقوط في الشّمس: الكتابة عـبرة الـذّاكرة المسـكونة بالشّـتات، طـاهر البربـريّ، القاهرة، مصر.
٥- السّقوط في الشّمس: سناء شعلان، ص١٤
٦- نفسه: ص٥٦
٧- نفسه: ص٦٠
٨- نفسه: ص٩٤
٩- نفسه: ص١٣١
١٠- تيار الوعي الإرهاصات الأولى للرّواية الجديدة: أ. سليمة خليل، مجلّـة المخـبر، العـدد السّابع، الجزائر، ٢٠١١
١١- السّقوط في الشّمس: سناء شعلان، ص٢٦٩
١٢-رواية السّقوط في الشّمس لسناء شعلان: المرأة تصـنع تمثالهـا الخالـد وتعبـده: حكمـت النّوايسة، عمّان، الأردن.
١٣- في الأدب والكتابة والنّقد: رولان بارت، ترجمة عبد الـرّحمن بـوعلي، ط١، دار نينـوى للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ٢٠١٤
١٤- تحليل الخطاب الرّوائيّ: سعيد يقطين، منشورات المركز الثّقافيّ للطّباعـة والنّشـر، ط٣، بيروت، لبنان، ١٩٩٧
١٥- من البنيويّة إلى الشّعريّة: تأليف رولان بارت وجيرار جينيت، ترجمة د. غسّـان السـيد، ط١، دار نينوى للدّراسات والنّشر والتّوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠٠١
١٦- الشّبق المحرّم انطلوجيا: النّصوص الممنوعـة: إبـراهيم محمـود، ريـاض الـرّيس للنّشـر، القاهرة، مصر، ٢٠١٥
١٧- المصدر نفسه.

"٣"

قراءة مضادّة في رواية "أَعْشَقُنِي" [١]

"إنّ في وسع النّقد -بالضّبط عبر اعترافه بأنّه لغة وحسب "الصّورة أكثر دقّة لغةً ورائيّةً- أن يكون بمثابة مفارقة ضدّيّة، لكن بأصالة، موضوعيّاً وذاتيّاً، تاريخيّاً ووجوديّاً، كلياتيّاً وتحرريّاً؛ فاللّغة التي يختار النّاقد أن يتحدّث بها ليستْ هدية السّماء، بل هي واحدة من عدد من اللّغات التي يقدّمها موقعة في الزّمن، وهي موضوعيّاً، المرحلة الأخيرة من تطوّر تاريخيّ للمعرفة والأفكار والشّبوبات الفكريّة أنّها ضرورة، ومن جهة أخرى فإنّ كلّ ناقد يختار هذه اللّغة الضّروريّة تبعاً لنسق وجوديّ ما، بوصفه وسيلة لممارسة وظيفة أدائيّة فكريّة تخصّه وحده واضعاً في هذه العمليّة ذاته الأعمق، أيّ تفضيلاته ومتعة مقاومته، وأشكال هوسه.

بهذه الطّريقة يحتوي العمل النّقديّ ضمن ذاته على حوار بين موقعين تاريخيين وذاتيين اثنين؛ موقع المؤلّف وذاتيّته، وموقع النّاقد وذاتيّته، لكن هذا الحوار يكشف تحيّزاً كاملاً نحو الحاضر؛ فالنّقد ليس تحية إجلال تؤدّى لحقيقة الماضي أو لحقيقة الحاضر الآخر، بل هو نظم لذلك الجلي المدرك في زمننا نحن." [٢]

"أَعْشَقُنِي" رواية عشق وحب مجوسيّ؛ "أنا أحبّ إذن أنا موجود"، وخيال علمي في آن معاً، تقع أحداثها زمنيّاً في الألفية الرّابعة، وفي مكان ما زال العلم يحثّ الخطى لسبر أغواره بالوصول إليه لاستيطانه، فتستبقهم الرّوائيّة سناء

شعلان بخيالها بأن تمسح درب التّبانة، حيث يعيش العاشق المتحوّل جنسيّاً في أحد كواكبه بعد الخلاص من ستّة حروب كونيّة اقتلعت الإنسان من الأرض التي نعيش عليها باستدعائها بُعداً كونيّاً خامساً كما تعرفه ببعد الحبّ بعد أن تعبت البشريّة من سلطة الكراهيّة والحروب التي قضت على أحلامها وآمالها وخلّفت الدّمار والظّلم.

إنّ رواية "أَعْشَقُنِي" رواية إشكاليّة بمعنى الكلمة منذ العنوان الأوّل الرّكن الأساسيّ للعمل السّرديّ وعلاقته التّرابطيّة مع النّصّ السّرديّ؛ وهذا قد أوقع كثير من القراء والنّقاد في الإيهام المقصود من لدن الرّوائيّة لإثارة مخيلة القارئ، وإدخاله في متاهة المعنى مصرّاً على مواصلة تيهه اللّذيذ؛ فبدأ يفتشّ عن عائديّة الفعل "أَعْشَقُنِي" المرهون بالنّطق والسّماع مثيراً السّؤال عند المتلقي هل "أَعْشَقُنِي" عائدة "للأنا" السّاردة المتخفيّة وراء النّصّ "الكاتبة" أم "لأنا" بطل، أو بطلة الرّواية؟

إنّها متاهة تثير المتعة وتستفزّ المخيّلة في البحث عن دلالات "أَعْشَقُنِي"، ومن هنا تنشأ "خيبة الانتظار/ أفق انتظار القارئ "المتلقّي"، ويسمّى هذا الفارق بين كتابة المؤلف وأفق انتظار القارئ بالمسافة الجماليّة وفق "ياوس" التي عرّفها بالبعد القائم بين ظهور الأثر الأدبيّ نفسه وافق انتظاره عند القارئ منذ المدخل الأوّل "العنوان"، وأنّ طبيعة القراءة وآلية التّأويل التي تسعى إلى لوصول للفهم وفق مدارك القارئ"الفهم يتضمّن دائماً بداية التّفسير، أيّ التّفسير صياغة المعنى تدمج الإدراك أيضاً. (٣)

"القارئ حرّ في فتح العمليّة الدّلاليّة للنّصّ، وإغلاقها دون أيّ اعتبار للمدلول في سبيل نيل لذاته من النّصّ، وعلى نحو يكون فيه قادراً على خلق سياقات مؤتلفة ومختلفة، وعلى شاكلة أن تكون فيها كلّ قراءة بمثابة تحدٍّ لذاكرة

القارئ الذي يتابع حين يشاء تقلّبات الدّال، وهو ينساب مراوغا لقبضة المدلول لأنّه قارئ يملك مطلق الحريّة لربط النّصّ بأنساق من المعنى في منتهى اللّذة والمتعة، الأمر الذي يمكّنه في إعادة إنتاج المعنى". (٤)

إنّ القراءة النقديّة لأيّ عمل أدبيّ تسعى إلى الكشف عن الأبعاد الجماليّة ورصدها معتمدة على رصيد القارئ "النّاقد" وعلى معرفته السّيوسولوجيّة والثّقافيّة وإطلاعه على المدارس النّقديّة المختلفة لكسر احتكار النّقد بالمعنى، بل أصبح القارئ مكمّلاً في الصّنعة الخياليّة للنّصّ من خلال رصيده المعرفي و"نزاهته الجماليّة".

إذن نحن في إزاء عنوان إشكاليّ مبني على التّلغيز الذي يثير فضول القارئ في تتبّعه للوصول إلى المعنى الكامن لغويّاً فيه؛ لأنّه عنوان إيحائيّ متعدّد الانتساب، وعلينا تفكيكه من خلال قراءة الرّواية، هذه لعبة ذكيّة بامتياز فرضتها الرّوائيّة عبر "العنوان"، وأجبرتنا على الدّخول إلى المفتتحات الدّاخليّة للرّواية التي نكتشف أنّها رواية خيال علميّ، لكنّها بذات الوقت روايّة حبّ رومانسيّ من الطّراز الأوّل، وهي مكتوبة بلغة شاعريّة فيها انزياحيّة واسعة من المجاز والرّمزيّة والإثارة، وهذه إشكاليّة أخرى نقف إزاءها؛ لأنّها تتطّلب حضور لغة معجميّة معروفة عند القرّاء بالخبرة العامّة للعلوم الطّبيعة الفيزيائيّة والطّبيّة وبديهيات الزّمن التي شكّلت نزعاً حدثيّاً ورؤيّاً في الرّواية في الزّمان والمكان، وشكّل العنوان عنصراً مشوّقاً يهدّد القارئ بالتّشويش "فالتشويق إذن" لعب مع البنية؛ لأنّه كذلك مقدور له أن يخاطر بها، وأن يمجّدها- إنْ جاز القول- فهو توتّر حقيقيّ للمدرك، هو إذن يمثّل النّظام في هشاشته، وليس السّلسلة، فإنّه يتمّم فكرة اللّغة نفسها، فيما يبدو مثيراً للعاطفة أكثر، هو الأمر الذي يبدو أكثر فكراً؛فالتشويق إنّما يأخذ بتلابيب الذّهن". (٥)

هكذا أمسكت الرّوائيّة بذهن القارئ وتلابيبه بغض النّظر عن التّأويل المتولّد للفعل "أَعْشَقُنِي" رأس النّصّ المسرود ودلالته المتنافرة بوصفه فعلاً يتلاعب بالقارئ، لكنّه عشق ليس نرجسيّاً؛ لأنّه من أجل آخر أُعدم من الوجود الماديّ، ليظهر في الوجود النّفسيّ والشّعوريّ، كما نعرف لاحقاً في أحداث الرّواية، ليس مثل عشق "نكوريسس- نرجس" الذي يلقي نفسه في النّهر بعد أن شاهد صورته كما أخبرتنا الأسطورة الأغريقيّة.

لقد نجحت السّاردة بطريقة أو بأخرى بترقيق اللّغة وشعرنتها دون إرباك بنية المحكي آخذة بالحسبان الحفاظ على المصطلحات العلميّة، علماً بأنّ النّصّ العلميّ مظهر من مظاهر العقل والنّصّ الأدبيّ السّرديّ مظهر من مظاهر العاطفة، كما أنّ النّصّ العلميّ أساسه محتوى الموضوع، في حين النّصّ الأدبيّ أساسه شكل الموضوع، وهذه الإشكاليّة التي حلّتها سناء شعلان باللّغة، ونجحتْ فيها من خلال تمكّنها اللّغويّ وأسلوبها المشوّق، لا سيما أنّ اللّغة وسيلة في إنتاج المعنى وتفجير طاقاتها الإيحائية والدّلاليّة لخلق الصّورة السّرديّة بغية الوصول إلى أعلى تعبير عن الفكرة والانفعال الجماليّ وترسيخ الخطاب الخياليّ للرّواية، وهي تعرض عليه مرآة بنيتها الخاصّة؛ لتؤكّد أنّ السّرد بوصفه أدباً يصنع لغة من شروط اللّغة نفسها بوصفها أداة تخيليّة.

الذّات عينها بوصفها آخر:

من خلال تحوّل بطل الرّواية إلى كائن مزدوج الجنس "يعشق" نفسه "ذاته" يظهر جليّاً لنا (دياتلتيك) الوجود والعدم للذّات والآخر الذي لا يتحقّق إلاّ بوجود أنا أخرى، وهذا التّناقض الظّاهري لـ "أَعْشَقُنِي" يدخلنا في مسألة فلسفيّة للأنا أو الذّات والآخر، وهي احتجاج على الواقع الهمجيّ لقتل بطلة الرّواية في

حقيقة الأمر أنّ "أنا" البطل هي مثلثْ عينها بوصفها آخر لإحضار الوجود بكامله التّعالقيّ مع الذّوات "بين وجود الإنسان بوصفه حرّاً، فلا يتعلّق الأمر هنا بمواجهة مسألة لا أن يمكن علاجها علاجاً مستقصى إلاّ على ضوء إيضاح دقيق للوجود الإنسانيّ، بل علينا أن نعالج الحرّيّة في ارتباطها بمشكلة العدم وبالقدر الدّقيق الذي به تكون شرطاً لظهوره" (٦)؛ فموت البطلة بقي متّصلاً شعوريّاً كذات حاضرة بعشيقها الذي يحمل بجنينها بعملية طبيّة.

إنّ الوعي بدلالات النّصّ وتأويلها "والبحث عن المعنى القصديّ الذي يخفيه المؤلّف في مكان ما من نصّه؛ لذلك فقد احتضن التّأويل اتّجاهاته الفلسفيّة والأدبيّة الذّاتيّة والشّخصانيّة الظّاهرانيّة التي تهتمّ بذوات المؤلّفين في محاولاتهم لترميم المعاني الكامنة ضمناً في نصوصهم، غير أنّ هذا التّأويل تعدّد وانقسم." (٧)

هذا ما فعلته رواية "أَعْشَقُنِي" في تفعيل ما وراء التّأويل وضدّ التّأويل وتأويل التّأويل "بمعانيه اللّغويّة والنّصّية والتّشريعيّة، ومتاهة "أَعْشَقُنِي" الأخرى هي البحث في عوالمها ومساراتها الزّمانيّة والمكانيّة والوجوديّة، هذه العوالم بنتها الرّوائيّة بواسطة خيال علميّ استشرافيّ لا يمكن إنكاره، مثلما أعدمت الإحساس بالواقع المادي لتخلقه سرديّاً؛ لنعيش إشراقات ذهنيّة تبدو أكثر بعداً عن الخيال المحض، وأقرب إلى التّفكير العلميّ المنظّم للمنهجيّة بتوقّع لأحداث المستقبل وفق التّطوّر العلميّ الذي تشهده الإنسانيّة علميّاً وتكنولوجيّاً.

بين الخيال والفنتازيا:

إنّ طرح بدائل لمشاكل الإنسان اليوم وفق رؤية سرديّة خياليّة متطابقة مع اختياراته التي يتمنّاها هي التي تقودنا إلى تشكيل الصّورة النّهائيّة للمستقبل

باختيار واعٍ للتنبّوءات وتجسيد مفهوم الاستشراف العلميّ، وإن كان متأتياً من خلال الخيال السّرديّ الذي يبدو مقبولاً ومتطابقاً مع الخيال العلميّ، وهذا يتطلّب منا عدم الوقوع في إشكاليّة المصطلح الملتبس عند البعض بين الخيال العلميّ والفنتازيا.

"واقع الأمر أنّ الخيال العلميّ كان دائماً أساس العديد من الاختراعات الباهرة والإنجازات التقنية غير المسبوقة، ومن ميّزات هذا النّمط من الخيال الموصوف بالعلميّ أنّه لا يكون خيالاً صرفاً متفلّتاً من كلّ قيد، بل خيالاً منضبطاً ومتّصلاً بالعلم ونظرياته"(٨)، وعكس الفنتازيا التي يكون فيها ارتباط بالواقع المعاش بشكل أو بآخر، وأن يقوم على الظّواهر الخارقة والمثيولوجيا والأساطير والخرافات.

التّحوّل الجنسيّ أو المسخ:

إنّ موضوع التّحوّل الجنسيّ ليس بجديد في الرّواية العالميّة والعربيّة، وموجود بكثرة في ألف ليلة وليلة، والقصّ العالميّ ومنبع قصص الخيال المحض والعشق والفنتازيا بتلاوينها جميعها، كذلك نجده في الأساطير السّومريّة والبابليّة والإغريقيّة والفرعونيّة وقصص القرآن.

اعتمدتْ روايات كثيرة في العالم على موضوع تحول الجنس البشريّ من كائن إنسانيّ إلى مسخ آخر كما في رواية فرانتز كافكا الرّائعة "المسخ" الذي يستيقظ ليجد نفسه قد تحول إلى حشرة ضخمة، أو في رواية "قلب كلب" لـ "ميخائيل بولغاكوف"؛ إذ تبيّن لنا تجربة البروفسور "بريو برافنسكي" بنقل غدّة

نخاعيّة من رجل قُتل حديثاً إلى دماغ كلب، فيتحوّل الكلب إلى رجل دميم مسخ.

إنّ اختلاف رواية "أَعْشَقُنِي" في تحويل جنس البطل إلى امرأة حامل لم تكن قائمة على الفنتازيا، بل على خيال علميّ ممكن؛ لأنّنا نعيش لحظة زمنيّة مختلفة في التّطوّر العلميّ غير معهودة يمكن تصديق مثل هذا التّحوّل ولو بالخيال الذي برّرته الرّواية كما ذكرنا استشرافيّاً وعلميّاً، دون أن نغفل أن هذه الرّوايات تشترك في تعرية القهر الإنسانيّ والظّلم وإبراز المشاعر الإنسانيّة لإدراك معنى الطّغيان السّائد، إنّها فنتازيا سوداء فاضحة قد استخدمتها الرّوائيّة بمنطقة الخيال الاستشرافيّ العلميّ الصّرف، وكانت مقنعة للقارئ لوعي الكاتبة على ما تحكيه وكيفيّة ما تحكي وأسلوب الحكي، أو كما عبّر عنه بوجه الدّقة الرّوائيّ البيروفيّ العظيم" ماريو فارغاس يوسا" حين قال: "إنّ قدرة رواية ما على الإقناع تكون أكبر، كلما بدتْ لقارئها أكثر استقلاليّة وسياديّة، حين يوحي له كلّ ما يحدث فيها بأنّه يحدث بموجب آليّة داخليّة للتّخيّل الرّوائيّ، وليس بقسر تعسفيّ تفرضه إرادة خارجيّة. وعندما تشعر الرّواية بأنّها مكتفية بذاتها، وتتضمّن كلّ ما تحتاج إليه لكي تحيا، فإنّها تكون قد وصلتْ إلى أقصى قدرة على الإقناع، وتمكّنت من إغواء قارئيها، وجعلهم يصدّقون ما ترويه لهم. ويربط "يوسا" فاعليّة الإبداع الرّوائيّ بخاصيتين هما : تّماسك وطابع الضّرورة؛ فالحكاية التي تتضمّنها الرّواية يمكن أن تفتقر إلى التّماسك، لكن الأسلوب الذي يعبّر عنها لا بد أن يتّسم بها، لكي يسمح لانعدام التماسك هذا بالظّهور كما لو أنّه طبيعيّ وجزء من الحياة."[٩]

هذا ما لمسته بوصفي قارئاً للرّواية لأكثر من مرة إضافة إلى كلّ ما تقدم سأدوّن ملاحظتين أساسيتين لما أعتقده في تناول الأعمال السّرديّة نقديّاً أو في قراءة ما يكتب عن النّصّوص.

- ليس من الضّروريّ أن يسرد النّاقد أحداث الرّواية أو القصّة للقارئ قدر الكشف عن العناصر الجماليّة والقيم الفنّيّة للعمل، وعلى القارئ أن لا يجهد نفسه، ولا أن يضيع وقته بما يكتب من دراسات نقديّة قبل قراءة الأعمال الفنّيّة والنّصّوص المنقودة، علماً بأنّ لغة النّقد لا تقلّ قيمة عن لغة النّصّ، وقد عبّر عنها رولان بارت بـ"الميتالغا" بوصفها معادلاً "للميتاسرد" والاستهلال يوضّح ذلك.
- "إنّ دور النّاقد في وضع قدراته الدّينامّيّة في قراءة النّصّوص وميكازينمات البحث في اكتشاف الدّلالات الإشكاليّة المتناقضة في حدود العمل وفضاءاته، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يكون النّقد وفق قوانين قطعيّة كما هو العلم؛ فالفن والأدب يشكّلان حالة وجدانيّة خاصّة يدخل العلم والمعرفة ضمن مكوّنها وتكوين المبدع.

إنّ عمل النّاقد نابع من الفلسفة؛ فهو يبحث عن مكامن الجمال في العمل المنقود، ويصبح مثله مثل الفيلسوف وصلاحياته التي تطالب الفنان بإثبات ما يقوم به هل هو عمل خير أم وسيلة إلى الخير، والجمال هو الخير بعينه وقيم الخير نابعة من الجمال ذاته.

هذا بحاجة إلى إحساس ينطوي على جملة من العوامل المعرفيّة للوصول إلى اللّذة التي نتوخّاها من القراءة حتى في "النّقود" التي نحرص على قراءتها دون انقطاع بعد قراءة أيّ عمل أدبيّ أو مشاهدة أعمال تشكيليّة أو أفلام سينمائيّة.

من هنا فإنّ مهمة النّاقد ليستْ مهمّة وعظيّة أو دعويّة، بل هي بحث في مكامن النّصّ الذي يعدّ أساس الخبرة الجماليّة ومصدرها كما يقول "كلايف بل": "عندما نحاول إدراك العمل الفنّيّ جماليّاً يجب علينا أن لا نتذوّق أو نقيّم العمل الفنّيّ من وجهة نظر اهتماماتنا الشّخصيّة واعتقاداتنا أو عواطفنا أو تحيّزاتنا الثّقافيّة، بل من وجهة نظر العمل نفسه وبناءً على الصّفات أو الكيفيّات الكامنة في الشّكل الدّال؛ فالشّكل الدّال وحده هو أساس الخبرة الجماليّة ومصدرها، بعبارة أخرى أن نتذوّق العمل الفنّيّ موضوعيّاً في ذاته ولأجل ذاته. وهذه هي النّزاهة الجماليّة"(١٠) التي نصل من خلالها إلى أعلى درجات اللّذة في القراءة والانفعال الجماليّ.

رواية "أَعْشَقُنِي" تجربة مضافة إلى أدب الخيال العلميّ في الوطن العربيّ الذي يعاني من الفقر، ولم يوجد كتاب بهذا الضّرب من السّرديّات القصصية والرّوائيّة إلاّ بعدد أصابع اليد الواحدة.

في ظل التّطوّر العلميّ الذي تشهده البشريّة والتّقدّم التّكنولوجيّ نحن بحاجة ماسّة إلى هذا النّوع من الرّوايات آخذين بعين الاعتبار أنّ لكلّ نصّ قوامه واستفراده بوصفه تجربة جديدة مضافة، ولا بدّ أن تقوم من داخل السّياق الثّقافيّ والاجتماعيّ للتّجربة الإنسانيّة.

الإحالات:

١ – أَعْشَقُنِي: سناء شعلان، ط١، مؤسّسة الورّاق للنّشر وللتّوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٢

٢- في الأدب والكتابة والنّقد: رولان بارت، ترجمة وتقديم الدّكتور عبد الرّحمن بوعلي، ط١، دار نينوى للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ٢٠١٤، ص١٥٦

٣- الاتّجاه الأسلوبيّ البنيويّ في نقد الشّعر: عدنان حسين قاسم، ط١، الدّار العربيّة للنّشر والتّوزيع، ٢٠٠١، ص٤٢

٤- النّصّ الأدبيّ وفعل القراءة: قراءة في عاشق فلسطين لمحمود درويش: نعيمة سعديّة، ط١، كليّة الآداب واللّغات، جامعة محمد بخضير، بسكرة، الجزائر، المقال منشور على الموقع الالكترونيّ للجامعة.

٥- مدخل إلى التّحليل البنيويّ للقصص: رولان بارت، ترجمة منذر العياشيّ، ط١، دار نينوى للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ص٨٦

٦- الوجود والعدم: بول سارتر، ترجمة عبد الرّحمن بدوي، ط١، دار الآداب، بيروت، لبنان، ١٩٦٦، ص٨٢

٧- السّيمياء والتّأويل: روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانميّ، ط١، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤، ص٩

٨- الخيال العلميّ أم الفنتازيا: محمود بري، مجلّة أفق الصّادرة عن مؤسّسة الفكر العربيّ، العدد ٢٦ ، ١ تشرين الأوّل، بيروت، لبنان.

٩- خورخي ماريو فارغاس يوسا، وُلد في ٢ مارس من عام ١٩٣٦م، هو روائيّ وصحفيّ وسياسيّ، حصل على جائزة نوبل في الآداب في عام ٢٠١٠، وتُرجمتْ أعماله إلى أكثر من ٢٠ لغة، وحاصد لجوائز عالميّة كثيرة.

١٠ – سقوط السّماء في خان الشّابندر: عبّاس داخل حسن، ط١، دار الجواهريّ للنّشر والتّوزيع، بغداد، العراق، ٢٠١٦، ص١٥

الكثافة الشعريّة وتفاصيل السّرد
في قصص سناء شعلان (بنت نعيمة)

"القصّة القصيرة هي عشقي الأوّل"

سناء شعلان

"١"

تجلّيات العشق والكتابة في قصّة "نفس أمّارة بالعشق" *

"إذا تقادحت الأخلاق المتشابكة، وتمازجت الأرواح المتشابه، ألهبتْ لمح نور ساطع، يستضيء العقل به، وتهتزّ لإشراقه طباع الحياة، ويتصوّر من ذلك النّور خلق خاصّ بالنّفس، متّصل بجوهريتها، يسمى العشق": الأصمعيّ

التّجريب في كتابة القصّة القصيرة ضرورة حتميّة على مستوى الشّكل واللّغة للإمساك بالقارئ "المتلقي" من خلال اللّفظ ومدلولاته في الهدم والبناء ومجازيّة اللّغة والانزياح ورمزيّتها المشحونة بطاقة الدّهشة والمفارقة ومغزاها، وهذا يبدأ منذ الوهلة الأوّلى من خلال العنوان بصفته رأس النّصّ؛ إذ يوليه الكتاب عناية فائقة وأهميّة خاصّة.

عنوان قصّة "نفس أمّارة بالعشق" عنوان مغاير ومفارقة بلاغية لتناصّ متفرّع عن جملة قرآنيّة "النّفس أمّارة بالسّوء من قوله تعالى في سورة يوسف ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [1]، جاء توظيفاً بارعاً لسحب القارئ للبحث عنه داخل النّصّ دون توقف، وهو توظيف جاء موفّقاً جدّاً بصفته مفتاح تقني يجسّ به السّيمولوجيّ والقارئ نبض النّصّ من أجل الولوج إلى أغواره .

قصّة "نفس أمّارة بالعشق" هي انزياح دلاليّ لنّص قرآنيّ معاكس للمعنى الأصليّ أدّى إلى الشّعور بالغبطة والإمتاع والإثارة لاقتباس حقّق المعنى

المعاكس بوضوح؛ فسحبنا العنوان عنوة إلى دلالات متعدّدة القراءات من خلال مواجهة التّقابل المضادّ في استبدال كلمة "السّوء" بـ"العشق" الذي يمثل أعلى درجات الحبّ في لبّ الحياة الإنسانيّة؛ إذ من دونه تصبح الحياة عبثاً وخواء والوجود عماء وعديم الفائدة، وفي هذا المعنى يقول الفيلسوف والعالم الجليل ابن سينا: "واجب الوجود عشق وعاشق ومعشوق".

بفضل العشق وصل المتصوّفة إلى ما وصلوا إليه من آفاق وبلوغ منتهى المنتهى في نصوصهم وأشعارهم وعباراتهم الخالدة التي أثّرت في الإنسانيّة غرباً وشرقاً، ومن خلال هذه القصّة القصيرة للدّكتورة سناء شعلان نجد إعادة لطرح رؤى المتصوّفة وتساؤلاتهم بوعي قادر على التّبرير بسرد مكثف من جديد عن العشق الذي عدّه الصّوفيّة مقام التّوحيد في اتّحاد العاشق والمعشوق بلغة معياريّة وانزياحات شعريّة خارقة حيث تقول الكاتبة شعلان: "من الله أخذتُ نفسي الأمّارة بالعشق". (٣)

العشق الآصرة المتينة التي تربطنا بالخالق المعشوق، وهي من فعل النّفس وفق ما يقول "جالينوس" في مؤلّفه الشّهير"امتزاج النّفوس": "إنّ العشق من فعل النّفس الكامنة في الدّماغ والقلب والكبد".

هنا لابدّ من التّذكير بأنّ الدّكتورة سناء شعلان تؤمن بأنّ العشق والحبّ هما الطّريقان الأوحدان لعبادة الخالق "المعشوق"، ومن خلال هذا العشق نلج باب الاستبصار لنصل إلى الإيمان المؤدّي إلى الحق وإلى الخالق الذي وحده من يحيي، ويميت، ويستبدل الحسنات بالسّيئات.

من خلال هذا الاستهلال نستطيع أن نخمّن أنّ سناء شعلان تريد أن تقطع الطريق على أولئك الكافرين بالعشق والمخلوعين من الحبّ؛ فهي تشهر عن نفسها الأمّارة بالعشق، والله وحده من يغفر لها وللعاشقين.

في هذه القصّة القصيرة كشفتْ الكاتبة عن مهارات في الأداء والأسلوب في الكتابة عن ثيمة العشق من منظور تخيليّ نابع من واقع النّفس، فتخطّتْ بذلك قصص العشق المتعارف عليها، وهذا ما يميّزها عبر تصوّر معرفيّ وفلسفيّ للفكرة، يتحقّق بممارسة واعية لما تكتبه من غير المساس بالمرتكزات الفنّيّة للسّرد الحكائيّ عبر اشتغالات الميتاسرد في مستويات البناء والكشف التّناصيّ وإثراء فكرة النّصّ برؤية الكتابة المفارقة: "لي نفس أمّارة بالعشق، ولي قلب لا يَبْرَم بضعفه الآسر، ولي ربٌّ وحدَه من يغفر خطايا العاشقين، ويبدلهم بسيئاتهم حسنات، ويدخلهم جنات ونعيماً، ولي سيرة هلاليّة يحفظها كلّ مَنْ ركب سَرْجَ قلبه، وشنّ حرباً دامية على كائن آخر اسمه حبيبه، وسيرتي يختزلها كلّ المؤرخين والمخلوعين في حرفي حاءٍ وباءٍ، وبين منحنيات حروفهما وانزلاقاتها تسكن كلّ اللّعنة، لعنة العشق التي توهب مجاناً لكلّ من يملك نفساً مثلَ نفسي". (٤)

كتبت الدّكتورة سناء شعلان كثيراً من النّصّوص والمطوّلات السّرديّة "الرّواية"عن العشق، كما لعب العشق ثيمة رئيسيّة في أعمالها المتعدّدة؛ وهذا نابع من إيمانها الرّاسخ بأنّ من خلال الحبّ والعشق يتخلّص العالم من آثامه وحروبه، ويتطهّر، ويشيع العدل والحق والجمال، فكان لزاماً عليها أن تحفر بلغة شعريّة من أجل أن تأخذ الإيحاءات مسارها عبر الارتقاء بالنّثر إلى مستوى رفيع، حتى يشعر المتلقّي لقصصها عن الحبّ والعشق أنّها تجاربها الخاصّة أو

التي تتبنّاها بمخيلة استثنائيّة وبانزياحات جماليّة، فتدخل وتتسلّل إلى القارئ دون ممانعة رغم التّضاد في المعاني الذي تبدّده مسحة اللّغة الشّعريّة العالية.

هي حريصة على تحويل العمل القصصيّ إلى عمل شعريّ، وهذا ما دأب عليه المتصوّفة في الارتقاء بنصوصهم النّثريّة، أو كما أكّده الرّوائيّ الخالد "غابرييل غارسيا ماركيز" حين قال: "إنّ أفضل القصص هي ما كانت تعبيراً شعريّاً عن الواقع"، وهذا ما تفعله الكاتبة شعلان في جلّ أعمالها التي اطّلعتُ عليها إضافة إلى خصوبة خيالها وامتلاكها تقنيّات حداثيّة في الكتابة السّردية بلغة شعريّة، ومن خلال هدم اللّغة وإعادة تشكيلها، وإبراز صور إيحائيّة ومجازيّة تتمتّع بالتّفرد؛ ليكون العمل مكتمل ومعبّر عن رؤية مغايرة، وهذا نصّ يستحقّ الفوز بجدارة بعناية القراءة.

حميميّة ضمير المتكلم:

اختارت القاصّة سناء شعلان الكتابة بضمير المتكلم لما له من حميميّة عند القارئ، إلى جانب قدرته على تعرية النّفس من خلال "الرّؤية المصاحبة" لخدمة تقنيّة الارتداد السّرديّ، وما يرتبط بحياة بطلة نفس أمّارة بالعشق، وحُقّ لها ما لا يحق لغيرها في تتبّع نفسها الأمّارة بالعشق منذ اللّحظة الأولى بانثيالات وتداعيات تحمل بين طياتها أقدار مأساويّة تريد بها "التّطهر الأفلاطونيّ"، والتّخلّص من الانفعالات الشّاذة من خلال إشاعة العشق في النّفوس المتعبة والمهمّشة؛ لتتطهر القلوب الضّعيفة به: "ولذا حُقّ لي ما لا يحقّ لغيري من حضور لحظة خلقي، كانتْ لحظة تختصر كلّ حكايا العشق، وما أكثرَها من حكايا! لم أكن وليدة لحظة اجتماع رجل وامرأة بل وليدة لحظة اختيار، وامتزاج

روح بأخرى، أنا صنيعة ضَعْف وانتقاء، مِنْ بين ملايين الخيارات في لحظة كنتُ أنا. ولدتُ منذورةً للعشق، ومن له أن يردّ قدره، ويبدِّل نذره؟ (٥)

تؤكّد القصّة على أنّ النّفس العاشقة هي نفس ملهمة أوّلاً وأخيراً، وتملك وعيها وإرادتها، فهي نفس مؤمنة غير منحرفة تحاول جاهدة لكبح شططها وفجورها﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴿٧﴾فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴿٨﴾قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴿٩﴾*وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴿١٠﴾ (٦)

هي نفس غير منفلتة كما يعتقد البعض، بل هي نفس محبّة للجمال والبرّ، وهذا ما عاهدتْ بطلة القصّة نفسها عليه، وأعلنت الحرب عليها، وهذا الوعي بأعلى تجليّاته كاشفٌ عن ماهيّة النّفس العاشقة المشبعة بالتّصوّف الخالص: "عاهدتُ نفسي يومها على كبتْ نفسي الأمّارة بالعشق، وعلى كبح جماحها، وبررتُ بعهدي المقدّس في عرف طهارة الأطفال لأيام أسطوريّة فلكيّة كريهة ثقيلة الخطى، فأصعب ما على النّفس أن تعلن حرباً على ذاتها، ونجحتُ في حربي على الرّغم من كثرة القتلى ومواجع الإعدامات والنّفي والاضطهاد في وجداني.

وأعلنتُ التّوبة على إثمي الأوّل في الأرض، ولكنّني من جديد اشتهيتُ الخطيئة والمعصية واللّعنة، ووقعتُ في حبّ كلّ شيء جميل، وما أكثر الأشياء الجميلة في عينين هما نافذتان على روح تضجّ بالتّفاصيل والألوان والرّوائح واللّمسات والحاجات والأمنيات المؤجّلة والأفراح المسروقة من جنّة الخلد حيث كان مسكنها الأوّل في غامض العدم. (٧)

إنّ الإنسان يبني علاقته بالمقدّس وما حوله من منطلق أنّه متصوّف هو الآخر من خلال العشق الذي لا مذهب له، ولم يكن في يوم ما حكراً على جنس أو أرومة أو جغرافيّة، وبجلاء يقول جلال الدّين الرّوميّ: "دين العشق لا مذهب له، لتؤمن أو لا تؤمن"، هكذا هو العشق يجعلك تحبّ كلّ ما حولك على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم وألوانهم وأعراقهم، إنّه دين ممنوع عند الذين لا يعرفونه، ولم يجرّبوه، أو عند النّفوس الكافرة بالعشق:"في كلّ ليلة احترفت تعاطي الممنوع المهرب من الرّائق الخالص من المشاعر لعشاقي الذين لا يحصيهم عدداً إلاّ الرب في عليائه، أحببتُ كلّ مَنْ قالوا لا، و كلّ مَنْ قالوا نعم تومئ إلى لا، أحببتُ علياً ولما وجيفارا وماو وصلاح الدّين وشجرة الدّر والحلاج وجميلة بوحيرد ومصطفى كامل وعلي الزّيبق ومسرور السّياف ومعروف الإسكافيّ وجعفر الطّيار وابن عربي وديك الجن الحمصي وفارس عودة وجان دارك وهانيبال وإليسار والمتنبي وأبا العتاهية وهوميروس والظاهر بيبرس وفراس العجلوني والشّريف الرضي و نزار قباني وعمر أبو ريشة وفيكتور هيجو و كلّ الثائرين المبتغين الشّمس". (٨)

هذه القصّة على الرّغم من قصرها إلاّ أنّها إضافة جديدة في قصص العشق، ولها حق الرّيادة كما أتى على لسان بطلة القصّة: "واعترافاً بريادتي وتمرّدي، فقد عُيّنتُ رئيسة فخريّة لحزب الحبّ، ولرابطة المشاعر الجيّاشة، ولدارة العواطف، ورئيسة تحرير لمجلة السّعداء، ومستشارة في محطّة المحظوظين الفضائيّة، فضلاً عن تأليف كتاب موسوعيّ عن العشق وطرائقه وأبوابه ومنافذه، وبات شعار مريديّ في الحياة قول الشّاعر:

ما تُبْتُ عن عشقي ولا استغفرتهما أسخفَ العشّاقَ إنْ همُ تابوا !!(٩)

تنطوي على اعترافات لعاشقة حقيقيّة"البطلة هي الكاتبة نفسها "استخدمت مهاراتها اللّغويّة بمعياريّة عالية لإبراز جماليّة في المعنى والاستدلال من خلال النّفس العاشقة التي لا تُدرك بالحواس، بل تُدرك بالعقل، ويستدل عليها بالأفعال والميول وإيمانها المطلق بأن العشق والحبّ هو المخلّص الوحيد للبشريّة من كلّ قبحها ومأساتها، وهي الطّريق الوحيد للجمال والعدل والحق.

جاءت النّهاية أكثراً من مدهشة وغرائبيّة مخالفة لتوقّعات القارئ كلها، وهي مفارقة جميلة، وهذا جوهر الأدب الرّفيع في خلق "مفارقات صافية تتّصف بهدوء وجماليّة في لمحة الفنّ الصّافي" كما يقول توماس مان "في جعل الكتابة والورق بطهر العشق والإيمان، ومن دونهما لا توجد حياة أو هذا قدر لنفس القاصّة الأمّارة بالعشق التي تعيش قيامة انتظارها في محراب العشق لرجال الذين يأتون من خلال الكتابة المرسومين في النّصّوص، وهذا ينبئ عن حنين الأماني التي لم تتحقّق في فعل العشق باشتغالاته كلّها عند المرأة الشّرقيّة لأسباب اجتماعيّة والذّوات المقموعة بفعل أعراف الثّقافة العربيّة، فاستخدمت التّورية والرّمزيّة.

على الرّغم من أنّنا نملك خزيناً هائلاً من قصص الحبّ والعشق تتّسم بجرأة البوح الصّريح بدءاً من ألف ليلة وليلة والأدب الأندلسيّ والأدب الصّوفيّ والأدب العربيّ في العصر الأمويّ العبّاسيّ أنتج أدباً أكثراً شموليّة لأدب العشق والحبّ في أبهى تأثيراًته على النّفس ووعائها الجسد والرّغبات التي تغذي النّفوس لتسمو بالإبداع من خلال العشق وتجلياته اللامتناهيّة مثل الوجود والكينونة والإيمان، إلّا أنّ بطلة القصّة عاشقة حقيقيّة تعترف بأنّ حكاياها وخبرات احتراقاتها ليستْ إلّا أوهاماً وخيالات لا وجود لها في الحقيقة: "على

الرّغم من كلّ قصص عشقي لم أعشق قطُّ، فأنا امرأة تملك كلّ الحكايا وعباءات الانتظار، لكنّها أبداً لا تملك حكاية لها مع حبيب غير ورقي، وهذا قدر الأنفس الأمّارة بالعشق والمولعة بكتابة الرّجال الذين لا يأتون حقيقة إلاّ على الورق، ولا شيءَ غيرَ الورقِ، فنفسي أمّارة بالكتابة أيضاً. (١٠)

إذن هذه هي نفس الدّكتورة سناء شعلان المثقلة بالعشق والكتابة النّاصعة والمستبصرة لتعطي الحياة قيمة أكثر وهجاً واتّقاداً دون العشق لا قيمة للحياة؛ فبالعشق وحده تتلخّص النّفس من مساوئها، وتتغلّب على مواطن ضعفها، وبالكتابة تتطهّر سناء شعلان، وتنتصر للحبّ، وهي لا تبرح، ولا تتزحزح مهما طال الانتظار، وكما ختم شيخ العشاق شمس الدّين التّبريزي بالقاعدة أربعين من "قواعد العشق الأربعون" التي ظلّت محفورة بحروف من ذهب في الشّرق والغرب عند كلّ المؤمنين بالعشق نختم هذه الإضاءة المقتضبة عن قصّة قصيرة "نفس أمّارة بالعشق": "لا قيمة للحياة من دون عشق. لا تسأل نفسك ما نوع العشق الذي تريده، روحيّ أم ماديّ، إلهي أم دنيويّ، غربيّ أم شرقيّ؛ فالانقسامات لا تؤدي إلاّ إلى مزيد من الانقسامات. ليس للعشق تسميات ولا علامات ولا تعاريف. إنّه كما هو نقي وبسيط. العشق ماء الحياة، والعشيق هو روح من نار! يصبح الكون مختلفا عندما تعشق النّار الماء".

الإحالات:

* هذه القصّة فائزة بجائزة أدب العشق للعام ٢٠٠٩، وقد نُشرتْ في المجموعة القصصيّة "في العشق "الصّادرة في العام ٢٠٠٩ عن وكالة سفنكس/ مصر، ثم نُشرت مرة ثانية ضمن مجموعة "تراتيل الماء" الصّادرة في العام ٢٠١٠، عن مؤسّسة الوراق للنّشر والتّوزيع بدعم من وزارة الثقافة الأردنيّة، عمّان، الأردن.

١- جائزة أدب العشق لوكالة سفنكس للتّرجمة والنّشر، القاهرة، مصر، عن قصّة "نفس أمّارة بالعشق، القاهرة، مصر، ٢٠٠

٢- القرآن الكريم: سورة يوسف، آية ٥٣

٣- تراتيل الماء: سناء شعلان، ط١، مؤسّسة الوراق للنّشر والتّوزيع بدعم من وزارة الثقافة الأردنيّة، الأردن، عمّان، ص١٢٢

٤- نفسه: ص١٢١

٥- نفسه: ص١٢١

٦- القرآن الكريم: سورة الشّمس، آية ٧-١٠

٧- تراتيل الماء: تراتيل الماء، ص١٢٢-١٢٣

٨- نفسه: ص١٢٣

٩- نفسه: ص ١٢٦

"٢"

جماليّات الصّورة الحسيّة والأيروسيّة في قصّة "الضّياع في عيني رجل الجبل" (١)

أيّها المناطق الكائنة

في غياهب الرّوح

التي لا يمكن لأحد أن يمرّ فيها

سأعبرها أنا"

لويز كوليه: شاعرة فرنسيّة

إضاءة:

إنّ قصص الحبّ تبقى قصص خالدة مادام الإنسان هو صاحب المركز الأسمى في الكون، وقصص الحبّ قصص تفاعليّة؛ لأنّ البشر لديهم ذات المشاعر والغرائز والأحاسيس، فهذا النّوع من السّرد القصصيّ يلهب مشاعر القارئ في تجاربه، ويخرجها إلى فضاء الحريّة "المتّخيلة" الظّاهرة بدلاً من الحجر المدنّس "الكبت".

لا سيما أنّ الكبت أصبح من سمات الشّرق المقموع بتابوات سلطويّة متعدّدة، وهذا المنع يصبح مرغوباً فيه ومثيراً للذّة، إضافة للذّة النّصّ نفسه وفضاء لكسر التّابو والتّوق للتّعبير عن حقّ خصّ الرّجال دون النّساء بسبب

رغبة التملّك العارمة والسّلطة الذّكوريّة"السّلطة بديل الحبّ". يقول الرّوائيّ وكاتب السيّرة والمؤرّخ "إندريه مورو": "إنّ الأعمال التي يلهمها الحبّ لابد إنّ تبقى مازال هناك في هذه الحياة متسع للحنان والجمال".

ما لا يستطيع العلم تفسيره هو كيف ومتى يبدأ الحبّ، لكنه يبقى من أسمى المشاعر الإنسانيّة وأرقى الحالات الوجدانيّة على وجه الأرض، ومن دونه لا تستمر الحياة إنّ الحبّ أساس الانسجام واللّذة، ويرتبط بالرّغبة وأساس العلاقات الإنسانيّة.

الحبّ والعشق ثيمتان رئيسيتان وحجرا الارتكاز في أغلب أعمال الأديبة سناء شعلان، ممّا يزيد من متعة السّرد القصصيّ التي تستخدم فيه طاقة تخيلية نافذة، وتفتح أبواباً متعدّدة حول موضوع الحبّ ومزج الواقع بالخيال بميكانيزم السّرد بعيداً عن الاختلاق الفنتازيّ.

يقول الرّوائيّ "غابرييل غارسيا ماركيز": "إنّ أجمل ما يحبّه الأطفال هو الخيال في القصص، وليس الاختلاق الفنتازي، إنّ الفرق بين الأسلوبيّن مثل الفارق بين الكائن البشريّ والدّمية التي تتكلم من بطنها".

السّبب الوحيد الذي يجعل القارئ يعيد قراءة أيّ نصّ أدبيّ لمرات عديدة هو الأسلوب الذي يتطابق مع الأنسنة على الرّغم من إنّه مكتوب بخيال الكاتب وتكنيكه الخاصّ، وهذا ما تجسّده قصّة "الضّياع في عيني رجل الجبل".

لقد جعلتْ شخصيّة بطلة القصّة هي شخصيّة الكاتبة؛ لخدمة الخيال السّرديّ في جعل بطلة الحكاية أكثر حيوية ومقنعة بقوة، ذلك كلّه يحدث بفضل

الخيال؛ فقصص الحبّ ليستْ ظاهرة إنسانيّة تعود للأمس القريب، بل هي ظاهرة منذ أن وُجد الإنسان على وجه الخليقة.

"إنّ الإبداع والأصالة لا تنحصران في أفكار جديدة، بقدر ما تنحصران في التّأليف بين أفكار قديمة، أي أنّنا نعيد ذواتنا والآخر بشكل جديد". (٢)

الحبّ يتحقّق في الآخر من الوجود، ويقترن بالجنس، وأنسنة الجنس هي عمليّة لا يمكن أن تنتهي على الإطلاق؛ لأنهّا ديمومة الوجود البشريّ، والإشكاليّة التي تعترض الحبّ والجنس الاختيار والحريّة.

بات عندنا من المحرّمات على الرّغم من أنّ الهنود كانوا يمارسونه بوصفه طقساً عبادياً مقدّساً و"الكاما سوترا "فنّ الحبّ عند الهنود"، أو"حكم الرّغبة الجنسيّة" مثال يُدرّس في العالم كلّه بوصفه أساساً للأيروسيّة والجنس.

أمّا التّراث العربيّ فهو زاخر بالكثير من المؤلّفات من هذا الضّرب؛ لأنّها من ثقافة المجتمع السّائدة آنذاك، وهي غير محرّمة أو مبتذلة، وهناك مئات المخطوطات في هذا الضّرب، لم يُحقّق أو ينشر منها إلاّ عدد محدود جدّاً، ولو ذكرناها لهالنا عددها الكبير جدّاً، وضاع أضعاف ما موجود منها، من تلك المصنّفات على سبيل الذّكر لا الحصر: "تحفة العروس"، "الرّوض العاطر في نزهة الخاطر"، و"تنوير الوقاع في أسرار الجماع"، و"نزهة الأصحاب في معاشرة الأحباب"، و"رشف الزّلال من السّحر الحلال".

لقد ألّف كبار علماء الدّين في هذا المجال، منهم ابن القيم الجوزيّة وابن حزم الظّاهري ومحمد النّفزاوي وأحمد بن يوسف التيفاشي ونصر الدّين الطوسي، كما ألّف الأمام جلال الدّين الأسيوطي ما يناهز ٢٥ مؤلفاً تتعامل مع

المسائل الجنسانيّة، كما ألف الكثيرون غيره في هـذا الحقـل المعـرفيّ الـذي يـرى "فرويد" أنّ الدّافع الغريزيّ الأساسـيّ للأفعـال الإنسـانيّة، وبـدلاً مـن دراسـتها وإخضاعها إلى علم النّفس والطّب والصّحة باتت محجور عليها، وتُقرأ بوصـفها ممنوعات مهربة بين أيدي الشّباب العربيّ دون إخضاعها للتّنقيّة والتّطوّر العلميّ والمعرفيّ، ودحض ما علق بها من مغالطات كثيرة جدّاً، كما أنّهـا انطـوتْ علـى صواب كبير في معرفة علم الجنس الذي سبقنا إليه المتقدمون وبقية الشّعوب التي أولته أهميّة كبيرة في الدّراسة والتّصنيف.

لكن مع الـزّمن أصـبح الحـبّ والجـنس مـن المحرّمـات الـثّلاث "الـدّين والسّياسة والجنس"، وعلى المـرأة تجنّبـه ولـو بوحـاً أو كتابـة نتيجـة للانّحطـاط والتّراجع الحضاريّ الذي شوّه المجتمع العربيّ، وباتْ مجـرد التّعـبير عـن بعـض الموضوعات فعلاً محرّماً، وتفشّى التّحايل علـى هـذا الكبـت مـن خـلال الرّمـز والإيحاء والإعتام المتعمّد حتى عند الذّكور.

تقول الأديبة سناء شعلان في إحدى لقاءاتها المتلفزة: "إنّنا أمّة تعـاني مـن كبتٍ نفسي وأمراض شتّى"؛ وهذا مرده لمنع البحث عن الـذّات بحريـة ومعالجـة أمراضنا بمعرفة علميّة، وعلى رأسها الجنسـيّة الـتي عـدّها أفلاطـون هبـة الآلهـة للإنسان وطريق التّشويق إلى الخير والخلود.

المنع غير مستند إلى أيّ شرعيّة أو مرجعيّة أصيلة وواضحة مـن السّـلطات المتعدّدة التي تختبئ وراء طهارة مزيفة واستبداديّة طاغية حاولتْ سبغه بالابتـذال والانّحطاط والإنكار والأثميّة، وهذا متأتٍ من جهل معـرفيّ وفلسـفيّ متراكـم ونكوص في البحث العلميّ والفلسفيّ والأنثروبولجيّ، إلخ.

بدأت المرأة تخوض معركتها في ظلّ هذا المشهد المتشابك والمعقّد بأسلحتها النّاعمة من خلال الكتابة والكلمة، وفي ذلك تقول سناء شعلان: "لا أستسلم للصّمت والخوف، وأحتال على البطش، لكنّني أصمم على أن أقول ما أؤمن به، ولو اخترقتُ التّابوات كلها، لكنّني أؤمن بأنّ الحرب النّاعمة أكثر إيلاماً وجدوى في عالم الأدب في حين أنّ المواجهة الكاملة هي نوع من التّعري الفجّ الأحمق لا مبرر له في جلّ الحالات. إنّ الأدب الذي تنتجه المرأة في المشهد العربيّ يشبه حالها وفكرها وتكوينها وظروفها". (٣)

إنّ قصّة "الضّياع في عيني رجل الجبل" تمثّل كسراً للاحتكار الذّكوريّ في الحبّ الذي تستبد فيه الرّغبة والتّوق النّفسيّ الذي لا يكتمل دون الأيروس، وفي ذلك يقول الكاتب البيروفي "مارغو فارغاس يوسا": "إنّ الأيروسيّة نزع صفة الحيوانيّة عن الفعل الجنسيّ". وهذا على درجة كبيرة من الصّحة، ولو اطّلعنا على الميثولوجيا الإنسانيّة عند الشّعوب كلّها لوجدنا أنّ الأيروس هو إله الحبّ والرّغبة الجنسيّة والخصب، ولم يكن مبتذلاً، بل كان من المقدّسات.

مدخل وحيد إلى النّصّ:

"يشكل العنوان عنصراً أساسيّاً في النّصّ لا سيما في النّصّ النّثريّ؛ فهو المفتاح الإجرائيّ الذي يمكن من خلاله الولوج إلى عالم النّصّ، وكشف أسراره(٤)، وله قيمة سيميولوجيّة في توصيف النّصّ واختزال المضمون. ويُعرّف "ليو. هـ. هوك" مؤسّس علم العنوان الحديث أنّ العنوان هو مجموعة من اللسّانيّة التي يمكن إن تُدرج على رأس نصّ، فتحدّد، وتدّل على محتواها العامّ، وتغري الجمهور المقصود بقراءته.

يجتهد الكاتب في اختيار عنوان يلائم المضمون لاعتبارات فنيّة وجماليّة ونفسيّة لجعل القارئ يسير تبعاً لمقصديّته؛ فالعنوان هو الباب أو المدخل الوحيد للنّصّ.

من الملاحظ في أعمال الأديبة سناء شعلان جميعها اهتمامها البالغ بصياغة عناوين نصوصها السّرديّة بدقة؛ إذ توليها عناية كبيرة من خلال الإيحاء والتّلميح والمجاز الذي تقول عنه الرّوائيّة الأمريكية آن لاموت: "المجاز أداة لغويّة عظيمة؛ لأنّه يشرح المجهول عبر قواعد المعلوم، لكنّها لا تعمل إلاّ إذا كان لها صدى في قلب الكاتب.

ينتج من العنوان منتج دلاليّ من خلال قدرته الإيحائيّة التي تسهم في استشراف للنّصّ، ومن هنا جاء عنوان قصّة "الضّياع في عيني رجل الجبل".

الضّياع مفردة لها إيحاء سيكولوجيّ، ودلالات متعدّدة، فالضّياع يمثّل الضّلال والتّيه والاغتراب، وهو يمثّل عجز الذّات المشتّتة والمحرومة، لكن هذا الضّياع في عيني رجل الجبل يوحي بأنّه حالة حبّ بين بطلة القصّة ورجل الجبل.

للعيون هي الأخرى دلالات نفسيّة في الثّقافة العربيّة التي تعدّها امتزاج وإشباع عاطفيّ، وللعيون لغتها الخاصّة وإشاراتها التي يفهما العاشق ومن خلال هذا الضّياع إرادة العاشقة أن تصل إلى الثّبات والإيمان والحكمة التي يرمز لها الجبل، وكأنّها تريد القول إنّه من خلال الحبّ وحده يتخلّص الإنسان من متاهاته وحيرته. وهذه الحالة تنازعيّة في النّفس الإنسانيّة "الثورة" ضروريّة لاستمرار الحياة، وهي طبيعة الوجود بأسره.

لقد حقّق المجاز فعله في هذا الصّراع النّفسيّ بين الضّياع والإيمان تعبيراً عن فكرة جماليّة خيرة تتحقق بعاطفة وجدانيّة مشتركة عند البشر "الحبّ"، بتعبير آخر إنّ الحبّ وحده ما يخلّص الإنسان، وليس هناك قوّة قادرة على خلاصنا من الضّياع تماثل قوة الحبّ للحياة والآخر والكون.

"يهبني دوراً جميلاً يكتب بأريجه حدثاً كونيّاً فلكيّاً وجوديّاً، تصبح أصوات الغابة ونداءات الطبيعة وغريزة الاشتهاء" (٥)، "رائحتكَ خليط من برد الجبل ورذاذ الأمطار وحريق الاشتهاء وطلع النّخيل والعجين الخامر". (٦)

الصّور الحسيّة والأيروسيّة:

تلعب الصّورة بأشكالها جميعاً عاملاً مهّماً في السّرد الحكائيّ، وأغلب القصص والرّوايات تبدأ برسم صورة تكشف عن بطل الحكاية أو المكان الذي يتواجد فيه، وتبرز تطلّعات وأهواء الشّخوص لتمكّن الكاتب من إعطاء رؤيته لأقصى مدى لها في التّأثير على القارئ الذي يعيد تخيل النّصّ بوصفه صورة مرئيّة، لاسيما أنّ الصّور هي نتاج عمل الحواس، وهي تمثّل بنية النّصّ الأساسيّة؛ فـ"إنّ الصّورة ليست بالضّرورة استبدال شيء بشيء آخر، أو تشبيه شيء بشيء آخر، وإنّما قد تستدعي أيّ كلمة حسيّة استجابة الأشياء" (٧)، و"منذ وقعت عيناي عليك اشتهيتكَ". (٨)

الصّور تحمل دال ومدلول؛ فالاشتهاء يدلّ على اشتداد الرّغبة والنّزوع نحو الآخر، وهذه إشارة أيروسيّة نستطيع تلقيّها "بما هو مدرك بالحواس بصريّة أو سمعيّة أو لمسيّة أو شميّة أو وذوقيّة، ويحرّك خيال المتلقي باستدعاء معلومات

ترجع الذّاكرة، فيشي تصوره الحسي للأشياء، وإنّ الأدوات البلاغيّة من استعارة أو تشبيه أو غيرها من آليّات الصّورة". (٩)

"لا قيمة لكلّ رجولتك ولسيفكّ الرّجوليّ المثير إن لم أكن غمده الأبديّ، لا قيمة لكلماتكَ إن لم يحسن ثغركَ الكرزيّ المشهي التذقبيل، لا قيمة لأنوثتي إنْ لم تسعدكَ وتفتنكَ وتمتصكَ حتى آخر قطرة من رجولتكَ التي أراهن عليها بكلّ عمري وجلال افتناني". (١٠)

هذه ثورة جسد يريد التّحرر من قيوده وكبته، ويحقّق اشتهاءاته من خلال صورة بلاغيّة تلتقطها مخيلة القارئ بوصفها رموزاً وإشاراتٍ لتحوّلها إلى صور بواسطة الحواس المتعدّدة، لنشعر بنبضها وارتعاشاتها ونداءاتها.

"ليلتها لبستُ ملابس بيضاء، ورششتُ عطراً أبيض، وحملت قلباً أبيض وانتظاراً أحمر لظى، وانتظرتكَ بكلّ أنوثتي ورغبتي وعشقي وخفقان قلبي، وارتعاشات جسدي ونداءات روحي". (١١)

"يا إلهي كم سأكون أثرى امرأة في التّاريخ البشريّ عندما تأخذني إلى صدركَ، عندما يتكسّر ثدياي على صدركَ، عندما يتآلف كلّ نافر وبارز من جسدينا، فيستقرّ كلّ منها في تجويف جسد الآخر". (١٢)

استطاعتْ القاصّة سناء شعلان تحويل اللّغة وشيفرتها إلى صور بصريّة وحسيّة تحوّلت بعملية تخيليّة إلى لقطات مشحونة بصور أيروسيّة شبقيّة مستفزّة بجمالياتها الطّيفيةّ عند القارئ: "أقسم أنّكَ تعشقني كما أعشقكَ، أقسم أنّكَ في هذه اللّحظة عرّيتني كما عرّيتكَ، أقسم أنّكَ غارق في شهوتكَ كما أنا غارقة فيها منذ رأيتكَ". (١٣)

"أنا أعرف رائحتكَ، جسدكَ، مذاق قبلتكَ، ملامح شهوتكَ، قسمات شبقكَ، وذقت ألف مرة ماء ذكورتكَ، أنا أعرفكَ، نعم أعرفكَ. فهل تتذكّرني؟ لقد تذكّرتني، بل لقد عرفتني؛ لذلك تميل نحوي، تسمعني دون الآخرين، تبسم لي دون الحاضرين، تلكزني بيدكَ على سبيل الخطأ المزعوم، تشمّ رائحتي، تحتضن أناملي، وتطبع قبلة على طلاء أظافري، وتنام بين خواتم أصابعي، وتداعب بنظراتكَ كلّ ملمتر من جسدي، تحفظ حركاتي، تقبّل جلدي، تلعق خلخال قدمي، تبتلع فمي بقبلكَ الشّهوانيّة، تسمع صوت احتراقي بكَ، وتسعد بذلك، وأنا أغور في مقعدي عارية إلاّ من الشّهوة إليكَ". (١٤)

إنّ من خلال تحليل الصّور السّرديّة ومجاز الخيال التي ابتدعها من خلال لغة صافيّة لنتاج عمل لحواس التي أضفتْ طابعها الحسيّ المرئيّ في إعادة تخيلها شكّلت بنية النّصّ الأساسيّة المشحونة برغبات صراع دفاعيّ عن الجسد بصفته حاضن لتلك الرّغبات والنّزوع نحو البوح السّرديّ لتحريرها بما هو أشبه بثورة جسد مستلب من سننه الطّبيعيّة التي وُجد عليها.

"أنا امرأة المواسم، فذقني لتعرف كيف تجتمع في امرأة واحدة بربريّة الغابات وهمجيّة الكهوف وتوحّش الجنس وعذوبة الاشتهاء وأساطير الميلاد الجديد وحكايا البعث والقرابين. تعرَّ لي، فلا امرأة غيري في الكون تنتظر توّحشكَ وعرّيكَ وجموحكَ مثلي، أنا خُلقت بعناية إلهيَة لأكون امرأتكَ التي تجمع لكَ النّساء جميعهن في لحظة مداهمة". (١٥)

إشراقات عشتار:

منذ الاستهلال الأوّل تضعنا القاصّة سناء شعلان أمام تناصٍّ عامّ مع أسطورة عشتار، بمعنى أنّ ما يرد هو فعل كتابة، لكنّها تخدعنا من خلال توالي

الأحداث المكتوبة بطريقة صوريّة عالية الدّقة، إنّنا أمام أحداث واقعيّة، وهذا ما قام به المخيال العالي والتّكنيك للقاصة، ولعب دورٍ غير مرئي، وكأنّها انّسحبت خلف النّصّ لتدع القارئ يعيد تخيّله بطيفه الخاصّ:"تحرضني الكتابة على على كتابة الرّجال والأحداث". (١٦)

إنّ أسطورة الآلهة "عشتار" آلهة الحبّ والجمال والجنس يحقّ لها أن تُعبد، وأن تُعشق، وأن تمارس الجنس، لكن البشر ليس ذلك من حقّهم. القاصّة سناء شعلان ضمّنت هذا التّناصّ العامّ بالمعنى والإدغام خدمة للخيال؛ فالأسطورة تعيد إملاءاتها على الحكاية، وهذا مالا ترغب فيه القاصّة للحدّ من خيالها الجامح في رسم صورها السّرديّة الخاصّة بها منسوخة من روح عشتار.

كما تصف نفسها "عشتار" بقولها: "أنا الأوّل، وإنّا الآخر -أنا البغيّ، وانا القديسة- أنا الزّوجة، وأنا العذراء، أنا الأمّ، وأنا الابنة، أنا العاقر، وكُثُرٌ هم أبنائي، أنا في عرس كبير، ولم أتّخذ بعلاً، أنا القابلةُ، ولم أُنجب أحدًا، وأنا سلوى أتعاب حَملي".

تقول بطلة القصّة التي يكمن فيها سرّ الحياة والنّماء وسمو الرّوح ورهافة الأحاسيس والطّبع والعابقة أعطافها بالعطر، ويفيض جسدها بالاحتراق الأنثويّ، ويفوح منها شذى الاشتهاء، وهذه صفات الآلهة "عشتار". وهذا تبادل لأشكال وعي الآخر من خلال فضاء المعنى واضح من العلاقة للفضاء النّصّي وتقاطعاته مع نصّ الآلهة "عشتار" المرافق للشّعراء والأدباء منذ أن عرفنا الأساطير الأوّلى، ونحن نقرأ النّصّوص وما حولها من خلال التّأثير والتّأثر دون أن نفقد الدّهشة والمتعة واللّذة:"أنا امرأة بامتياز، وفنانة بمهارة، وخادمة بالفطرة، وجارية بالسّليقة، وقدّيسة بالعفاف، وماجنة بالكلمة، وطاهرة بالجسد، وساديّة بالموهبة،

ومؤمنة بالقلب، وكافرة بالشّك، وثائرة بالسّلوك، وداجنة بالعطف، أنا النّساء كلّهنّ دفعة واحدة، قبّلني، لتقبّل نساء العالميّن." (١٧)

"إنّ الصّورة التي ندركها عن طريق الحواس صورة إبهاريّة من خلال عواطف وأحاسيس، فالحواس هي الوسائل التي تغذّي ملكة التصوير والخيال، وتنتقل إليها مجتمعة أو منفردة، الصّورة بشتى مصادرها وطبائعها".

مثلما ندبتْ "عشتار" آلهة الشّهوة والحبّ مصير عشاقها ونهاياتهم تقول بعد أن كشفت عشقهم دون انتهاك؛ لأنّها تحبّ بصدق، وتستجيب لرغباتها المقدّسة تختم بطلة القصّة، لكن لا أحد يذهب إلى الجحيم السّفليّ كما حدث مع "دموزي" حبيب "عشتار"، تبقى ضائعة في رحلتها مع سيّد الجبل لتعيدنا إلى ميتافيزقيا الضّياع من جديد:

" أهواكَ. . . أهواكَ بلا أمل

وعيونكَ تبسم لي

وورودكَ تغريني بشهيَات القُبل

أهواكَ ولي قلب بغرامكَ يلتهب

تدنيه، فيقترب

تقصيه، فيغترب

في الظّلمة يكتئب

ويهدهده التّعب

فيذوب، وينسكب كالدّمع من المقل

أهواكَ، أهواكَ بلا أمل

في السّهرة أنتظر، ويطول بي السّهر

فيسائلني القمر، يا حلوة ما الخبر؟" [١٨]

- يا إلهي كم إنّا ضائعة الآن يا سيّد الجبل". [١٩]

الخلاصة:

بين ثنايا هذه القصّة القصيرة أكثر ممّا استعرضناه بأضعاف من أمثلة، فهي قصّة تبدأ وتنتهي باحتراقات الحبّ المترع بالرّغبات والصّور الحسيّة والأيروسيّة التي شكلت بناءها لتصنع معماراً سرديّاً متفرّداً لقصّة حبّ وجنس بعيداً عن الابتذال، وهي إضافة تستحقّ الوقوف عندها طويلاً للاستمتاع بلذة النّصّ وجمالياته. كما نجحت الدّكتورة سناء شعلان، واستطاعتْ أن تُظهر أنوثة المرأة من خلال استاطيقيا الصّورة الإبهاريّة ودلالاتها ورسائل الشّهوة.

هي رسائل لكسر المسكوت عنه في أدبنا وحياتنا العربيّة وتعرية الكبت والإجحاف الذي باتَ من سمة المرأة العربيّة، هي ثورة وحجر في بركة ركود المجتمع العربيّ لتحريك مياهه الآيلة للعفن، وهي صرخة احتجاج ضدّ الانتقائيّة والكراهيّة والعنصريّة الجنسيّة على أفراد المجتمع الواحد بحجج واهية لا أساس لها من المصداقيّة والعلميّة.

إنّ للمرأة نزوعها ورغباتها مثل الرّجل تماماً في الحبّ والاشتهاء والإثارة وبلوغ النّشوة، وإحداهما مكمّل للآخر في ديمومة الحياة التي لولاها لانقرض

الوجود الإنسانيّ على كوكبنا تماماً. كيف لنا أن نعرف المسكوت عنه وأمراضنا دون تشخيص؟

نحن عازفون عن فتح طرائق وتحليل رموزه لكشف وبواطن الجمال والخير فيه بدلاً من تغليفه بقبح الكبت والمنع والاضطهاد من دون معرفته ودراسته وفكّ شيفراته جميعها، ومعرفة تأثيرها على النّفس البشريّة والمجتمعات وتباييناتها التي أتتْ من تعطيل دور المرأة، أو جعلتها حاجة أو سلعة خاضعة للعرض والطلب بالقمع أو بالانفلات.

في عالمنا العربيّ المتفاوت بكلّ شيء يبقى "الأدب التي تنتجه المرأة المشهد العربيّ يشبه حالها وفكرها وتكوينها وظروفها" كما تقول سناء شعلان.

الإحالات:

١- القصّة الفائزة بالجائزة الأوّلى في مسابقة كتاب بلا حدود ٢٠١١، ومنشورة في مجموعة مشتركة تحمل العنوان ذاته "الضّياع في عيني رجل الجبل": سناء شعلان، وصادرة عن منظمّة كتّاب بلا حدود، ط١، الشّرق الأوسط الثّقافيّة بالتّعاون مع مجلس الأعمال الوطنيّ العراقيّ، بغداد، العراق، ٢٠١٢

٢- رولان بارت: نظريّة النّصّ، مقال محمد خير البقاعيّ في مجلّة العرب والفكر العالميّ، بيروت، لبنان، ١٩٨٨

٣- مقابلة مع الكاتبة سناء شعلان: في جريدة الشّاهد العدد١٨ بتاريخ ٣١/ ٧/ ٢٠٠١

٤- سيرة جبرا الذّاتيّة في البئر الأولى وشارع الأميرات: خليل شكري هيّاس، ط١، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ص٢٠

٥- الضّياع في عيني رجل الجبل: سناء شعلان، ص٣

٦- نفسه: ص١٤

٧- البلاغة مدخل لدراسة الصّورة البيانيّة: فرونسوا مورو، ترجمة محمد والي وعائشة جرير، ط٢، دار أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٣

٨- الضّياع في عيني رجل الجبل: سناء شعلان، ص٥

٩- بيان الصّورة الفنّيّة البيان العربيّ: كامل حسن، مطبوعات المجمع العلميّ العراقيّ، ١٩٨٧: نسخة رقميّة.

١٠- الضّياع في عيني رجل الجبل: سناء شعلان، ص٥

١١- نفسه: ص٤

١٢- نفسه: ص٧

١٣- نفسه: ص٨

١٤- نفسه: ص١٠

١٥- نفسه: ص١٢

١٦- نفسه: ص١٥

١٧- نفسه: ص١٥

١٨- نفسه: ص٣

١٩- نفسه: ص٩

"٣"

توثّيق الحلم الفلسطيني وتاريخه في المجموعة القصصيّة "تقاسيم الفلسطينيّ"

صدر عن دار أمواج الأردنيّة للنّشر والتّوزيع "تقاسيم الفلسطينيّ"، وهي مجموعة قصص قصيرة جداً للدّكتورة سناء شعلان، وتقع في ١٨٢ صفحة، وتتكوّن من ١٧٤ قصّة موزّعة على سبعة تقاسيم: تقاسم الوطن، وتقاسيم المعتقل، وتقاسم المخيّم، وتقاسيم الشّتات، وتقاسيم العرب، وتقاسيم العدو، وتقاسيم البعث.

لكلّ مَنْ يعرف الدّكتورة سناء شعلان يعرف روحها الإبداعيّة المتمرّدة والمبتكرة؛ فهي "تبغض النّصّ اليسير، وتكره الطّرق المطروقة التي يسلكها كلّ إنسان، ولا تشرب من الحوض المباح، وتعاف ما تبذله الدّهماء". هذا قول الشّاعر اليونانيّ "كلّيماك" ينطبق على منجزها الإبداعيّ المتعدّد الصّنوف والضّروب بتمكن ووعي لما تقوم به دون ادّعاء بكلّ تواضع، حسبها البذل والتّفاني من أجل إشاعة العدل والجمال.

لم تخلقْ شهرتها من فراغ ، ولم تحصد للجوائز إلاّ من خلال إبداعها ومعرفتها العلميّة الأكاديميّة العالية؛ فهي حاصلة على درجة الدّكتوراة في الأدب الحديث، وحصدتْ أعمالها نحو ٦٥ جائزة دوليّة وعربيّة، لها أكثر من ٧٢ عمل إبداعيّ صدر لها لحد الآن. علاوة على ذلك لها نشاطها الإعلاميّ والحقوقيّ ومناصرتها لحقوق المرأة والطّفل في المحافل المحليّة والدّوليّة بقوة ودأب.

لها مفاجآتها المتميّزة في السّرد والقصّة القصيرة التي تكتبها بلغة صافية طيفيّة، وبأفكار غير مسبوقة كما روايتها الأخيرة "أَعْشَقُنِي" التي أُعيد طبعها للمرّة الخامسة خلال فترة وجيزة؛ إذ جاءتْ نصوصها مكتنزة ومتفرّدة على مستوى الشكلّ والمضمون.

لأنّها صيّاد ماهر للجوائز التي تستحقها بجدارة، ولأنّها صاحبة حضور طاغي؛ لا تناكف في معارك خارجة عن الهمّ الإنسانيّ والإبداعيّ. كثر مَنْ يغبطوها، وفي الوقت ذاته كثر من يحسدونها؛ وهذه ضريبة النّجاح، تاركة لهم الظّلّ والفشل دون أن تتخلّى عن مبادئها وأمنياتها

فهي مَنْ تقول في حوار إعلاميّ معها: "أمنيتي لكلّ إنسان في كلّ مكان أن يأتي يوم تغيب شمسه على بشريّة ليس فيها عين دامعة أو قلوب كسيرة أو حق مهدور".

هذا ما نلمسه في أعمالها جميعاً التي تسلّط الضّوء فيها على محنة الإنسان ومتاهاته وأحلامه وانكساراته، دون أن تنسى قضيّتها الأمّ وجذورها الفلسطينيّة وحلمها الفلسطينيّ التي تتشبّث به، ولا ترضى بديلاً غير العودة، فجاءتْ هذه المجموعة محمّلة مثل روح كاتبتها بدموع الجدات والأجداد ومحنة الأحفاد والشّهداء والشّتات في طول وعرض المعمورة دون وجه حقّ بما جرى، ويجري ليومنا هذا من قتل ووحشية وتهجير واعتقال لشعب بأسره أطلقت على من يقوم بهذا الفعل الشّنيع الصّهاينة وأعوانهم: "مستدمرون لا مستعمرون؛ لأنّهم لا يعمرون بل يهدمون". (١)

هذا ابتكار اصطلاحيّ صحيح علينا استخدامه من الآن فصاعداً؛ لأنّه ينطبق على أفعال ما يُسمى دولة إسرائيل التي لم توفّر باطلاً وظلماً واضطهاداً

إلاّ واستخدمته ضدّ شعب أعزل وبمساعدة قوى متغطرسة وسط تصفيق هذا العالم المختلّ الغاشم غير المتوازن "كلّه العالم صفق طوعاً أو كرهاً". (٢)

على الرّغم من جرائمه كلّها التي يعترف بها، أو يرتكبها، وتُسجل ضدّ مجهول كما هو ديدنه في قتل الأطفال والكبار واقتلاع الشّجر والحجر بوحشية مفرطة لم يشهدها التّاريخ من قبل "قذيفة صهيونيّة انهالت على سوق الملابس على حين غرة، فأحالته إلى جحيم مستعر. شرعت تلمّ اللّحم المتناثر، وتحوشه في صدرها بعد أن عجزت لأوّل مرة في حياتها عن التّميز بين بناتها التّوائم الأربع"قصّة التّوائم الأربع". (٣)

هذه المشاهد والصّور عرضت على شاشات فضائيّات العالم الآلاف المرات، استطاعتْ أن تحفرها سناء شعلان بسرد حكائيّ له تأثير مختلف حفظه الفلسطينيّ شفاهيّة من الأجداد إلى الأحفاد، فدوّنته قصص هذه النّصّوص القصيرة جداً بحجمها كبيرة برسائلها السّياسيّة والتّاريخيّة والمستقبليّة.

على الرّغم من أنّ قصص مجموعة "تقاسيم الفلسطينيّ" تبدو أقرب إلى أنّها قصص تسجيليّة تقوم على رؤيّة سياسيّة اجتماعيّة. كما معروف أن القصّ التّسجيليّ هو نتاج مبدأ الاختيار والانتخاب بما يتواءم وأفكار الكاتب الذي يرصدها، ويتتبّع المضمون على حساب الشكلّ إلاّ أنّ حذاقة ومعرفة القاصّة بأدواتها استطاعتْ أن توظّف الإيحاء والتّركيز والرّمز خدمة لديناميّة القصّة، فبدأتْ بشكلّ مختلف, وارتقتْ بالقصّة التّسجيليّة إلى منطقة أخرى "قصص قصيرة جداً مدهشة" غير ما هو متعارف عليه خاضعة أدواتها المرنة جميعها لوظيفة أكثر إمتاعاً وإبهاراً في المحكي، استطاعتْ أن تخاطب وجدان القارئ من

خلال لغة شاعريّة ممشوقة رغم المأساة والفجائع التي تُعدّ السّمة الأساسيّة لهذه القصص المستلّة من الواقع مئة في المئة.

هذا نجاح وتفرّد قدمته الدّكتورة سناء شعلان في التّجريب على الرّغم من أنّها نقلت من واقع معاش وما زال قائم ليومنا هذا؛ لقد عملتْ على نقله كما هو بعين وأداة مختلفة ليس بآلة كاميرا، فكانتْ صوراً حيّة ورؤيّة فكريّة وسيلتها سحر اللّغة والمحكي مرتبطاً بالتّجريب الخاضع لقواعد فنيّة وجماليّة عالية الدّقة ومعرفة دقيقة باستخدام الضّوء والظّل في الصّورة السّرديّة أو المشهديّة إنْ جاز هذا التّعبير.

كذلك من خلال الحوارات المقتضبة والقليلة لما يتطلّبه هذا الجنس الأدبيّ "القصّة القصيرة جداً" من اقتصاد واختزال شديد: "تحدق في وجوههم، لا تستطيع أن تجد حدثاً فلسطينيّاً مرتبطاً بهذه الولادة، تصمت قليلاً، ثم تبتسم لهم بأسىً وانكسار، وتقول: "أنا أحفظ متى استشهدوا أولادي، وأنتم عليكم أن تحفظوا متى وُلد أبناؤكم". (٤)

إنّ معجزة النّضال الفلسطينيّ هي الذّاكرة الحيّة التي يُستلهم منها صمودها عبر الأجيال؛ لأنّ الفلسطينيين أصحاب حقّ ووجود لا يسقط مهما تقادم الزّمن واختلطت الأوراق، وتتالت الخطوب والمحن والعلل. "ستون سنة لم تستطع أن تزحزحه قيد أنملة عن إيمانه العميق بحقه، لم تمضِ ليلة لم يناضل فيها متمسّكاً بأرضه، لم يفتّ في عضدّ عزيمته تآمر العالم كلّه مع عدوه الصّهيونيّ". (٥)

إنّ ما يجري على أرض فلسطين هو أفعال مشينة وجرائم بمنتهى الغرائبيّة لا تعرفها قوانين الطّبيعة والمنطق، وقد نجحت سناء شعلان في تدوينها برؤية

واقعيّة تحدث كلّ يوم في سجون النّازيين الجدد أو "المستدمرين"؛ فهي قصص أقلّ ما يقال عنها أنّها أغرب من الخيال، ونحن نعيش في الألفيّة الثّالثة بعد الميلاد: "لا يعرف بأيّ جناية هو مسجون في هذا المعتقل حيث الرّطوبة والازدحام، والجوع والوجوه حوله كئيبة, لكنها تصمّم على الحياة، منذ وُلد وجد الضّيق والضّنك أمامه, لم يخرج بسهولة من بطن أمّه؛لأنّها لا تزم فخذيها بسبب سلاسل تكبل قدميها قصّة "الأسير الرّضيع". (٦)

هكذا يولد الفلسطينيّ، ويبقى على الوجود وسط عالم مخادع ازدواجيّ دون أن يستسلم له. منحتْ قصص المجموعة أقنيم آخر للحكايات من خلال التّضاد بين الضّحيّة والجلاد، الحقّ والباطل حتى في محاولة الجلاد انتهاك آدميّة الإنسان بتعريته، فيصبح هو العاري أخلاقيّاً وإنسانيّاً وشرعياً، وهذا حدث آلاف المرات على مرأى ومسمع العالم الذي يدّعي التّحضر والمدنيّة وتبنّي الدّفاع عن حقوق الإنسان "وقفت أمامهم عارية من الملابس مكتسية بكبريائها، وما أبهت لعيونهم الخنزيريّة التي تأكلّ جسدها إمعاناً في تعذيبها، فهي لا تخجل من عريها أمام خنازير بشريّة ترعى في أرض غير أرضها". (٧)

إنّ قصص هذه المجموعة أسّست من خلال خطابها السّرديّ رؤية مضادّة في استنطاقها لمكان التّواجد الفلسطينيّ في الشّتات والمنافي والوطن بكلّ ما يحمله من تناقضات الإنسان الفلسطينيّ من خلال نماذج إنسانيّة تعيش في التّمني والحزن والصّمود والتّذكر من خلال لغة إيحائيّة عميقة الفهم للحدث القصصيّ المحكم للتّعبير عن هواجس الإنسان الفلسطينيّ الذي يعاني من شهيق الجوع والتّهميش والعذاب اليوميّ والعنصريّة بكلّ أجياله وشرائحه.

لقد نجحت شعلان في اختيار زوايا المكان والشخوص والزّمن بشكلّ مغاير، فجاءتْ بقوالب وحلل جديدة: "أدار ظهره لهم، وما عاد يأبه بوجودهم أو يردّ على سبابهم, أو يخجل من لكنته الفلسطينيّة، وكتب على سبورة الحائط "حنظلة غاضب الآن". (٨)

الفلسطينيّ على الرّغم من تعامل العالم معه الشّاذ إلاّ أنّه يبقى مكافحاً وصامداً بوصلته الوحيد في هذا الكون هي فلسطين كما توضح قصّة" (٩)، "غير مكترثاً بصراعات الآخرين العبثيّة على الرّغم من أنّه يكون أحد ضحاياها في أحايين كثيرة، وهذا نراه جليّاً في قصّة "نهر البارد". (١٠)

في حين تاجر آخرون بالقضية الفلسطينيّة من حكام ودهاقنة العرب وجامعتهم العربيّة المزعومة: "رصدوا ميزانيّة عملاقة من التّبرعات العربيّة كي يرفّهوا عن أنفسهم بالنّساء والخمور والملذات كي تتفق ذواتهم المظلمة عن فكرة منيرة لدعم الفلسطينيّين، وطال اجتماعهم وطال انتظار الفلسطينيين". (١١)

لم يكن الفلسطينيّ مغيّب الوعي أو مسطّح العقل جاهلاً لما يدور من حوله حتى العجائز الأميّات الأبجديّة ينعمن بإدراك فطري ووعي خارق، وهذه تقسيمة من تقاسيم الفلسطينيّ الحية: "العربيّ شريف لا يُضام، ولا يهان كتبتْ معلمة محو الأميّة على السّبورة، استدارت لتقابل وجوه نساء المخيّم اللواتي أتين لمحو أميتهن، سرت همهمة في الصّف، سألت المعلّمة صغيرة السّن على استحياء وبحرج بادٍ: هل قلتُ شيئاً يدعو للضّحك؟!

أجابت أم محمود زعيمة نساء الصّف:هذا كان زمان، والله جبر، انظري إلى حالنا الآن: أين العرب مما يحدث؟

أضافتْ امرأة أخرى باستهزاء: "العرب الشّرفاء موجودون فقط على السّبورة". (١٢)

هذه سخرية سوداء من واقع أشّد سواد وحلكة وظّفتها القاصّة بأكثر من قصّة على امتداد هذه المجموعة توظيفاً موفّقاً، ورسمتْ شخوصاً كاريكاترية كما هم في جوهر حقيقتهم يثيرون السّخرية والمرارة من خلال واقع هزيل ومرير، ولم تغفل عين القارئ قصديّتها؛ فهم يعيشون بيننا ومنا وفينا من نفس الأرومة، وبعضهم من أبناء جلدتنا وعمومتنا.

"مطّ الثّري العربيّ كرشه الذي يتدلّى ليهرس عضوه التّناسليّ القزم الذي أغدق عليه دون انقطاع بالجواري والحسان اللواتي ما استطعن لكسره جبراً، ولا لعطبه دواء. يحبّ أن يظهر مبتسماً في الصّحف، وهو يفيض بماله صداقات وعطايا على الغرباء المنكوبين والحيوانات الآيلة للانقراض والمباني الأثريّة في مجاهل بلاد العالم والنّساء الجميلات التي يستدرجهنّ إلى قصر حريمه. يحبّ لقب المحسن العربيّ، ويكثر من التّزيّن بالدّمقس والحرير والمعصفر والمفضّض والمذهب والمألس من فاخر الثّياب ونادر الأحذية ونفيس الجلود والفراء. زعم في لقاء صحفيّ أنّ معاناة الشّعب الفلسطينيّ قد أحرقتْ قلبه الملبّد بالدّهون، وحرص على أن تبرز الوسائل الإعلاميّة دموعه الثّرة التي أهداها بسخاء للشّعب الفلسطينيّ، وفرض على نفسه عمرة للدّعاء لهم، وعند الكعبة سأل الله إلحافاً أن يعينهم، وأن يهبهم من يكون في عونهم، ومطّ شفتيه طويلاً بالدّعاء لهم إلى حين تلتقط عدسات كاميرات التّصوير صورة مناسبة له تسجّل دعمه المؤزّر للقضيّة الفلسطينيّة! (١٣)، "يدرك من أعماقه كم هو مجرد من الأخلاق والقيم والنّبل". (١٤)

هذه المجموعة لاشيء يغني عن قراءتها عبر١٧٤ قصّة موزّعة على مدوّنات فصولها السّبع لتكتمل صورة لمأساة قضية بدأت منذ عقود، ولم تنتهِ فصولها بعد على الرّغم من تآمر الكون كلّه عليها، إلاّ أنّها بقيتْ متّقدة مثل تقاسيم الفلسطينيّ صاحب الأرض وحارس المقدّسات بشرف وأمانة, مهما اشتدّ نباح الآخرين وهبّت رياح التّهجير والاعتقال والقتل.

يُبعث الفلسطينيّ مثل العنقاء من رماد الفجائع والانكسارات والخسارات الكبيرة: "استطاعوا أن يقتلوا عدداً عملاقاً من الفلسطينيّين، مثّلوا بأجسادهم، أحرقوا جماجمهم، طحنوا عظامهم، نثروا رمادهم في مهبّ الرّيح كي يرتاحوا من ذلك الشّبح الذي اسمه عودة الشّعب الفلسطينيّ إلى وطنه قصّة"الرّيح والكلاب."[١٥]

هذا الإصرار على تجدّد الحياة هو ما تفعله قصص الدّكتورة سناء شعلان من أجل الانعتاق من إسار الوعي الزّائف والرّاكد من حولها بأسلوب جماليّ متّقد يحرّك ديناميّات الإبداع وإعادة الحياة إلى بهجتها على الرّغم من كلّ ما يجري من تناقضات وكيد من القريب والبعيد.

إذا كانت الكتب المقدسة تبرز قصص الأنبياء حيث يقول الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ**﴾[١٦] ، كانتْ تقاسيم الفلسطينيّ هي أحسن القصص الإنسانيّة التي لا بدّ من التّذكير بها، وهذا ما فعلته الدّكتورة سناء شعلان، وبصدق إنّها قصص تسجيليّة متفرّدة ومغايرة تؤثّر في الضّمير الإنسانيّة، وتهزّ وعيه، أو بعبارة أخرى قالها يوسف إدريس إنّ كلّ قصّة قصيرة قراءتها، وهزتني تماماً، كانتْ دائماً لحظة تركيب كونيّ متعدّد المكونات، يؤدّي

إلى خلق مادة جديدة تماماً عن كلّ المواد العضوية وغير العضوية، مادّة جديدة اسمها الحياة".

بأمانة القارئ المحايد هذا مفعول وتركيب قصص تقاسيم الفلسطينيّ للمبدعة الدّكتورة سناء شعلان عليّ، ولسان حالها يردد ما قاله الشّاعر التّركي "ناظم حكمت": "لو وضعوا الشّاعر في الجنة، لصرخ آآآه يا وطني".

الإحالات:

١- تقاسيم الفلسطينيّ: سناء شعلان، ط١، أمواج للنّشر والتّوزيع، الأردن، عمـان، ٢٠١٥، ص١٧

٢- نفسه: ص١١

٣- نفسه: ص١٣-١٤

٤- نفسه: ص ٢١

٥- نفسه: ص٢٢

٦- نفسه: ص٧٩

٧- نفسه: ص٨٥

٨- نفسه: ص ٨٥

٩- نفسه: ص١٠٠

١٠- نفسه: ص٧٩

١١- نفسه: ص١٢٧

١٢- نفسه: ص١٣٠

١٣- نفسه: ص١٣١

١٤- نفسه: ١٣٩

١٥- نفسه: ص١٥٥

١٦- سورة يوسف: آية ٣

"٤"

دلالات المكان في المجموعة القصصيّة "حدث ذات جدار" [١]

"إضاءة على ظلام: الجدار العازل الفاصل هو عبارة عن حاجز طويل بناه الكيان الصّهيونيّ في الضّفة الغربيّة في فلسطين المحتلّة قرب الخطّ الأخضر، لمنع دخول الفلسطينيين سكان الضّفة الغربيّة إلى الكيان الصّهيونيّ أو إلى المستدمرات الصّهيونيّة القريبة من الخطّ الأخضر، يتشكّل هذا الحاجز من سياجات وطرق دوريات، أو من أسوار إسمنتيّة بدل السّياجات في المناطق المأهولة بكثافة مثل منطقة المثلث أو منطقة القدس. بدأ بناء الجدار عام ٢٠٠٢م في ظلّ انتفاضة الأقصى، وانتهى بناؤه في نهاية عام ٢٠٠٦ م، بلغ طوله ٤٠٢ كم، ويمرّ في مسار متعرّج يحيط بمعظم أراضي الضّفة الغربيّة، وفي أماكن معينة مثل مدينة قلقيلية، يشكّل معازل، أيّ مدينة أو مجموعة بلدات محاطة تقريباً بالجدار من جهاتها جميعها. يُطلق عليه اسم جدار الفصل العنصريّ أو جدار الضمّ والتوسّع العنصريّ. [٢]

أضافت الأديبة سناء شعلان مجموعة قصصيّة جديدة الرّقم ١٥ ضمن منجزها القصصيّ متكوّنة من ثلاثة عشرة قصّة قصيرة "المقبرة، وحالة أمومة، والصّديق السّريّ، وشمس ومطر على جدار واحد، ومن أطفأ الشّمعة الأخيرة، وعندما لا يأتي العيد، ووادي الصّراخ، والغروب لا يأتي سرّاً، وسلالة النور، وما قاله الجدار، والبوصلة والأظافر وأفول المطر، وخرافيّة أبو عرب".

هذه المجموعة الثّانية بعد "تقاسيم الفلسطينيّ" التي خصصّتها الأديبة سناء شعلان بالكامل للقضية الفلسطينيّة وفاءً لجذورها الفلسطينيّة التي لا تفارقها في نشاطاتها الأخرى كلّها، فاضحة أبشع استعمار استيطاني كولونياليّ عرفه التّاريخ البشريّ، وما زال الصّراع الفلسطينيّ يشتد ضراوة للخلاص من هذا الاستيطان ومن همجيّة الاحتلال ومن شذّاذ الآفاق المسلّحين بآلة حرب مدمرة، مدعومين من قوى لها تاريخ بشع في اقتلاع السّكان الأصليين والسّيطرة على خيرات ومقدرات تلك البلدان، لكن فشلوا في اقتلاع الفلسطينيّ المؤمن بعدالة قضيته وحقّه الشّرعيّ في الوجود والأرض التي وُلد عليها.

جاءتْ عناوين قصص "تقاسيم الفلسطينيّ" أسماء أماكن تواجده في الشّتات مجبراً عليها بالتّرحيل والتّهجير، وباتتْ سجناً وحيّزاً مكانيّاً قيّد حريته وأحلامه وتطلّعاته الإنسانيّة.

إنّ ما يميّز المجموعة الجديدة "حدث ذات جدار" عن تقاسيم الفلسطينيّ هو المكان؛ فقصص "تقاسيم الفلسطينيّ" تدور في مكان معادٍ، أي في مكان الشّتات الفلسطينيّ في المنافي والغربة والحنين ومخيمات الضّياع واللّجوء القسريّ، "مكان يمثّل الخوف والانطواء، بل هو مكان الكراهية والصّراع" [٣]؛ لأنّه مكان نقيض للمكان الأليف للفلسطينيّ الوطن الطّبيعيّ الذي يتمسّك به، ويدافع عنه ضدّ القوى المعادية كلّها؛ لأنّه يمثّل قيمة إنسانيّة وجوديّة، في"حدث ذات جدار"تدور الأحداث في المكان القومي للشّعب الفلسطينيّ وعائديّته للفلسطينيّ وحده، وهذا ما يعرف بالوطن الأمّ الذي يريد المحتلّ الغاشم أن يمزّقه بجدار فصل عنصريّ بعد أن عجز عن هزيمة أصحاب الأرض.

يدلّ هذا الجدار العازل على عقليّة ونفسيّة مريضة خائفة مهدّدة من داخلها لمعرفتها بوهم احتلالها لأرض ليستْ أرضها وتاريخ ليس تاريخها. أمسكت القاصّة سناء شعلان رأس الخيط "جدار الفصل العنصريّ" لتسلّط الضّوء على قضيّة العصر، وتضيء القضية الفلسطينيّة بالمحكي السّرديّ من ثيمة المكان، ويقع جدار الفصل بوصفه رمزاً للعنصريّة في بؤرة القصص كمفارق تضاديّ لإنتاج دلالة على مستوى المعنى من خلال المحور السيكولوجيّ والمحور الدّلاليّ للمكان وصولاً للإحساس الانفعاليّ الصّورة بواسطة اللّغة والصّورة لتشكل سيرورة الفكرة ورصد حركة وتجارب شخوصها الإنسانيّة على جانبي الجدار الذي بناه المرتزقة.

يأخذ المكان سياقاً سرديّاً مختلف بواسطة دلالته الفكريّة متجاوزاً الأبعاد الشّكليّة الفيزيائيّة خدمة لمقاصد مضمونيّة وفكريّة من خلال الحدث والمصائر والانتقال الأماكن كلّها لترسم يوميّات الحياة الفلسطينيّة الواقعيّة، فكان الفلسطينيّ يقهر الجدار، ويثبتُ وهمه أمام إرادته وإصراره على الصّمود والبقاء، وباتْ جداراً ليس له معنى سوى رمزه الاستلابيّ للطّبيعة؛ فهو قبيح ومشين ورمزٌ لقهر الإنسان دون وجه حقّ، لم تترك للفلسطينيّ سوى خيار المقاومة مدركاً أنّها إرادة مقدسّة من أجل الحياة والوطن. "في بعض الأحيان نعتقد أنّنا نعرف أنفسنا من خلال الزّمن، في حين أنّ كلّ ما نعرفه هو تتابع تثبيتات أماكن استمرار الكائن الإنسانيّ الذي يرفض الذّوبان"[٤].

هذه القصص تدوّن ثبات الفلسطينيّ على الأرض عبر الزّمن الذي يحويه المكان بوصفه دلالات اجتماعيّة، تاريخيّة، نفسيّة، ذاتيّة، ضمن زمن العمل السّرديّ "زمن المتن الحكائيّ، و"زمن الحكي" خدمة للوجود الزّمكانيّ ولغايات

فنيّة وجماليّة بلغة تصويريّة مرنة مثل "المرونة المتبادلة بين الإنسان والمكان هذه المرونة الغريبة، المتناسقة، المباشرة، والتي تكاد تجعل الاثنين من مادّة واحدة". (٥)

من خلال المكان تُوطّن الأزمنة صوب الحلم والذّاكرة بتقنيّة الاسترجاع بوصفها مقصداً حكائيّاً، وتخلق مكاناً وزماناً سرديين بتركيب موازي دون إغفال للتّفاصيل، وتضمينها ضمن المدلول المكانيّ للجدار في إشارة إيحائيّة ورمزيّة للعنصريّة.

لقد قامت القاصّة بتعطيل السّرد بوصف خوف وفزع المستوطنين من جدار بنوه بأنفسهم، فباتْ يهددهم طوال الوقت بدل أنْ يحميهم؛ لأنّه جدار كراهيّة، والكراهيّة دلالة الهدم والعزلة والانطواء، وبذات الوقت هذا الجدار اللّئيم قد شطر العوائل والمقابر والمزارع والمقدسات الفلسطينيّة وأصحاب الأرض والامتداد الاجتماعيّ والإنسانيّ على الأرض، فكانتْ هذه أماكن مكملة في بنية المشهد السّرديّ الثابتة والمتغيرة بحركة الحدث القصصيّ باتجّاهين متعاكسين كونتهما من دلالات تضاديّة.

لقد نجحت القاصّة من خلال تدوير زوايا المكان والزّمان المتمثّل في الأجيال الفلسطينيّة المتعاقبة التي ما زالتْ تعيش بنفس الثبات رغم هذا الجدار الذي شطر أرض الوطن الفلسطينيّ.

كما يقول باشلار"لا وجود خارج المكان"، والمكان الوطن ليس بقعة جغرافيّة نعيش عليها، بل هي غريزة إنسانيّة محفورة عميقاً في ذواتنا وذاكرتنا وهويتنا. أصبح المكان الوطن هو الرّكن الرّكين ونقطة المرتكز في الصّراع الذي يحمل ديناميّات ودلالات متعدّدة واقعيّاً وسرديّاً في قصص هذه المجموعة. "حدث ذات جدار" هي قصص في حاجة إلى قراءة متوغّلة في متون النّصّ

الحكائيّ وكشفاً واعياً للدّلالات والإمساك بها للوصول لدهشة القراءة وتحقّيق مسافة جماليّة تنتج عنها لذة القراءة، ذلك كلّه من خلال المكان والغوص في قيعانه ومعانيه داخل كلّ قصّة من القصص القصيرة الثلاثة عشر. استطاعت القاصّة أن تتغلّب على الواقع المكانيّ المليء بالصّراع الدّمويّ والاستلاب والقهر ومصادرة الحقوق لتشكّل من خلال السّرد عالماً أكثر اتّساعاً يتلاءم مع إنسانيّة الفلسطينيّ وأحلامه وهويته المتجذّرة، فأصبح الجدار نتوءاً دون معنى؛ لأنّها ضدّ فطرة الطبيعة والإنسان، فمن خلال الحوار الذي ينبئنا أنّ الإنسان ابن الوجود والكون المطلق، هذا كلّه جاء من المحايثات الجماليّة للمكان وامتداده في ذاكرة ومخيلة الجدات والإباء.

كان صداها واضحاً وجليّاً بالاقتراب والابتعاد من الجدار لتعدّد المعاني من خلال تعدّد الدّلالات المكانيّة. انطلاقاً ممّا يقوله الفيلسوف السّيميائي "دانيال تشاندلر: "إنّ الإنسان إنسان المعنى".

أعادتني قصص الأديبة سناء شعلان إلى رسّام الكاريكاتير "ناجي العلي" [٦] الذي كتب التّاريخ الفلسطينيّ من خلال رسومه الكاريكاتريّة بكامل أماكن تواجده، وأيقونته الرّمزية "حنظلة" التي أصبحتْ رمزاً للنّضال الفلسطينيّ وبوصلته تشير باتّجاه القدس.

اليوم فتحتْ سناء شعلان الوجع والصّمود الفلسطينيّ، ودوّنته سرديّاً، وفضحتْ عنصريّة العالم إزاء سكوته عن"جدار الفصل العنصريّ" معريّة انهزام وكذب النّظام العربيّ الرّسميّ الذي ترك فلسطين والفلسطينيين يخوضون غمار شقاه وصموده وحدهم.

قدّمت الأديبة سناء شعلان مجموعتها القصصيّة الجديدة "حدث ذات جدار" بأسلوب وصوت مختلف عن القضية الفلسطينيّة، واستطاعتْ أن تجعل من عتبة العنوان دالة فاعلة متعدّدة المعاني في القصص جميعها حاضرة بذاتها مباشرة من خلال الأحاسيس، أو من خلال مرآة الإدراك عبر الصّور المختلفة في المبنى والاستخدام والانزياح الدّلاليّ، وضمّنت الدّيالكتيك للتّوضيح وإيصال رسائل تؤكّد ارتباطها الإنسانيّ والوجدانيّ لأرض الآباء والأجداد فلسطين.

الإحالات:

١- سناء شعلان: حدث ذات جدار مجموعة قصصيّة، ط١، دار أمواج للنّشر والتّوزيع، عمّان الأردن، ٢٠١٥

٢- نفسه: ص١٣

٣- جماليّات المكان: جاستون باشلار، ترجمة غالب هلسا، ط١، دار الجاحظ للنّشر، بغداد، العراق، منشورات وزارة الثقافة العراقية، ١٩٨٠م، ص٣٧

٤- نفسه: ص٤٦

٥- نفسه: ص١٢٢

٦- ناجي سليم العلي: ١٩٣٧-١٩٧٨، هو رسام كاريكاتير فلسطينيّ مشهور جداً يتميّز بالنّقد اللاّذع والصّراحة العالية، أُغتيل في لندن عام ١٩٧٨

"٥"

الحِجَاج في المجموعة القصصيّة "أكاذيب النّساء" (١)

عن الكذب:

إنّ التّعريف الشّائع للكذب هو الإخبار عن الشّيء على خلاف ما هو عليه عمداً أو خطأ، والكذب يناقض الصّدق والحقيقة والواقع، ومترادفات الكذب عديدة، مثل: الخرص، والبهتان، والإفك، والافتراء، والخداع، والتّدليس، والحنث باليمن، وخلاف الوعد، الخ.

لقد عُني الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنّفسانيين ورجال اللاّهوت والفقهاء بتفسير فعل الكذب ونبذه وتجريمه؛ لأنّه قول يجافي الحقيقة مع العلم بها، واختلفوا حول السّهو، أو الخطأ، إلاّ إذا أصرّ المخطئ "الكاذب" عليه، وبعضهم ناقش كذب الخرافات من باب الاعتقاد والاقتناع والتّخيل، ولم يعدّوه كذباً؛ لأنّه لا يترك آثاراً على الآخرين، أو صنّفوها من الأكاذيب البيضاء التي أدانها "كانط" بشدّة، بينما يقبلها الفيلسوف الإنكليزيّ "جيرمي بنثام" من باب أنّها غير ضارّة.

إنّ أغلب الأديان تعدّ الكذب ومرادفاته من أسباب الفجور، وقد ذُكر الكذب في القرآن ٢٥٠ مرة، وإنّ التّاريخ والتّاريخ السّياسيّ يعجّ بالكذب.

يقترن الكذب بعدد من الجرائم، مثل الغشّ، والنّصب، والحنث باليمين، وهذه الأفعال كلّها يُحاسب القانون عليها "والكذب يتخّذ طابعاً إنجازيّاً؛ ذلك لأنّه يتّخذ في الوقت نفسه وعداً بقول الحقيقة وخيانة لذلك الوعد، وقدّم "جاك

دريدا" في كتابه "تاريخ الكذب" أطروحات تحليليّة وتمهيدية " تمكّنتُ من بلورة جينالوجيا تفكيكيّة لمفهوم الكذب، هو التّساؤل حول إمكانيّة تشكيل تاريخ خاصّ بالكذب من حيث هو كذلك، فهناك صعوبة لا يمكن تخيّلها، إذ عزمنا على القيام بمشروع من هذا القبيل، وهي تكمن في ضرورة التّميز بين تاريخ الكذب، مثل مفهومه وتاريخه في حدّ ذاته الذي يحيل إلى عوامل تاريخيّة وثقافيّة، وتساهم في بلورة الممارسات والأساليب والدّوافع التي تتعلّق بالكذب التي تختلف من حضارة لأخرى، بل حتى داخل الحضارة الواحدة نفسها". [٢]

عن أكاذيب النّساء:

هي المجموعة القصصيّة الـ ١٦ للأديبة سناء شعلان، وتحتوي على خمسة عشر عنواناً، إلاّ أنّها تناهز ١٩٠نصّ تعالقيّ بين القصّة القصيرة والقصّة القصيرة جدّاً والومضة والشّذرة، مستفيدة من البنى الحكائيّة في التّراث العربيّ، وهذا واضح في أكثر من قصّة من قصص المجموعة ذات الأشكال المتوالدة والمتداخلة القائمة على المفارقة واستدعاء الأشكال في السّرد والحكي التّراثيّ، وتركيز الأحداث والأزمان والأزمات في حدث قلق واحد.

اجتهدت القاصة في استخدام تقنيّة السّرد التّراكميّ "إنّ مثل هذا التّداخل السّرديّ يعني فيما يعنيه، تقسيم الحكاية الواحدة إلى مجموعة من الأحداث المكتفية بذاتها معنى ودلالة، لكنّها لا يمكن أن تعطي المعنى العام للحكاية الأمّ ما لم تتداخل مع بعضها؛ إذ يتداخل الأوّل والثّاني بالأوّل والثّالث، وهكذا يستمرّ التّداخل حتى تكتمل الحكاية، أي أنّ الحدث يركّب على الحدث الذي قبله، ويدخل في الحدث الذي يليه" (٣) على سبيل المثال في قصص: "أكاذيب النّساء" التي أخذت المجموعة عنوان لها، و"أكاذيب العدالة"، و"صهوات الكذب". [٤]

لقد استخدمت القاصّة أسلوب القصص الفرعيّة، مثال: قصّة "أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين"(٥)، وهذا أسلوب تراثيّ وجوده الأدبيّ يتجلّى عند الفيلسوف "عبدالله بن المقفّع" في كتاب "كليلة ودمنة"، أو في قصص ألف ليلة وليلة؛ فالأبواب التّسعة لقصّة أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين": فيما ورد في باب فضائل اللّصوص الشّرفاء، وفيما ورد في باب فضل الكذب الكبير على الكذب الّصغير، وفيما ورد في باب مصارع الصّادقين ومهالك الورعين، وفيما ورد في باب اختلاف أقدار الصّادقين والكذابين، وفيما ورد في باب التّاريخ لأهل التّدليس، وفيما ورد في باب حسن الاغتنام عند أهل الإفك والبهتان، وفيما ورد في باب مُلح أهل النّفاق والرّياء، وفيما ورد في باب أكاذيب الغواني وترّهات الشّطار، وفيما ورد في باب من عشق نساء الخنا وما استطاع أن يعشق غيرهن.

شكّلت هذه الأبواب المختلفة النّصّ، إلاّ أنّها متّصلة في الموضوع، وانطوتْ على استحضار مقاصد اللّغة ببعديها التّداولي والسّياقي خدمةً للخطاب الحجاجيّ بمستوياته المتعدّدة للتّعبير عن الاعتلال القيميّ وانحطاط السّلوك الإنسانيّ، وكشفتْ عن الأساليب والممارسات والدّوافع المتعلّقة بفعل الكذب ونتائجه الكارثيّة ثقافيّاً واجتماعيّاً التي تسود علاقة المجتمع من أعلى الهرم الاجتماعيّ والسّياسيّ إلى أسفله.

ذلك كلّه يتحقّق من خلال دلالات مباشرة ومضمرة داخل هذه النّصوص "الأبواب"، وضمن السّياق الحكائيّ والسّرديّ. ومثلما تكون الدّلالات مباشرة وغير مباشر، فعلاقة تلك النّصوص بنصوص أخرى علاقة ظهور وخفاء وفق "جيرار جينيت"، وهكذا يكون التّناصّ مباشر وغير مباشر.

عن إلفة الكذب:

إنّ قصص هذه المجموعة فضح صارخ لألفة المجتمعات الإنسانيّة للكذب تحت ذرائع ومبرّرات نفعيّة واستغلاليّة متعدّدة حتى بات السّاسة والحكام يكذبون على شعوبهم بالوسائل كلّها لممارسة الحكم، وتقول المفكّرة والفيلسوفة الألمانيّة الشّهيرة "هانا آرنت" اللّجوء إلى الكذب في ممارسة السّياسة هو مسّ فاضح بكرامة المواطن وهدم بيّن للعقد الاجتماعيّ بين النّاس: "ذلك السّياسيّ المحنك أتقن الكذب والسّرقة، كما أتقن أن يقوم بهما بحرفيّة مجيدة؛ فهو يفضّل الأناقة والحرفيّة على عمل الهواة، وتجارب المبتدئين، لذلك عندما يكذب، فهو يقدم الكذب وجبة شهيّة". (٦)

الإعلام يزيّف الحقائق، ويكذب: "هو يدين بالكثير للوسط الذي جعله يحوّل موهبته في الكذب من هواية ضالّة إلى تخصّص علميّ وموهبة فريد". (٧)

الإعلانات تكذب، والبعثات الدّبلوماسيّة لا تتوانى عن استخدام الكذب والدّيماغوجيّة ليل نهار، والأزواج تكذب، والخدم والأسياد يكذبون، وهكذا دواليك حتى أصبحنا في شبكة معقّدة جداً من الأكاذيب.

هذا ما يؤكّد نكوصنا الإنسانيّ وتدهور العلاقات الاجتماعيّة والأسريّة "فلو كان للكذب كما هو شأن الحقيقة وجه واحد، لكانت العلاقات بيننا أحسن ممّا عليه، فيكفي أن نحمل على محمل صدق نقيض ما ينطق به الكاذب منا، إلاّ نقيض الحقيقة له مائة ألف وجه، ولا يمكن الإلمام كلياً بالحقل الذي يشغله". (٨)

لكن تبقى الحقيقة ليستْ مرادفاً للواقع، بل هي قيمة أكثر إطلاقيّة وتسامياً منه، لذلك التجأت القاصّة إلى عنونة نصوص قصّة (٩) فرعيّة باستخدام

مفردة حقيقة لتعميق دلالة العنوان السّيميائيّة، وإعطائها بُعداً فلسفيّاً: أكاذيب العانس/ حقيقة العانس، أكاذيب الخادمة/ حقائق الخادمة، أكاذيب الزّوجة/ حقائق الزّوجة، أكاذيب الجميلة/ حقائق الجميلة، أكاذيب العروس/ حقائق العروس، أكاذيب الحرّة/ حقائق الحرة، أكاذيب السّاحرة/ حقائق السّاحرة.

في هذه الحكايات القائمة على اجتراء نقيضين متضادّين؛ الكذب/ الحقيقة، لا يلحق فيها الكذب الأذى بالآخرين قدر أنّه خداع للذّات "الإيحاء الذّاتيّ"؛ لأنّ الحقيقة والواقع شيئان مختلفان، والحقيقة هي قول الصّدق، لكن الحقيقة لا تقبل النّسبيّة كما الصّدق المنتمي إلى الأكسولوجيا "القيم والمثل العليا"، والضّد للكذب المنتمي للرّذيلة والسّقوط.

يتجلّى الخطاب الحجاجيّ في الاستهلال الأوّل لهذه المجموعة بوصفه صرخة احتجاج مدويّة ضدّ الكذب والكذابين لتحقيق نمط حجاجيّ بالمخاطبة بواسطة الإهداء: "إهداء كاذب" إليهنّ عندما يجدن الكذب كي يوارين الألم خلف الصّمت.

إليّ؛ لأنّني أفوقهنّ قدرة على الكذب.

إلى مولانا الكذب الذي يهبنا الهراء كلّما احتجنا إليه في عالم لا يدين إلاّ لـه ولمريديه من الخرّاصين".

وفي الصّفحة التّالية صرخة أو إجابة بصيغة سؤال احتجاجيّ.

درب: لولا الكذب ما كانوا، وما كان الألم.

إجابة: هذه هي أكاذيبهنّ، فماذا عن أكاذيبكم؟" (١٠)

خلصتْ نصوص هذه المجموعة بخطابها الحجاجيّ وفق رؤية تحريضية – ثوريّة جديدة للواقع، وفق ما أكّد "رولان بارت" في إبداعيّة الخطاب "الخطاب ليس تمثيلاً للواقع، بقدر ما هو خلق لهذا الواقع وفق رؤيّة جديدة تجعلك تفكّر فيما لم يفكر فيه أحد، بعبارة أخرى تفكّر فيما حجبته الألفة والعادة عنك"، وهنا نجحت القاصّة سناء شعلان من خلال المسرود من حيث هو حبكة- في استحضار ما نفهم به الواقع الذي حجبته الألفة والعادة عنّا من خلال الموضوع الجماليّ الذي اختارته "لكنّه موضوع مُرّر من خلال رؤية معينة وفق اقتضاءات جنس أدبيّ معين، وتوجيه فنيّ ما، وخلفيّة معرفيّة معيّنة، ومتحكّمات محدّدة، والمقصود بتحديد الرّؤية من خلال هذه العناصر أن يصير الموضوع مروراً من وجهة نظر أيديولوجيّة". (١١)

الملفت للنّظر في هذه المجموعة -بوصفها وثيقة سرديّة بتنويعاتها المختلفة- إثارة انتباهنا لسيل الكذب الجارف المستحكم في مجتمعاتنا الذي ألفناه دون أن نحتجّ عليه، ويبرّر البعض كذبه للعرف السّائد، وهذا لا يستقيم مع العرف بوصفه مفهوماً نستتر به بقول الكذب وارتكاب الأفعال المشينة والمنحطّة، فمفهوم العرف: هو الأمر الذي اطمأنّت إليه النّفوس، وعرفته، وتحقّق في قراءتها وألفته، مستندة في ذلك إلى استحسان العقل، ولم ينكره أصحاب الذّوق السّليم في الجماعة، وعكس ذلك هو بهتان وتدليس للحقيقة.

مجتمعنا العربيّ زاخر بالكذب بأنواعه كلّها تحت ستار الأعراف والعادات دون إخضاعها للعقل والذّوق السّليم، ولا تستقيم أمور العباد أو الجماعة التي تشترط للعرف أن تطمئنّ النّفوس له، ولا يكفي اعتياد الأكثريّة

عليه، ليصبح صحيحاً، فهناك نسبة كبيرة من الأعراف الفاسدة نحتكم إليها، ونتمسّك بها، وتتمسّك بنا، لكنّها تظلّ –على الرّغم ذلك– خاطئة.

"عندما اجتمع رجال أسرتها، وقرّروا بكلّ رجولة، وعدالة صارمة أن يذبحوها؛ لأنّها جرّت العار عليهم برفضها الزّواج بمن اغتصبها، وخسارة امرأة أهون من خسارة رجل في عرف القبيلة". (١٢)

ما أكثر الجماعات التي تلبس كذبها بالدّين زوراً وبهتاناً، ويمارسون كذبهم باسم "الحقيقة المقدسة"، ويحملون فكراً دينيّاً متخلّفاً وأفكاراً رجعيّة، حيث لا مجال للتّفكير وإعمال العقل هم جماعات هشّة، ولا قوّة لها، ولو تُركت وشأنها فستأكل نفسها بنفسها؛ لأنّ القضيّة لديهم ليستْ قضية خطأ وصواب، وإنّما هي قضيّة حلال وحرام، ثم تعاظمتْ إلى إيمان وكفر ثم استباحة دماء، وهي جماعات هزيلة وغشيمة" (١٣)، تعطّل التّفكير واللّجوء لمسلّمات ميتافيزقيّة تكهنيّة مليئة بهراء تاريخ زبالة يعجّ بالكذب والأفاقين، ولا تعطيهم الحقّ؛ لأنّ الحقّ قائم بذاته وفرض آراء خرافيّة لا تمتّ للعقل والتّفكير الإنسانيّ لا من قريب ولا من بعيد ويقول "كانط" فيلسوف السّلام الأبديّ والمثاليّة: "إنّ كلّ البشر يُولدون بقيمة جوهريّة أساسها أنّهم قادرون على اتّخاذ القرار باستقلال تامّ والكذب يفسد القدرات الأخلاقيّة للإنسان، ويعيق الآخر في السّلوك بعقل وباستقلال، وبالتّالي هو مسّ بالكرامة الإنسانيّة التي نادت الأديان السّماويّة بها".

تحتج "أكاذيب النّساء" بقوّة في العالم المبني على الكذب الذي يمارس من أجل تغييب الحقيقة، فلا غرابة في أن يشيع الظّلم والعبوديّة بسبب الكذب والكذّابين تحت ذرائع ومسمّيّات شتى وأعراف بالية لم يعد لها معنى أو قيمة في

حياتنا المعاصرة، وتسحق الشّرائح المستضعفة، وتستغلّها، والنّساء أوّل هذه الشّرائح، ويحدث ذلك كلّه مرة باسم الدّين وأخرى باسم الأعراف المحكومة بجندريّة قاسية ومميتة.

إنّ قضيّة المرأة في مجتمعاتنا العربيّة هي قضيّة معقّدة ومركّبة وشائكة مثل الكذب نفسه، وتشارك المرأة في خذلان نفسها لاستسلامها للكذب، بوصفه طريقاً لدرء مخاطر محيطها والدّفع بقبولها الكذب بوصفه وسيلة دفاعيّة، وأتتْ هذه القصص من تجربة اجتماعيّة نعيشها جميعاً بتجليّاتها وآثارها بشكل يوميّ أصبح الكذب متلازمة مرضية أصابت المجتمع ونخبه الفاسدة السّاقطة في الرّذيلة والابتذال، المتوارية خلف الكذب وأقنعته المتعدّدة التي تملكها؛ لتخفي حقيقة واحدة كبرى، وهي أنّها كاذبة ومتهالكة، وساقطة، وتسير بالمجتمع والحضارة والإفراد نحو الفساد والإفساد والخراب والدّمار، وأصبح العالم الإنسانيّ يبتعد عن الأمن والأمان؛ لأنّ دول تمارس الكذب والاحتيال على دول أخرى.

استخدمت القاصّة السّخريّة والفنتازيا، كما استخدمت المفارقة والتّقابل والتّضادّ في سبيل استمالة القارئ وإقناعه بالخطاب المرسل إليه سعياً لتأكيد الحقيقة التي تدافع عنها، ليس من منطلق يوتوبيا أو فلاطونيّة أو مثاليّة، بل تروي قصص من الواقع وإسقاطاته وتعريته، كما هي الحقيقة عارية، وعلى القارئ أن يستنطق الدّال والمدلول لإقامة الفهم أو المعنى "ولن يأتي ذلك إلاّ بتحديد مرجعيّة خاصّة بمعرفة حقيقة الأشياء، أو الأمور المتحدث عنها، أيّ حقيقة ما وراء الكلام، وهي حقيقة قد تظلّ معلّقة في النّصّ الأدبيّ رغم إصرار علماء اللّسان وعلماء الخطاب على أنّ القيمة المرجعيّة حاسمة في بناء النّصوص قد تبهت، وقد تختفي، لكنّها لا تضمحل، ولا يمكن الاستغناء عنها أبداً. (١٤)

لا تغفل هذه القصص عن إبراز كذب المهمّشين والمستضعفين اضطراراً نتيجة الاستلاب النّفسيّ والوجوديّ والنّساء في مجتمعنا العربيّ تبقى فرائس مستهدفة بشراسة، ولا تختلف كثيراً في المجتمعات الأخرى التي تدّعي التّحضر.

لقد نجحتْ نصوص هذه المجموعة بجملة الأساليب الحجاجيّة التي اضطلعتْ بحمل المتلقّي "القارئ على الإقناع بمبرراتها السّرديّة بما عرضته وكسر التّوقعات لسلوك شرائح نخبويّة، كما تقوم بأفعال لا تتطابق، ولا تتوافق مع ما هو متوقّع في أذهاننا، وبضدّها تبنى الأشياء والأفعال والسّلوكيّات في مجتمعات متهاوية ومتورطة بالرّذيلة والفجور تدين للكذب والكاذبين، وهذا جلي من خلال الخطاب الحكائيّ المبني على البلاغة لتتّسع إلى خصائص جديدة مع نصوص هذه المجموعة المرتكزة على الخطاب الحجاجيّ، وهو محطّ أنظارنا حصراً في تناول هذه النّصوص القصصيّة والحكائيّة في المجموعة انطلاقاً "إنّ الحكي بمعنى الخطاب هو الذي يمكن دراسته أو تحليله تحليلاً نصيّاً، وذلك لسبب بسيط هو أنّ القصّة، أو السّرد لا يمكن أن يكون إلاّ في علاقة مع الحكي، وكذلك الحكي، أو الخطاب السّرديّ لا يمكن أنّ يتم إلاّ من خلال حكيه للقصّة، وإلاّ فليس سرديّاً، وإنّ الخطاب سرديّ بسبب علاقته بالقصّة التي يحكى وبسبب علاقته بالسّرد الذي يرسله". (١٥)

يمكن القول إنّ هذه المجموعة تنحو منحى الكتابات النّثريّة المتخصّصة لنخبة من القراء، وهي بذلك مضنون بها على غير أهلها؛ لذلك غلب عليها الحجاج والتّدليل والنّقاش؛ لأنّها تنبثق من فكرة الاستدلال والإقناع بغية تسجيل الرّفض والاحتقار للكذب والكذابين.

المجموعة تجربة فريدة وخاصّة في توثيق سير الكذابين لاسيما في أوساط النّخب المزورة التي أفسدت الإنسان والمجتمعات، وهي تعرية لهم جميعاً بغية فضحهم وتجريمهم ولعنهم في الذّاكرة والتّاريخ.

من هذا المنطلق تعدّ هذه النّصوص السّرديّة ليستْ مجموعة قصصيّة تستهدف قطاعات القرّاء جميعها، بل هي تتوجّه نحو النّخب أيّاً كان وضعها أكانت نخباً متسلّقة مفروضة على المجتمع، وهي رمز للسّقوط والانتهازيّة والخواء، أم كانتْ نخباً حقيقيّة تعاين ما يحدث حولها من فجور وكذب، وتلوك القهر، وفي الغالب هي مغلوبة على أمرها وصامتة، وهاربة نحو العزلة والاعتكاف بعيداً عن فساد المفسدين وكذب الكذّابين.

من هنا أصبحتْ هذه النّصوص وثيقة إدانة تاريخيّة وخطاب احتجاج صريح، وأنّ في وسع الخطاب أن يكون أكثر اتّساعاً من النّصّ، لكن النّصّ أكثر بقاء وأثبت مع الزّمن لم يرتهن للحظة الإرسال.

كما نجحت القاصّة في استخدام السّخرية والفنتازيا والمفارقة والتّقابل والتّضادّ في سبيل استمالة القارئ وإقناعه بالخطاب المرسل إليه سعياً لتأكيد الحقيقة التي تدافع عنها ليس من منطلق يوتوبياويّ أو افلاطونيّ؛ لأنّها تروي قصص من الواقع وإسقاطاته وتعريته، كما هي الحقيقة عارية.

هي كذلك لا تغفل كذب المهمّشين والمستضعفين اضطراراً نتيجة الاستلاب النفسيّ والوجوديّ، والنّساء في مجتمعنا العربي تبقى فرائس مستهدفة من القريب والبعيد نتيجة لاختلال العدالة التي أخضعها الذّكور لسلطانهم.

كتبت القاصّة في مجموعتها "أكاذيب النّساء": "كان الأمر أسهل ممّا تتخيّل، اغتنم فرصة بقائها وحدها في بيتها، واغتصبها بكلّ سهولة وسطوة بعد أن استفرد بها، قاومته بشدّة، لكنّه كان أقوى منها جسديّاً، وبذلك حظي ببكارتها، وثم سلّم نفسه للشّرطة معترفاً بجريمته، ومعلناً أنّه على أتمّ الاستعداد للزّواج بها وفق ما يقرّه القانون من حقّ المغتصب بالزّواج ممن اغتصبها، وكان القانون مفصّل بعناية لخدمة المجرم". (١٦)

"انتهت المجموعة القصصيّة، لكن لم ينته الكذب ! كُتبتْ هذه المجموعة ذات صدق". هكذا ختمت د. سناء شعلان مجموعتها أو وثيقة الإدانة للكذب والكذّابين.

الإحالات:

١- أكاذيب النّساء: سناء شعلان، ط١، دار أمواج للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ٢٠١٨
٢- تاريخ الكذب: جاك دريدا، ترجمة وتقديم رشيد بازي، ط١، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، لبنان، ٢٠١٦، ص٣٢-٦
٣- ألف ليلة وليلة سحر السّرديّة العربيّة: سلمان داود الشّويليّ، ط١، منشورات اتّحاد الأدباء العرب "الالكتروني"، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠، ص٤٢
٤- أكاذيب النّساء: ص ١٧-٤١-٦٧ القصص المذكورة.
٥- نفسه: ص٧٩، قصّة: أفراح التّدليس ومصارع الصّادقين.
٦- نفسه: ص ١٠٥، قصّة: كاذبون بمنتهى الصّدق.
٧ – نفسه: ص ١٦٧
٨- تاريخ الكذب: جاك دريدا، ص٢٩-٣٠
٩- أكاذيب النّساء: ص ١٧، قصّة: أكاذيب النّساء.
١٠- نفسه: ص٥-٧
١١- القصّة القصيرة ومأزق التّجريب ضرورة جماليّة مكوّنة للأدب: عبد الرّحيم جيران، جريدة القدس العربيّ، ١٩ ابريل ٢٠١٥
١٢- أكاذيب النّساء: ص ٤١، قصّة: أكاذيب العدالة.
١٣- لقاء مع المفكر المصريّ محمود إسماعيل، أجرته د. نجلاء مكاويّ، مجلّة الاستغراب، الصّادرة عن المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة، بيروت، لبنان، العدد الرابع، ٢٠١٦
١٤- خطاب الحكاية: جيرار جينيت، ترجمة محمد معتصم، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب، ١٩٩٦، ص٣٨
١٥- النّصّ الأدبيّ وإشكاليّة القراءة والتّأويل، الدّكتور محمد خرماش، الشّبكة العنكبوتيّة "انترنيت"، رابط: https://www. aljabriabed. net/n٦٧ ٠٣kharmach. htm
١٦ – أكاذيب النّساء: ص٤٤، قصّة: أكاذيب العدالة.

الباب
الثالث

الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد
في أدب الرّحلة
عند سناء شعلان (بنت نعيمة)

"أبحث عنّي في كلّ رحلة أقوم بها، وأجدني عندما أدوّنها"

سناء شعلان

"١"

فتنة العجيب والغريب في "الطّريق إلى كريشنا : رحلات في كشمير والهند" للدّكتورة سناء شعلان (بنت نعيمة) [١]

* الرّحّالة سناء شعلان تبحث عن عشبة السّعادة في جبال الهيمالايا.

"إنّ مَنْ يفتح قلبه للمحبّة يستطيع أنْ يسمع بقلبه، وأنْ يحفظ في ذاكرته": القدّيس أوغسطين

في البدء لا بدّ من الاعتراف بأنّني قد بلغتُ غاية مرادي من إلحاحي المستمرّ على د. سناء شعلان (بنت نعيمة) في مناسبات عديدة بأنْ تكتب عن رحلاتها المتعدّدة في كثير من أصقاع الدّنيا، وهي قد بلغت العشرات بوصفها أستاذ زائر وضيف شرف في الكثير من الجامعات العربيّة والعالميّة، والمؤتمرات العربيّة والدّوليّة والفعاليّات الثّقافيّة والفكريّة المتعدّدة، أو عبر أسفارها المتعدّدة الأغراض والمناسبات الثّقافية التي تُدعى إليها، مثل إشهار أعمالها الأدبيّة، أو فوزها بجوائز إبداعيّة ونقديّة وبحثيّة، أو ترجمة بعض أعمالها الأدبيّة، أو حضور مناقشة رسائل جامعيّة عن إعمالها؛ إذ لم تحظَ أديبة عربيّة معاصرة بما حظيتْ به الدّكتورة سناء شعلان من اهتمام بحثيّ ونقديّ بأعمالها الإبداعيّة التي كانت موضوعاً لدراسة عدد من الأبحاث الأكاديميّة المتخصّصة المحكّمة والرّسائل الجامعيّة "الماستر/ والدكتوراة"؛ إذ أجزم أنّ لها حصة الأسد بين الكتّاب العرب المعاصرين في هذا الشّأن، وما زال هناك الكثير من الدّراسات قيد الإنجاز في

حوزة طلبة الدّراسات العليا عن أعمالها في ماليزيا والهند وباكستان وأوروبا وأمريكا والجامعات العربيّة وأماكن مختلفة في العالم.

في كلّ مرة تكتب د. سناء شعلان إضاءات مقتضبة، أو تنشر صوراً توثيقيّة، أو مقاطع "You Tube" لأسفارها هي تثير فضولي، وتجعلني ألحّ عليها من جديد وبشكل أكبر كي تشرع في كتابة أخبار رحلاتها وأسفارها وتطوافها في الأرض؛ وجوهر إلحاحي هو إيماني العميق والمخلص بأنّ النّصوص هي أقوى المنجزات التي تبقى مع الأركولوجيا؛ فلولا رقم الطّين والكتابة على الحجر قبل اختراع الورق والطّباعة، لما حُفظتْ حياة الحضارات القديمة الأولى وإنجازاتها، لتكون بين أيدينا اليوم، وعلى الرّغم من ذلك ضاع الكثير منها؛ ممّا أحدث فراغات قاهرة في التّاريخ ومسيرة الحضارة، وبقيت حلقات مفقودة تنكأ توقنا للألغاز المؤرّقة لوجود الإنسان الأزليّ، وتثير هباب أسئلتنا الوجوديّة عن ذواتنا، وعن الآخر وتاريخ المجتمعات الأولى التي بنتْ أعظم الحضارات الإنسانيّة التي لم نفكّ أسرارها جميعاً بعد.

إنّ أوّل رحلة مدوّنة في التّاريخ هي رحلة "كلكامش" التي تُعدّ حجر الأساس العظيم للملحمة الإنسانيّة الأولى؛ فهي رحلة البحث عن عشبة الخلود ومعنى الإنسان والموت، ومن بعد توالتْ رحلات الأنبياء، كما تروي قصص الأنبياء والكتب السّماويّة.

إنّ طبيعة التّرحال ذات طبيعة بشريّة سببيّة في بحث الإنسان عن مبتغاه ووجهته التي يقصدها؛ لتحقيق غرضه الذي يريد الظّفر به، ويغامر من أجله متحمّلاً عناء السّفر ومخاطر المغامرات المميتة أحياناً

خير مثال على ذلك ما جاء في "ملحمة جلجامش" الشّهيرة في بغيّة السّفر وهدفه:

"هو الذي رأى كلّ شيء، فغني بذكره يا بلادي

وهو الذي عرف الأشياء جميعها، وأفاد من عبرها

وهو الحكيم العارف بكلّ شيء

لقد أبصر الأسرار، وعرف الخفايا المكتومة

وجاء بأنباء أزمان ما قبل الطّوفان

لقد أوغل في الأسفار البعيدة حتى حلّ به الضّنى والتّعب

فنقش في نصب من الحجر كلّ ما عاناه وما خبره". (٢)

لقد آمنتُ بأنّ ما تنشره الرّحالة د. سناء شعلان من إضاءات ومقتطفات مقتضبة عبر الوسائل التّواصليّة المتاحة لنا ينطوي على الكثير من الاكتشافات والمشاهدات القيمة ثقافيّاً ومعرفيّاً، لكنّها مبتورة، وأنّ ما وراء الأكمة ما ورائها من سيل جارف من المغامرات والمواقف والمرئيّات التي تكتنزتها شعلان في ذاكرتها وإرشيفها من خلال لقاءاتها ومشاهدتها الحيّة لأماكن لطالما شغلتْ خيالنا، وقرأنا عنها، وشدّ الرّحالة أمتعتهم إليها قديماً وحديثاً.

في كلّ مرّة ألحّ عليها للكتابة عن رحلاتها، يأتي جوابها المحبط لي: "لا أحبّ أدب الرّحلات؛ إذ لم يأتِ بجديد، كما أنّني لا أحبّ كتابة المذكّرات أو السّير الذّاتيّة".

أخيراً ذات مساء مفاجئ لي وجدتُ على بريدي الالكترونيّ رسالة من سناء شعلان ودعوة منها لي لقراءة فصل من "الطّريق إلى كريشنا"، ثم توالت النّصوص، وكلّ فصل يحمل غواياته الإبداعيّة والفنّيّة والجماليّة بأسلوب متأنّق في غاية التّرف، وفيه من الإمتاع ما فيه ممّا يستحقّ التّقريظ دون أدنى شكّ، ويجبرني على إعادة قراءته مرّات عديدة، وبقيتُ قابضاً على جمرة إلحاحي المستميت عليها بتزويدي بفصول أخرى من شدّة إعجابي بها، وشعرتُ بصرخة بداخلي تقول للشّعلان "أبقي على كرهكِ لأدب الرّحلات، واكملي كتابة الرّحلة"، وكتبتُ لها مقدّمة هذه الصّرخة، وأرسلتها لها على البريد الالكترونيّ، واستمر صيب الفصول يتوالى على بريدي الالكترونيّ من طرف شعلان.

بوصفي قارئاً وناقداً متابعاً للأديبة الدّكتورة سناء شعلان، وصديقاً لها يقاسمها الكثير من الأفكار والآراء المشتركة، فلا يسعني إلاّ أنّ أهتبل هذه المناسبة لتقديم الشّكر والعرفان لها؛ لأنّها منحتني فرصة قراءة باكورة رحلاتها المدوّنة "الطّريق إلى كريشنا" ولاستجابتها للكتابة عن رحلاتها؛ ليجد فيها القارئ متعة القراءة ولذّة موصولة؛ لما فيها من تنوّع واختلاف ومرآة صادقة في النّقل وتخطّي للكثير مما هو سائد ومألوف في أدب الرّحلات الذي خصّ الرّجال دون النّساء في عالمنا العربيّ إلاّ من استثناءات بعدد أصابع اليد الواحدة جاءتْ أغلبها على شكل مذكّرات أو سيرذاتيّة خالية من روح المغامرة للرّحالة بوصفهم مستكشفين.

تشكّل فكرة الارتحال مادّة أساسيّة للسّرد الرّحليّ من خلال البحث والاكتشاف من خلال دالة أساسيّة، ألاّ وهي المكان أو الأماكن، وما تحويه من

مشاهدات يرويها الرّحالة لغيره بصفته صاحب النّصّ، وهي التي ينهض النّص عليها، وبتنويعات سرديّة تفرضها الأفكار ومقتضياتها ومهارة السّارد.

قلبتْ سناء شعلان معادلة اللاّحبّ، وهزمتْ كرهها لأدب الرّحلة، وأبدعتْ أروع سلسلة من رحلاتها المختلفة الأغراض والمتنوّعة، وهي تبحث بروح الرّحال العاشق عن عشبة السّعادة ومتعة المعرفة والعدالة لا الخلود.

يتعذر عليّ الكتابة عن الرّحلات مجتمعة؛ فهي في حاجة إلى جهد جهيد وبحث طويل، ولن نفيها حقّها بعجالة وإيجاز؛ فهي تحتاج إلى دراسات بأكثر من مستوى؛ فهي سرديّة وقصص أدبيّة غاية في الرّوعة، وتحمل خصائص عديدة ومتنوّعة من المعارف التّاريخيّة والعلميّة التي تحتاج من القارئ إلى مقدار كبير من التّبصّر والبصيرة النّقديّة للحكم عليها؛ لهذا سأكتفي بالكتابة عن رحلة "الطّريق إلى كريشنا" تاركاً ما تبقى للمستقبل والآخرين لدراستها وتقيمها، ولكلّ مجتهد نصيب.

رحلة "الطّريق إلى كريشنا":

شهد أدب الرّحلة تراجع وضمور لقرون عديدة، وبقي متداولاً على نطاق ضيق عند المهتمّين بالأدب والمؤرّخين والمختصّين في بعض العلوم الطّبيعيّة والطّبّيّة والتّاريخ واللّغة، إلاّ أنّه عاد بقوّة في العقود الأخيرة من القرن العشرين، وبدأت الجامعات الإنسانيّة والعلميّة تهتمّ بتحقيق المخطوطات التّراثيّة للرّحالة الأوائل والمستكشفين، وبسبب ضيق المساحة هنا لا أريد الخوض في تعريف وخصائص أدب الرّحلة، فقد أُشبع تعريفاً ودراسة، وعظمتْ حظوظ أدب الرّحلة في دور النّشر والمسابقات الخاصّة بها، إلاّ أنّ كتابة الرّحلة بوصفها

سرديّة بقيت تراوح بين المذكرّات السّيريّة، أو نصوص تسجيليّة، أو فرجة سياحيّة، وهذا النّوع من أدب الرّحلات لا يشبع فضول القارئ؛ لأنّه يخفق في نقل تجربة الرّحالة ومغامراته المنبثقة من الواقع الماديّ الذي يعيشه "زمكانيّاً" لاسيما عندما نكون في القارّة الهنديّة التي تتمتّع باختلافها المترع بخصب وتنوّع إنسانيّ لا يجده المرء في أيّ مكان على أرض المعمورة والمعلوم من الوجود إلاّ في الهند .

سيكتشف القارئ أنّ سناء شعلان قد تجاوزتْ غرض رحلتها بوصفها أستاذة للأدب الحديث ومهتمّة بالثّقافة وحقوق المرأة والطّفولة والإنسانيّة، وسعتْ إلى إشباع دوافعها الذّاتيّة بعيداً عن الرّغبة السّياحيّة، أو الفرجة السّطحيّة، كما دأب بعض الرّحالة المعاصرين على فعل ذلك؛ فهي قد سعتْ بإصرار إلى ملاحقة أصغر التّفاصيل المكانيّة بما تحويه من نشاطات إنسانيّة وكائنات حيّة، ثم قشّرتْ كلّ ما هو فائض درءاً للإطناب والحشو الزّائد دون إغفال لما يكتنف الهند من تنوّع لا محدود، الأمر الذي يفرض على الرّحالة الشّروط المُتعارف عليها في أدب الرّحلات بجذافيريّة كبيرة بتسجيل مشاهداتها بصدق ودقّة واختيار أسلوب خاصّ، وتشكيل خطابها الرّحليّ المختلف بما يتلاءم مع غرائبيّة القارّة الهنديّة وعجائبيّتها؛ إذ كانت وستبقى محطّ أنظار الرّحالة والانثربولوجيين منذ قرون قد خلتْ.

الانثروبولوجيون المعاصرون "الانثروبولوجيا علم حديث التّشكل" يتقاسمون معايير مشتركة مع الرّحالة المعاصرين في النّظر إلى مفهوم التّثاقف بوصفه مفهوماً خادعاً وراء السّعي لكشف الاختلاف من خلال تسليط الضّوء على "الحتميّات الثقافيّة" للمجتمع الهنديّ ودراسة مضامينها ومستوياتها ليس عن

طريق الأفراد المتأثّرين بها في وقت ما، ومن هنا "نجد أنّ مادّة الرّحلة كثيراً ما تحتوي على العناصر الأدبيّة جنباً إلى جنب مع المعلومات الاثنوجرافيّة"، وفق ما يذكر الدّكتور حسين محمد فهيم في مقدّمة مؤلّفه الشّهير "أدب الرّحلات".

إنّ الرّحالة بوصفهم اثنوجرافيين والاثنوجرافيين غدوا مثل رحالّة، ليصبح الطّرفان متجاورين في تقاسم أساسيّات المنظومة المعرفيّة للثّقافة الإنسانيّة أو المجتمعات المختلفة "إنّ الاثنوبولوجيا كلمة معرّبة تعني الدّراسة الوصفيّة لأسلوب الحياة ومجموعة التّقاليد والعادات والقيم، والأدوات والفنون، والمأثورات الشّعبيّة لدى جماعة معينة أو مجتمع معيّن، من خلال فترة زمنيّة محدّدة، وفي مقابل هذا المصطلح نجد مصطلحاً آخر هو الاثنولوجيا الذي يهتم بالدّراسة التّحليليّة والمقارنة للمادّة الاثنوجرافيّة بهدف الوصول إلى تصوّرات نظريّة أو تعميمات بصدد مختلف النّظم الاجتماعيّة والإنسانيّة من ناحية أصولها وتنوّعها، وبهذا تشكّل المادّة الاثنوجرافيّة قاعدة أساسيّة للبحث الأثنولوجيّ؛ فعلما الاثنوجرافيا والاثنولوجيا مرتبطان؛ إذ يكمّل أحدهما الآخر، وهما يشكّلان مجالين دراسيين مهمّين في إطار مجالات الدّراسات العامّة للاثنبولوجيا".[٣]

من الالتفاتات التي تُحسب للرّحالة سناء شعلان أنّها لم تقرأ المتاحف والآثار قراءة تاريخيّة مجرّدة، بل غاصتْ فيها لتكتب عن تفاصيل التّفاصيل كما هو وقوفها عند "تاج محلّ" ذي قصّة الحبّ الشّهيرة، ونقلت القصص بوجدانيّة وشغف؛ لأنّ القارئ باتْ يعرفها بوصفها أثراً ووجوداً مكانيّاً قائماً وموجوداً ومعروفاً في مشارق الأرض ومغاربها، وفي زمن أصبحت الصّورة بأشكالها

جميعاً متاحة، ويمكن الحصول عليها ونحن في السّرير بسرعة فائقة وغير متخيّلة، وصولاً إلى تقنيّة "google earth" وقنوات الفضاء المفتوح.

من هنا تحتاج كتابة الرّحلة التي استفادتْ من التّقنيات الرّقميّة إلى سرديّة مختلفة "المغامرة السّرديّة" في ميكازينماتها وتقنيّاتها في سرد مراحل رحلتها ومغامراتها مرحلة مرحلة، بأسلوب محكم ورصين ومشوّق؛ لإغراء القارئ واستمالته، وهو مَنْ تشغله الصّورة، وتجذبه بقوّة إلى حدّ العزوف عن القراءة؛ فمشاهدة فيلم أو وثائقيّات فلميّة على أقراص مدمجة، أو في الحاسوب، أقلّ تكلفة، وأشدّ توفيراً للوقت من قراءة سرديّة رحليّة، لكن تبقى النّصوص أكثر مؤانسة ومتعة في إعادة التّخييل وصولاً إلى اللّذة المفارقة إلى حدّ الإدهاش.

إنّ مقولة الهند متحف للزّمان والمكان حقيقة لا جدال فيها حتى للمتلقّي أو السّامع الذي لم يزر الهند، وقد حاولتْ شعلان تحقيق ذلك من خلال كتابتها السّرديّة في فصول غاية الرّوعة في التّصوير "الهند متحف البشر والمعمار" و"ألف طبق وطبق"، وعيد بعد عيد"، و"الأحمر بالأحمر والبادئ أجمل"، ونقلتْ مشاهداتها المبهرة بدقة وبحذاقة.

يبدو أنّ الهند تبهر كلّ زائر ورحّالة، حتى أنّها تبهر من يعيش في أكنافها ردحاً من عمره، وفي ذلك يقول الدّبلوماسيّ المصريّ المعروف "مصطفى الفقي" الذي أصاب كبد الحقيقة، وهو مَنْ قضى فيها جزءاً من حياته دبلوماسيّاً "إنّ الهند أمّة عظيمة لا تُؤخذ ببساطة؛ إذ في أعماقها تراكماً ثريّاً، وفي أحشائها الدّر المكنون".

استطاعتْ شعلان أنْ تغوص عميقاً في المجتمع الهنديّ من أجل التقاط بعض درر تفرده، وما يحيط به من غرائبيّة وحكايات عجيبة إلى حدّ الخرافة

والفنتازيا، وقد زارت الهند مرّات عديدة ولأغراض متعدّدة، وعلى الرّغم من ذلك كانتْ ضنينة على القرّاء بتدوين رحلاتها بقدراتها اللّغويّة المعروفة بتفرّد صورتها بإحساس ومشاعر غاية الرّوعة والصّنعة بروح محلّقة بثقة العارف لوجهته وغاياته المعرفيّة والإنسانيّة.

غنّت الرّحالة سناء شعلان مثل "غناء القوالي الموسيقى الكلاسيكيّة الصّوفيّة الهندوستانيّة في بناء ألحانها، وارتجالاتها الصّوتيّة المرنة والمتفرّدة التي يصدح المغنّون بها، القوالي له بصمته الخاصّة في تعدّد الإيقاعات، ويتجاوز الكثيرون من روّاد هذا الفنّ قوانينه وأنغامه وأدواته التّقليديّة، ويصبغوه ببصماتهم الشّخصيّة". (٤)

كتبتْ شعلان مدونة رحليّة بصبغة مختلفة عمّن سبقها إلى زيارة الهند والكتابة عن عوالمها وفتنتها التي لا يمكن سبر أغوارها بيسر، وليس بسهولة بمكان أنْ نفهم التّعارضات النّاتجة في الحياة الإنسانيّة للهنود المترعة بالعجائب والغرائب المرتبطة بالثّقافات والعادات المتوارثة عبر أجيال وأجيال منذ زمن سحيق.

لقد رمتنا الرّحالة د. سناء شعلان في "الأشيرون: وهو نهر في جهنّم" بتسليطها الضّوء على قاع المجتمع إلى أعلى هرمه وعاداته وأعرافه التي ما زالتْ مستحكمة وقائمة على الرّغم من بشاعتها، لاسيما ضدّ الشّرائح المهمّشة والنّساء على وجه الخصوص، وهي عادات بالية ومهترئة لا تؤدّي وظيفة اجتماعيّة، أو وظيفة ثقافيّة، لكنّها تُمارس بحكم العادة المستبدّة والجندرة المفرطة والطّبقيّة، إلى حدّ تجاوز الحدود كلّها التي لا يتخيّلها أيُّ إنسان معاصر، كما

يقول مارك أوريل "كلّ ما يحصل يحصل بشكل عادل، وهذا ما ستكتشفه لدى مراقبتكَ للأشياء بدقة".

إذن كانتْ شعلان تراقب بدقّة، ونقلت المشهد كاملاً من قاع المجتمع وصولاً إلى قمّة الهرم للنّخب بشكل عادل لكلّ ما يجري، وبشكل محسوس من خلال الصّورة السّرديّة التي تريد أنّ يبصرها القارئ، وبشكل آخر غير محسوس من خلال "التّرقي إلى أعلى مركز للمشاهدة، وذلك لكي نفهم الكمال الذي نحن لسنا سوى جزء تافه منه". (٥)

لقد صوّرت الانسحاق الطّبقيّ والاجتماعيّ والعنصريّ ضدّ النّساء وصولاً إلى الايكلوجيّة البشريّة وأيكلوجيّة المدينة وفوارق التّباعد المكانيّ على أساس تكاليف العيش، وهذا لم يمنعها من أن تكشف لقوانين التّداعي، وهي قوانين التّضاد والتّشابه والتّلازم في المكان الواحد نفسه.

لقد حيّر المجتمع الهنديّ علماء الاجتماع والانثروبولوجيّ والرّحالة؛ ففي الهند يُولد الإنسان، ويموت دون سكن أو مرحاض لقضاء حاجته، وعلى الرّغم من ذلك يحتفل بالأعياد طيلة العام، ويرقص، ويغني، ويشاهد أفلام السّينما التي تُعدّ من أضخم الإنتاجات السّينمائيّة العالميّة وبلغات مختلفة، ويتعبّد بمئات المعتقدات والأديان والمذاهب والخرافات.

حلقت بنا رحلة "الطّريق إلى كريشنا" لنرى ما يمكن أن نراه. والأمر الغريب أنّ الهند تحثّ الخطى نحو التّقدم والعمران دون أن يحدث قطع في عادات شعوبها الغربية والعجيبة إلى حدّ عجز الرّحالة المتقدّمين والمحدثين عن الإحاطة بها، وتدوينها، ولم تشبع فضولنا وتطّلعات الرّحالة.

ما زالت الهند تقبض على الكثير من الأسرار والحقائق المهيبة للمجتمع والحياة و"الثّنائيّة الأخلاقيّة "dualism ethical"، على الرّغم من مشكلة كشمير، وما يجري فيها من عنف وعنف مضاد بسبب النّزاع المستعر منذ عقود، ورفض الهند لمنحها الاستقلال، وهي قضيّة لا تشبهها إلاّ القضيّة الفلسطينيّة؛ فهما شعبان ما يزالان يكابدان الاحتلال ودمويته وبشاعته.

لقد تطرّقت شعلان إلى هذه القضية مبيّنة كفاح الكشميريين، وفضحت الوهم التّدميريّ للدّيمقراطيّة المزعومة، كما فضحت الوهم التّدميريّ للعولمة على الهويّات الثّقافيّة، وتعميقها الهوّة الطّبقيّة بين شرائح المجتمع الهنديّ الذيّ تترسّخ به الطّبقيّة الاجتماعيّة والدّينيّة بفجاجة إلى حدّ السّخط.

من هنا تبرز حاجة الرّحالة إلى كفاية موسوعيّة ودقّة في الالتقاط لكلّ ما حولها قدر الإمكان لإماطة اللّثام عن المعارف والفنون والحالة المجتمعيّة والسّياسيّة السّائدة.

لقد تميّزت شعلان في كتابتها لهذه الرّحلة الثّريّة والمختلفة التي كان مقدّر لها أن تكون رحلة علميّة ثقافيّة، فعرّفتنا بأهمّ الجامعات الإسلاميّة في الهند النّاطقة باللّغة العربيّة وكوكبة من أساتذتها وشعرائها وطلبة العلوم، فنقلت الرّحلة إلى آفاق إبداعيّة ووجدانيّة أرحب، وهذا يحسب من نجاحاتها المتعدّدة دون أن تغفل جغرافيّة المكان البعد الرّئيسيّ للرّحلة، بعد أن قامتْ باستنطاق أدقّ تفاصيله العمرانيّة والجغرافيّة والأثريّة.

هنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ نجاح شعلان في سرديّتها الرّحليّة التي بين أيدينا "الطّريق إلى كريشنا" يعود إلى تنويعاتها القرائيّة والبصريّة الغائرة في المكان،

وتوظيف تقنيّة المونتيف منفردة ومتّحدة من أجل تسريع السّرد، مثل هارمونيّ لا يتوقف، ومن أجل أن تجعل القارئ يشاركها بالتّحليق لاكتشاف عوالم الهند الغريبة والعجيبة بكلّ ما تعنيه الغرائبيّة والعجائبيّة من معنى.

من هنا تأتي صعوبة الكتابة عن مدونة شعلان الرّحليّة هذه، إضافة إلى أنّها نحتْ منحىً تجريبيّاً جديداً، مثل سائر أعمالها الإبداعيّة والسّرديّة الأخرى التي خطّت مسار خاصّ لها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ أدب الرّحلة عند سناء شعلان مختلف مثل اختلاف أدب الرّحلة عن سائر السّرديّات المُتعارف عليها؛ لأنّ تمظهراتها الخارجيّة وحدسها النّصيّ المزدوج بين الواقعية والمتخيّل "الوهميّ" الذي يفرضه الأدب هو مختلف عن أدب الرّحلة الذي يقتضي انتزاع أحداث ووقائع فرضها الواقع، ويلزم الرّحالة بها وفاءً لمصداقيّة الخبر وفق مسار ووقائع وأحداث محدّدة وصلبة إضافة إلى المجتمعات موطن البشر بمختلف أعراقهم ومعتقداتهم بوصفهم أناس من دم ولحم وعظم؛ فمهمّة الرّحالة مثل مهمّة الأنثربولوجيّ؛ فالرّحالة ينفذ إلى واقع مكانيّ، أو جغرافيّ يسكنه مجتمع معين، ويجب عليه أن يحسن استخدام الإجراءات الاستقصائيّة بدقّة في رصد الملاحظة والتّسجيل والتّصوير والتّدوين معزّزة بتاريخانيّة أكثر حياديّة، واستكشاف الأنساق الثّقافيّة المضمرة للمجتمع الهنديّ.

إنّ التّحدي أو الرّهان الذي كسبته سناء شعلان في مدونتها الرّحليّة "الطّريق إلى كريشنا" هو إعلانها بنفسها عن هذا المشروع الذي كان يجب أن يرى النّور في وقت مبكّر عن الوقت الذي قرّرتْ فيه أن يخرج إلى العلن، لتُنتج لنا مدوّنات عديدة تتّسم بالعجيب والغريب من خلال رصدها الدّقيق ومعرفتها

العلميّة، وهي صاحبة رسالتين جامعيتين رياديتين في دراسة الأدب الغرائبيّ والعجائبيّ والأسطورة خلال مرحلتي الماجستير والدّكتوراة. (٦)

لكن "في أدب الرّحلات يتجاوز ما هو مألوف في الأدب؛ فإذا كانت العناصر العجائبيّة داخل النّصوص السّرديّة تفزع المتلقي، وتثير انفعاله، أو تذكي فضوله؛ لأنّها رؤية مغايرة للأشياء، وتهزّ كيان القارئ؛ فهي في أدب الرّحلات ذات أبعاد تربويّة ومعرفيّة وعرفانيّة خادمة لسمو الإنسان وجماله الخلقيّ والنّفسيّ". (٧)

ختاماً وبأمانة المتلقّي والنّاقد الذي يحاول الحياد، لقد فتنتني رحلة "الطّريق إلى كريشنا" بشعريّة اللّغة ورؤيتها المختلفة في الالتقاط الإنسانيّ والعلاقات التي تنشأ على هامش الرّحلة؛ لأنّ الرّحالة ذات تعبّر، أو تحلّ في مكان وزمان، فلا بدّ أنّ تؤثّر، وتتأثّر بالحياة المحيطة بها بتقبّل للوصول إلى الآخر بغض النّظر عن التّقاطع والاختلاف الدّينيّ والثّقافيّ .

لقد استطاعتْ شعلان أن تنتزع قدراً كبيراً من المشاهدات غير المألوفة التي يصعب على المرأة الرّحالة الوصول إليها، أو مجرّد التفكير في خوض مغامرتها التي تنطوي على مخاطر وعواقب مكيدة ومختبئة في أماكن الهامش وتخوم المناطق الفقيرة.

حصول شعلان على مرادها وتحقيق أكبر قدر من الموفقيّة لسعيها ذاك كان لأنّ أدلّاءها كانوا من الهنود المثقّفين من أساتذة وطلاّب الجامعات وباحثين ومفكّرين مسلمين، وهم يتحدّثون اللّغة العربيّة بطلاقة، فسبرتْ وجدان الهنود الذين مرّت بهم، وانتزعتْ قدراً كبيراً من الرّموز والأساطير والخرافات

الرّاسخة في وجدان المجتمع الهنديّ ذي الطّقوس التي تصل إلى حدّ اللامعقول، بمثل تعدّد دياناته واثنيّاته إلى حدّ لا يمكن حصر معطياته؛ لأنّها تحتاج إلى سنوات وهي تبهر وتروع في آن معاً، ومع ذلك نجد هناك عوالم الزّهد والتّصوف وعمل الخير على الرّغم من كلّ شيء.

لقد أثّرت شعلان بنا؛ لأنّها كتبتْ بروح محبّة، وحفظتْ بقلبها أشعار المتصوّفة، وما اختيارها وتضميناتها للنّقول والعطوف من شعراء الهند العظماء والمتفرّدين بتصوّفهم وبتجاربهم الذّاتيّة في عوالم غير مألوفة، إلّا إضافة جماليّة ومعرفيّة تفتن العقول، وتجد طريقها إلى النّفوس بيسر وسهولة.

"إنْ تكلّمتْ روحُ العاشق

أضرمتْ النّار في هذا العالم

فجعلتْ هذا العالم مجتثّ الأصل

هباء أو كالعدم

تنشقّ عند ذاك السّماء

فلا يبقى كون ولا مكان" (٨)

***

"كنتُ في البداية

وسأكون في النّهاية

لا أعرفُ أحداً سوى الواحد

أنا لا أعرف من أنا" (٩)

الإحالات :

١- الطّريق إلى كريشنا: سناء شعلان، ط١، منشورات ضمن سلاسل (ارتياد الآفاق) عن دار السّويديّ للنّشر والتّوزيع في أبوظبيّ/ الإمارات العربيّة المتّحدة، والمؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر في بيروت/ لبنان، ٢٠٢٢- ٢٠٢٣، وهو كتاب قد فاز بالجائزة الأولى، المركز العربيّ للأدب الجغرافيّ (ارتياد الآفاق) ودار السّويديّ للنّشر والتّوزيع، أبو ظبي ولندن، بريطانيا والإمارات العربيّة المتّحدة.

٢- ملحمة كلكامش: طه باقر، دار الحرّيّة للطّباعة والنّشر، ط١، بغداد، العراق، ١٩٧٨، ص٣٥

٣ - أدب الرّحلات: حسين محمد فهيم، سلسلة عالم المعرفة، ط١، الكويت، الكويت، ١٩٧٨، ص٤٣ -٤٤

٤ - الطّريق إلى كريشنا: سناء شعلان، من عنوان فرعيّ: صوت القلب.

٥- تعلّم الحياة: لوك فيري، ترجمة سعيد الولي، نسخة إلكترونيّة، ص٥٧

٦- السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن من ١٩٧٠-٢٠٠٢: سناء شعلان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، الأردن؛ والأسطورة في روايات نجيب محفوظ : سناء شعلان، أطروحة دكتوراة، الجامعة الأردنيّة، الأردن: الكتابان من إصدارات نادي الجسرة الثّقافيّ الاجتماعيّ، الدّوحة، قطر، ٢٠٠٦

٧ - الكتابة والتّلقّي: الرّحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتّلقّي: د. خالد التّوزانيّ، دار السّويديّ للنّشر، ط١، أبو ظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة ،٢٠١٧، ط١، ص١٧٢

٨ - شعر لمولانا جلال الدّين الرّوميّ، من الطّريق إلى كريشنا: سناء شعلان، من عنوان فرعي: أحرم قلبي وحجّت نبضاتي.

٩- شعر للشّاعر الهنديّ الصّوفيّ الكبير بوليه شاه: الطّريق إلى كريشنا: سناء شعلان، من عنوان فرعي: مدينة السّعادة.

"٢"

شواهق العشق: الصّعود إلى سماوات الملكوت

قراءة في رحلة سناء شعلان إلى كردستان العراق

"مَنْ لا يعرف شيئاً لا يحبّ أحداً، ومَنْ لا يستطيع أن يفعل شيئاً لا يفهم أحداً، ومَنْ لا يفهم شيئاً لا قيمة له. لكن مَنْ يفهم، فإنّه أيضاً يحبّ، ويلاحظ، ويرى، وكلّما ازدادت المعرفة بشيء ما، عظم الحبّ. إنّ أيّ إنسان يتصورّ الثّمار جميعها تنضج في الوقت ذاته الخاصّ بنضج الفراولة لا يعرف شيئاً عن العنب": باراسيلسوس

رحلة داخل رحلة:

مرّة أخرى أجد نفسي في رحلة قرائيّة لسرديّة جديدة للدّكتورة سناء شعلان "رحلة إلى شواهق العشق: رحلات في كردستان العراق"، وقبول المغامرة بشغف محاولاً الارتقاء والصّعود إلى مستوى النصّ الرّحليّ بوصفه أدبيّة سرديّة تقوم على الميتاسرد، والميتا خطاب".

لقد وجد الدّارسون أنّ ما تركه الرّحّالة من كتابات قد احتوى على الكثير من الملامح الأدبيّة والنّواحي الجماليّة التي برزتْ في اختيار الألفاظ وجمال التّعبير؛ لهذا أضحتْ كتابات الرّحّالة مجالاً للتّحليل الأدبيّ إضافة إلى أنّها سجل انثوجرافيّ مهمّ". (١)

يتطلّب النّقد للرّحلة شموليّة أوسع وبحث عن شكل نقديّ خاصّ "النّقد نصّ على نصّ"؛ ليوازي ما اجترحته الرّحّالة لمدونتها من شكل سرديّ أو قصصيّ رحليّ، والمغامرة برحلة داخل رحلة والصّعود إلى تخوم المتون يتطلّب قراءة خلاّقة.

إنّ مقولة القارئ حرّ في استخدام مخيّلته وفق ما يراه ليستْ صحيحة؛ فهناك الكليّات التي لا يمكن إغفالها؛ لأنّها متعيّنة في المكان والزّمان والجزئيّات التي هي موضوع الإدراك الحسيّ والإحساس بالجمال، ومفاهيم الجمال لا يمكن أن تكون ساكنة في شخص دون آخر.

إنّ الصّعوبة في قراءة الأدب الرّحليّ نابعة من أنّه أدب ورحلة، ولا يخضع لتعريف أو مفهوم محدّد مثلما هو التّجنيس غائم في أغلب الأحيان على الرّغم من استخدامه لتقنيّات السّرد وآليّات الخطاب.

إنّ كتابة الرّحلات شعراً أو على شكل ملاحم لم يعد له وجود منذ زمن بعيد، كما يجب على النّاقد إيجاد مقاربات لتفكيك النّصّ وفق رؤية السّارد الذي أقام واقعه القصّصيّ الموجود عليها دون إغفال العقد الضّمنيّ بين السّارد وقارئه النّاقد لإعادة التّخييل وكشف الدّلالات وفق ثقافته وأدواته المعرفيّة وتكوينه السّيسيولوجيّ.

إنّ "رحلة إلى شواهق العشق" تتماهي مع السّرد"الاوتوبيوغرافيّ – Autobigraphic"، مثلما تتماهى مع الإنسان ووجوده المكانيّ، وتتماهى مع العلائق المجاورة لذلك، وهذا النّوع من الرّحلات ينزع نحو الواقعيّ والمتخيّل، مثل رحلات المتصوّفة بتمظهراتها التّأمليّة والفلسفيّة، فهي رحلات نحو

الوجدان الإنسانيّ وكشف الحقائق، واستدعاء الميثيولوجيا والفلكلور الشّعبيّ والأساطير والقصّص، وبعضها يتشابه، ويتناصّ مع قصص العشق والبطولات والأساطير عند الشّعوب المجاورة، كما كتبت الرّحّالة نفسها نصّها القصّصيّ بوصفها شاهدة عشق، مثل:"الضّياع في عيني رجل الجبل"[٢] التي هي قصّة حبّ وآيروتيك من روح العشق الكرديّ الخالص.

لسناء شعلان منجزها الكبير والمؤثّر في كتابة قصص الحبّ والعشق، وقد حصدتْ جوائز عربيّة وعالميّة عديدة عن أعمالها. وسرد هذه القصّة داخل أجزاء سرد أكبر خلق اهتماماً غاية في الرّوعة لدى القارئ مماثلاً للسّرد الأصليّ؛ إنّها قصّة مغامرات عاشقة نستطيع أن نراها بوضوح وجدّية، وهي تدور على نفس مسرح الرّحلة السّرديّة الأكبر "كردستان العراق".

لقد قطفتْ شعلان كلّ ما طالته يداها من الفلكلور الكرديّ بالملاحظ والرّؤيا، ولم تقطف المدوّن حسب، بل قطفتْ كذلك الشّفاهيّ من قصص العشق والأغاني والموسيقى من خلال المخطوطات والتّحقيقات الصّحفيّة واللّقاءات على أرض كردستان العراق في رحلاتها العديد، حتى مسّها سحر كردستان وغواياتها "لقد ترحّلتُ في كردستان العراق عشرات المرّات في عشرات الرّحلات، وفي كلّ مرّة كنتُ أعود إليها من جديد كي أستزيد من أسرارها التي لا تنضب، ومن فتنتها التي لا تشيخ، إلى أن آمنتُ أنّ مسّاً من العشق لها قد أصاب سويداء قلبي."[٣]

من هنا نلاحظ أنّ هذه الرّحلات والقصّص الرّحليّة ولّدتْ دلالات وترميزات جديدة في طاقة القصّ الرّحليّ التي يتنازعها الواقعيّ والغرائبيّ عبر حكايات العشق وأساطير البطولات وأخلاق الشّعب الكرديّ وتاريخه وثقافته.

لقد سارت الرّحّالة فيها على خطى حكايات ألف ليلة وليلة والشّاهنامة وسحرهما؛ فنحن إزاء رحلة مدهشة بكلّ ما في الكلمة من معنى من ناحية النّدرة في التّوظيف والاستلال والسّرد الحكائيّ المتدفّق؛ فهي وثيقة مهمّة ومدهشة؛ إذ صوّرتْ جوانب زاخرة ومهمّة في حياة شعب كردستان العراق، ممّا سيترك أثراً رائعاً في النّصّ الأدبيّ الرّحليّ.

لقد كتبتْ شعلان سائر رحلاتها الأخرى بذات الاتّساق والأسلوب والتّشويق ووفق تيار الشّعور؛ لتكون قريبة من الحقيقة قدر الإمكان، وتستطيع إثارة العواطف الإنسانيّة الجيّاشة عند القارئ من منطلق أنّ "تجربة الرّحلة تختلف عن سائر التّجارب الشّخصيّة؛ ليس فقط لأنّها قابلة لأن تُروى للغير، وإنّما أيضاً لأنّها تستجيب لحاجة هي من أكثر حاجات البشر إلحاحاً عليهم؛ وهي لذّة الجديد والغريب والتّغرّب والمغامرة التي لا يحفّها الخطر؛ لأنّنا نخوضها، ونحن نقرأ كتاباً في ركن دافئ، ونزداد بها تعلقاً؛ لأنّها ليستْ من بنات خيال راويها؛ فهو يقول كذا وقع لي؛ فإنّ المؤلّف الذي يقوم بدور الوسيط والمغامر، قد كان بطل المغامرة قبل أن يكون ناقلها". (٤)

إنّ التّحليل الحديث لقرّاء الأعمال الأدبيّة والسّرديّة الرّحليّة هو واقع الوعي بإدماج العلاقة التي يقيمها النصّ مع قارئه "أفق التّوقّع"، وعلى القارئ للوصول إلى هذا الوعي الذي يلزمه باستخراج أكبر قدر من الدّلالات والرّموز؛ إذ إنّ لذة النّصّ هي "القيمة المنتقلة إلى قيمة الدّال الفاخر"، وهي وتقودنا لكشف طبيعة النّصّ بوصفها منطقة نظر وتفكير، أو حقلاً للبحث كما يقول رولان بارت"، أو "منتج معرفيّ"، ومن ثم تكون القراءة بالنّصّ في مواجهة قصد أو إقرار "الحدود الفارقة" بين النّصّ المرجعيّ والقراءة النّاشئة في حوافه

المنبثقة عنه في محاولة تجاوز حرفيّة آراء المؤلّف؛ قصد النّفاذ إلى الفضاء الحاضن للإشكالات.

من هنا تأتي أهمية القرّاء واستجابة القارئ للنّصّوص الرّحليّة بوصفها سرديّة مؤلّفة من مجموعة حكايات وقصص رحليّة لها خطابها الرّحليّ الإرساليّ/ التّداوليّ الخاصّ، و"إنّ فهم حكاية معيّنة، لا يعني فقط متابعة فكّ خيط القصّة، لكنّه يعني أيضاً التّعرّف على الطّبقات فيها، وإسقاط العلاقات الأفقيّة للخيط السّرديّ على محور عموديّ ضمنيّ، إنّ قراءة حكاية "أو الاستماع إليها" لا يعني فقط الانتقال من كلمة إلى كلمة أخرى، لكنّه يعني الانتقال من مستوى إلى مستوى آخر من مستويات المحكي، والتّميّز بين ثلاث مستويات ضمن العمل السّرديّ والمتضمّن؛ مستوى الوظائف، ومستوى الأفعال، ومستوى السّرد».

هذه المستويات الثّلاثة ترتبط فيما بينها وفق نموذج الاندماج التّدريجيّ: لا معنى للوظيفة في ذاتها، إلاّ إذا أخذتْ موقعها ضمن العمل العامّ لفاعل معين، وهذا العمل نفسه يأخذ معناه الأخير من حقيقة أنه مسرود ومعهود به إلى خطاب له قانونه الخاصّ به" (٥) مذكّرين أنّ النّصّ ليس في غاياته، بل هو غاية بذاته، والقصّ هو خطاب سرديّ لعالم مدرك، أو واقعيّ، أو روحيّ، أو خياليّ في زمان ومكان معينين، وبنية القصّة أو الحكي تتطلب سارد "الرّاوي- الرّحال" ومسرود "نصّ الرّحلة"، ومسرود له "المتلقّي – السّامع – القارئ".

في هذه السّرديّة الرّحليّة المغايرة في غرضها نحاول قراءتها قراءة نقديّة ابستيمولوجيّة ذات مقاربات تتّسع لمغامرة الرّحّالة شعلان وصعودها جبال كردستان الضّاربة الجذور منذ الإنسان الأوّل "نياتدرتال" وحياة الكهوف قبل

ثمانية آلاف سنة وصولاً إلى أوّل القرى البدائيّة قبل فجر الحضارة في وادي الرّافدين وأول البؤر المدنيّة في التّاريخ الإنسانيّ؛ إذ تحلّق شعلان بنا عالياً مثل عقاب الجبل، وتتسلّق السّفوح، وتسحبنا إلى أفاريز الوديان ومهاميز الهضاب المعشوشبة بالحكايات والأغاني وأحداث التّاريخ وصراعاته والأساطير الشّعبيّة المحفوظة على ذاكرة حجريّة صلبة عبر الأجيال.

سحبتنا شعلان عنوة إلى رحلة ثقافيّة قليلون من الرّحّالة حاولوا الكتابة عنها، أو جاءتْ عرضيّة في رحلاتهم عن الأساطير والفلكلور الكرديّ، على الرّغم من أنّ كردستان مترعة بالجمال ومليئة بالغوايات الآسرة بطبيعتها الفردوسيّة السّاحرة والأغاني الطّافحة بالبوح العاري والمحفوظة في إفاريز الأرواح الهائمة في شعاب النّجوى والمبلّلة بودق دموع الالتياع والفراق، هي أغانٍ يختلط فيها الحزن والفرح بالحسرة والالتياع بشكل ملوّن ومزركش مثل"فقيانة"، وهو زيّ خاصّ بالمرأة الكرديّة". (٦)

أغاني الحبّ الكرديّة تنضح بالآيروتيك وترنيمات الأنوثة السّاحرة بعطائها اللّامتناهي مثل أرض كردستان "إنّ العطاء ليس الشّيء الماديّ، بل هو المجال الذي يكمن في العالم الإنسانيّ بصفة خاصّة، ويتمثّل في التّعابير والتّجليّات للشّيء الحي في الإنسان"، والإنسان الكرديّ "صوت يغني، وقلب يبكي". (٧)

آه، إنّني أذكركِ

يا حياتي، أنا أذكركِ

سيدتي، أنا أذكركِ

إنّ حبّي لكِ هو نتاج الحياة والثّورة

هو مثل ربيع الكرد مليْ بالأزهار والفيضانات الشّاقة

مرّة بالزّهرة، ومرّة بالقلب

إنّني أذكركِ، وأفكّر فيكِ

يا أمنيتي حرّيتي واشتياقي

أنتِ نتاج جرحي وألمي

إنّني كردّي معتاد –منذ زمن– على العيش في الجبال وفي المدينة

يا سيّدتي، ينبغي عليكِ أن تعرفي.

****

"يا ربّ من يقبّلها الآن؟

يا ربّ من يشمّها الآن؟

من يلمس ثدييها اللّذين كانا لي في البارحة؟

أحسدُ الشّخص الذي يضمّها الآن

ويحرّك أصابعه في شعرها

وتلمس شفتاه شفتيها

ويفتح قفل حمّالة ثدييها

ويلمس فخذيها المرنين

أحسدُ من يحرّكها

ويهمس بسرّ القلب في أذنيها

****

"أمينو،

تعال في ليلة من اللّيالي

حلّ ضيفاً على بيت أبي

طُف حول ثديي

أنا الجميلة"

****

تغنّي عاشقة داعية حبيبها أن يزورها في اللّيل، وأن يضع فمه على صدغها:

"تعال للطّواف حول جيدي في منتصف اللّيل

ضع فمكَ بين أصداغي

شعرة شعرة"

وتغنّي عاشقة قائلة:

"ها قد أحضرتُ المنديل الأحمر الورديّ

لففتُ به نهدي الجميلين

لأقدّمهما للعزيز على قلبي"

لقد عملت الرّحّالة على مجهود كبير ومسح شاسع للشّعر والموسيقى في إقليم كردستان، وبيّنت العلاقة التي تربط الإنسان الكرديّ بتراثه بشكل عامّ

وبتجليّاته الرّوحيّة والحدسيّة والانفعاليّة "والماكسوفيّة"؛ إذ إنّ إقليم كردستان العراق يشتهر بشعرائه المتصوّفة ومؤرّخيه من المتقدّمين والمحدثين، ولهم آثارهم المشهود لها في الأدب العربيّ والعالميّ.

لتحقيق الفائدة المرجوة والمعرفيّة من الرّحلة أخذت الرّحّالة سناء شعلان على عاتقها بالتّذكير بالإسقاطات التّاريخيّة وصولاً إلى زمن كتابة المدوّنة السّرديّة ووضعها بين يدي القارئ لتدع أفكاره وقلبه يتجلّيان، ويشحذان مخيلته، ويعيدان محاكاة صورها ودلالاتها وغواياتها، وكما تقول الشّاعرة والكاتبة الأمريكيّة المعروفة "ناتالي بارني": "جلّ العفة تطلب الإغواء الأكبر". من هنا أدعو إلى التّمتّع بعفّة القراءة دون أنْ يمسّها دنس الأيدلوجيّات والصّراعات العرقيّة والدّينيّة المتعصّبة، وقراءة التّاريخ كعلم يستخدم الأركولوجيا بوصفها إحدى أدواته، وعلم الاجتماع، ومن أهمّ مصادر التّاريخ والجغرافيا والأدب، وما يتركه الرّحّالة لنا من مدونات تُعدّ من المصادر المهّمة لدراسة ثقافة وتاريخ مجتمع ما.

حلّقتْ سناء شعلان بنا في سماوات بأجنحة الخيال والسّرد، مثل أرواح العاشقين والمتصوّفة والنّفوس التي لم تبرأ من سلطة الحكي والقصّ وشهوة سماع قصص الحبّ العجيبة والغريبة من أساطير الشّعوب وكردستان مترعة وممتلئة بها "إنّ أعظم شهوة يتجاهلها الإنسان بين يديه ليستْ شهوة الجنس، بل هي شهوة الحكي ومرويّات الخيال الذي يطرح الواقع دون خوف، وحينما لا يجد من يروي له؛ فهو يروي لنفسه بمونولوج داخليّ يسمعه بوضوح أكثر وضوحاً من النّطق".

تقول الرّحّالة سناء شعلان: "إنّ المبدع المتمرّد المتوحّد مع نفسه في عالم متوحشّ عندما لا يجد من يروي له، يروي لنفسه في حوار داخليّ مع نفسه يوثّقه على الورق كي يمنع كلماته من الموت، وكي يكتب لها الخلود أكثر من فترة بقائه القصّير في هذا الكوكب الملغز لمتناحر؛ فشهوة الحكي والسّرد هي شهوة مرتبطة بإحساس الإنسان بذاته، وبانتمائه للوجود، بل لانتماء الوجود له."(٨)

كثيراً ما تأسرنا سناء شعلان بأشكال جديدة في أعمالها السّرديّة، وتضعنا في متاهات مدوّخة؛ ففي أعمالها الرّوائيّة تضع النّهاية بداية، والبداية نهاية دون أنّ تخلّ، أو تخلخل البُنى السّرديّة حتى تستطيع أن تقرأ العمل كما تشاء، وهذا الّشكل في حاجة إلى عبقريّة وتمكّن وصبر وأناة ومغامرة واحتكام للتّبئير.

يقترن أدب الرّحلة -بوصفه يتمخّض من تجارب مغايرة متفاعلة ومتلاقحة مع أجناس أدبيّة أخرى، ولها إرهاصاتها وتجليّاتها- بكتابة الرّواية بوصفها مرويّة، وهذا الاقتران ينتج سرد الارتحال والمغامرة السّرديّة.

هنا سأعيدكم إلى بداية الرّحلة التي مهما كتبنا عنها، أو كُتب عنها، لا غنى ولا تعويض عن قراءتها؛ فالرّحّالة "السّاردة" هي التي رأتْ، ولاحظتْ، وعظم فهمها ومعرفتها بالشّعب الكرديّ عبر زيارات ورحلات عديدة، فعظمتْ محبتها لهم، مثلما عظم حبّهم لها.

عودوا لما بدأته سناء شعلان من البداية، وهي التي رأتْ بقلبها، وخبرتْ مواسم الفراولة والعنب والرّمّان، وارتشفتْ من خمرة العاشقين، وغنّتْ أغاني

الثّورة والحرّيّة، ورأتْ بقلبها جمال كردستان وطيبة شعبها التي تغمر كلّ من تطأ قدماه أديمها، فيمنحوه الألفة والمحبّة.

لقد نجحتْ الرّحّالة سناء شعلان في كشف مستفيض للثّقافة الكرديّة ومثاقفة متفاعلة نتيجة المشتركات الثّقافيّة والنّضاليّة المتمثّلة في وجدانها وجذورها الفلسطينيّة، ومن خلال رؤية نصّية واضحة استطاعتْ أن تصل إلى القيم الفكريّة والفلكلوريّة والتّراثيّة لشعب لم يعرف عنه القارئ العربيّ الكثير إلا من خلال نشرة الأخبار التي تتحدّث عن الصّراعات السّياسيّة والنّزاعات والخلافات الحدوديّة والحروب الشّرسة والفظيعة الأهوال.

للقارئ العربيّ نقول: إنّه لأمر مؤسف أن تغيب عنا ثقافة وتاريخ أقرب الجيران لنا، وهم من تربطنا بهم قواسم عقائديّة ومصاهرة ومصير مشترك بوصفهم شعب مشرقيّ، وتجمعنا بهم الكثير من المشتركات والقواسم الإنسانيّة السّاميّة.

الإحالات:

١- أدب الرّحلات: حسين محمد فهيم، سلسلة عالم المعرفة، ط١، الكويت، الكويت، ص٧

٢- القصّة الفائزة بالجائزة الأولى في مسابقة كتّاب بلا حدود ٢٠١١م، وهي منشورة في مجموعة مشتركة تحمل العنوان ذاته "الضّياع في عيني رجل الجبل"، ط١، وصادرة عن منظمّة كتّاب بلا حدود/ الشّرق الأوسط الثّقافيّة بالتّعاون مع مجلس رجال الأعمال الوطنيّ العراقيّ، بغداد، العراق، ٢٠١٢

٣- رحلة إلى شواهق العشق: سناء شعلان

٤- السّيرة الذّاتيّة: جورج ماي، ترجمة محمد القاضي وعبدالله صوله، ط١، رؤية للنّشر والتّوزيع، ٢٠١٧، ص٢١٠

٥- من البنيويّة إلى الشّعريّة: رولان بارت وجيرار جينيت، ترجمة غسان السّيد، ط١، دار نينوى للدّراسات والنّشر، دمشق، سوريا، ٢٠٠١، ص٢٠-٢١

٦- فيقانة: زي المرأة الكرديّة الشّائع، ويمتاز ببريقه ولمعان ألوانه الصّارخة التي تسرّ النّاظرين، وتستقطب الانتباه؛ فالأقمشة المستخدمة فيه مصنوعة وفق مواصفات معينة تجعل الزّي الكرديّ النّسويّ فريداً من نوعه بين سائر الأزياء الشّعبيّة الأخرى المعروفة لدى شعوب العالم.

٧- رحلة إلى شواهق العشق: سناء شعلان.

٨- http://www. c٤wr. com/ جمعية-التّجديد للثقافة والاعلام في الارن-تكرّم-القضاة-وتشهر-رواية أدركها للدكتورة سناء شعلان، حديث العالم ، ٨/ ٧/ ٢٠١٩

"٣"

كوبا جزيرة السّيجار والرّومبا : "رحلة في كوبا"

كوبا جزيرة شهدتْ أطول حصار في التّاريخ المعاصر، تدخّن السّيجار، وتتنفس شوارعها الرّومبا ليل نهار، وهي شوارع مليئة بالقصص والّتاريخ، وبهجة ألوان الأبنية الفريدة المعمار، والجميع فيها يرقصون؛ مواطنون، وبحارة، وغرباء، وسوّاح بأرواح جذلى مقتلعين حزنهم المختبئ في دواخلهم، أو يأجّلونه إلى حين؛ فهم لا يتخلّون عن أحلامهم الإنسانية؛ ففي الأحلام لا توجد أعراق أو أديان أو أجناس، تماماً الأحلام هي مثل موسيقى الكاريبي، أو مثل"الحبّ الذي لا دين له، أو عرق أو لون".

المجتمع الكوبيّ هو مجتمع خلاسيّ ممشوج بغرائبيّة وعجائبيّة صادمة؛ ألوان وأجناس عديدة من البشر والشّعوب التي ساهمتْ في إثراء ثقافته السّاحرة التي لا مثيل لها إلاّ في كوبا وأخواتها جزر "الانتيل "على البحر الكاريبيّ حيث تنام على كنوز من الجمال والثّروات الطّبيعيّة النّفيسة، لدرجة عصيّة على التّصديق.

شأنها في ذلك شأن القارّة "الأمّ"/ أمريكا اللاتينيّة التي تُعدّ مستودعاً عميقاً وغنيّاً بالتّقاليد، كما هي مثال على انصهار الثّقافات وامتزاج اللّغات بين شعوبها المتباينة نتيجة الهجرات وموجات التّبعيّة المتتالية للاستعمار الخارجيّ والبينيّ.

من هنا يجب أن نفهم أمريكا اللاّتينيّة "عبر مظاهرها الثّقافيّة القائمة على أساس وحدتها التّاريخيّة أو الجغرافيّة، وبإمكاننا أن نقول بشكل بسيط، إنّ

الشّخص يُعرف من أفعاله، حسناً إنّ الأمر يتعلّق بمعرفة هذه التّركيبة الهائلة عن طريق أعمالها الثّقافيّة على وجه الدّقة عن طريق إبداعاتها الأدبيّة، والتّشكيليّة، والمعماريّة، والموسيقيّة، وأنّ نُدرك ما هو هذا الإقليم عبر العروض التي ينتجها وعبر الأفكار التي يبعثها". [1]

بقيتْ ثقافة السّكّان الأصليين لكوبا عصيّة على الزّوال والانقراض، ومحفوظة في التّاريخ والأناشيد والموسيقى الشّعبيّة والمعتقدات والفنون قاطبة جنباً إلى جنب مع ثقافة الزّنوج الذين أُرتكبتْ بحقّهم أشنع فضائع العبوديّة، لكن بقيتْ ثقافتهم الصّلبة مثل أرواح أسلافهم ماثلة فيهم حيثما حلّوا وارتحلوا.

لقد أحضروا معهم موسيقاهم الرّومبا، موسيقى الآلهة ورقصّة الخصب المقدّسة "باكونا" رقصّة الغواية والتّمنّع بين الرّجل والمرأة التي لا تمنح نفسها على الرّغم من لهب الإثارة واشتعالات الجسد.

إنّ الزّنجة هي وعي وثقافة حافظتْ على وجود الأفارقة بوصفهم بشراً أحراراً، وكسرتْ قيود العبوديّة الظّالمة ومسخ التّاريخ للأفارقة الذي يدرك الجميع أنّه مسخ قوى الاستكبار وحاشد بالإدّعاءات الزّائفة.

لقد بقيتْ "أمريكا اللاّتينيّة" الإقليم ذا الشّرايين المفتوحة؛ فمنذ اكتشافها وحتى أيّامنا هذه ظلّ كلّ شي يتحوّل على الدّوام إلى رأسمال أوروبيّ، ثم إلى رأسمال أمريكيّ" (٢)، وكما يقول الباحث والصّحفيّ والرّوائيّ الأورغوايانى "إدواردو غاليانو": "فقر الإنسان هو نتيجة غنى الأرض، الأرض التي وصلها كولومبوس التي أذهلته شفافيّة الكاريبيّ الزّاهية وعذوبة ونقاء الهواء والطّيور

الرّائعة الجمال والفتية ذوو الأجسام الممشوقة، والأناس بالغو الجمال وشديدو الوداعة".

إنّ تساؤل الكاتب الأرجنتينّي "خورخي لويس بورخس" صاغ ما حدث لأمريكا اللاّتينيّة الوادعة والغاطّة في النّوم حين قال: "أكان عبر هذا النّهر من النّعاس والطّمي أتت السّفائن لتصوغ لي وطنا؟"

كوبا جزيرة من أمشاج أمريكا اللاتينيّة وإحدى عرائس البحر الكاريبيّ، وقد كانتْ غاطّة في نومها وطمي المستعمر وحقول قصب السّكر قبل أن تتلبسّها روح الثّورة ومسّ إيقونتيها "فيديل إليخاندرو كاسترو"، ورفيق دربه "تشي غيفارا" الطّبيب والمتمرّد والشّاعر الإرجنتينيّ "إرنستو إرنستيكو غيفارا"، نصفهما من نور الملائكة والنّصف الآخر من نار إبليس، ثوّار ومحاربين قساة وأنبياء عند المهمّشين وفقراء القارّة.

بقي الرّجلان محاطين بهالات القدسيّة وأساطير المعجزات حتى بعد رحليهما، فتحوّلا إلى أسطورتين في ضمير شعوب أمريكا اللاتينيّة وعند شعوب "الانتيل" التي استفاقتْ من نومها، ولم تتحرّر بعد من أصفاد الماضي وأغلاله والحنين المتشظّي له.

إنّ رياح الكاريبيّ تجري عكس ما تشتهي سفن شعوبها، ومع ذلك هي لا تتخلّى عن بهجتها وأحلامها، وتظلّ مزهوّة بثقافتها، فحيّرت العالم بهذا الزّهو وبتمسّكها بالأحلام على الرّغم من أنّها تعيش تناقضات عميقة تحيّر الرّحّالة والسّياح الذين يتساءلون من أين تصنع شعوب الكاريبيّ هذه البهجة للحياة" إنّ حلماً غير مفسّر يشبه رسالة غير مقروءة".

كوبا جزيرة على مرمى حجر من فكي التّمساح الأمريكيّ المتوحّش الذي تبعد عنه ٨٠ ميلاً فقط، وهو يريد ابتلاع كلّ شيء في هذا العالم، لكنّه يعجز عن ذلك في معظم الأحيان، على الرّغم من أنّه يُلحق الأذى بغرز مخالبه المتوحّشة في أجساد فرائسه، فيجرح، ويشوّه مجتمعات وثقافات أمم وشعوب تحت ذرائع شتّى.

حتى في الأدب والسّينما تحاول أمريكا تصوير تلك الشّعوب في أدنى مكانة من الرّجل الأبيض، فتظهرها شعوباً جاهلة ومتخلّفة وكسولة، فكتبتْ أمريكا القانون المتعالي، ونطقتْ، وحكمتْ باسمه، وتريد حكم العالم برمّته، وفق ما أشار إدوارد سعيد إليه قائلاً: "إنّ الاستعمار يستخدم الأدب وسيلة للهيمنة على مستعمراته".

صدّرت كوبا للعالم الثّورة والسّيجار الفاخر الذي لا يضاهيه سيجار، تباهى به الرّؤساء والأرستقراطيون وفاحشو الثّراء في أنحاء المعمورة كلّها، كما صدّرتْ شراب الرّوم الشّهير إلى ١٤٠ دولة باستثناء الولايات المتّحدة.

هي كذلك صدّرتْ موسيقاها ورقصها إلى قارّات المعمورة جميعها، مثلما صدّرت الأدب والأطبّاء والممرّضين إليهم.

مَنْ يزور كوبا لا بدّ أنْ يزور المقهى الذي كان يرتاده الرّوائيّ العالميّ "أرنست همنغواي" الذي عاش في كوبا قرابة ٢٠عام إلى جوار أكواخ الصّيادين، وشغف بحياة البحر، وكتب روايته الدّائعة الصّيت العجوز "الشّيخ والبحر" التي بيّنت الهيمنة ونظرة المستعمر لهذه الشّعوب وصراعها الوجودي من زوايا متعدّدة.

"الجدير بالذّكر أنّ "همنغواي" كتب هذه الرّواية خلال سنوات الحرب الباردة التي كانت الولايات المتّحدة تسعى خلالها لضبط نفوذ الاتّحاد السّوفييتيّ في كوبا، وضبط النّفوذ الشّيوعيّ في فيتنام، وتسعى إلى التّدخّل في شؤون البرازيل، وتدخّلتْ بشكل مباشر ومعلن في شؤون دول أميركا الوسطى والجنوبيّة، ودعمتْ محاولات الانقلابات فيها، وعبثتْ بأمن تلك الدّول، وهو ما يستدعي إعادة قراءة الأدب الأميركيّ قراءة نقديّة لكشف الخطاب الذي يزيّف الحقائق والتّاريخ." (٣)

كلّ هذا وأكثر جمعته الدّكتورة سناء شعلان، ودوّنته، بعد أن طحنته في "هاون" الخيال والكتابة الإبداعيّة بأسلوب رشيق ولغة مفعمة بفخامة اللّفظ وبلاغة العبارة، وقدّمته بسرديّة رحليّة للقرّاء ولسان حالها يقول: "أحاول أن أكتب بكلّ صدق وعفويّة وحياديّة على الرّغم من فرط أحلامي اليوتوبياويّة المجنّحة مع ذلك"جئتُ لأدهشكم، لا كي أندهش"، وأخبركم بمشاهداتي العينيّة وبمغامراتي وبما هو متاح بين يدي من معلومات استقصائيّة؛ لأنّني عرفتُ الكثير من الأسرار التي لا تخطر على بال أحدكم.

لكن البوح يقرّره الزّمان والمقام، ويُبقي جزءاً منه بيني وبين نفسي طي الكتمان إلى حين، وبيني وبينكم وعد صادق بلحظة تدوين أخرى تسمح بكشف ما مسموح به من أسرار مثل صدق سرديّتي الرّحليّة هذه، إلاّ أنّ وقت إعلانها لم يحن بعد".

تختلس سناء شعلان نأمة صفاء لها ولنا من أجل التّرحال معاً من خلال مدوّنتها الرّحليّة، ومن أجل السّفر والتّطواف حول العالم؛ لتنقل لنا رؤى وأحاسيس ومشاهدات حيّة بتعابير وصور غاية في الرّوعة عن المكان الجغرافيّ

والتّاريخ و كائنات الخالق كلّها وحمى صراعات الإنسان الذي لا يمكن مصادرته:"الذي يملك الهوس المتأصّل في أن يفكرّ، وفي أن يحلم".

تقول شعلان: أنا مصمّمة على أنْ أكتب التّاريخ بصدق كما أعرفه، وأنْ أكون شاهدة عصر على الرّغم من أنف التّزوير والتّلفيق والكذب.

هذا دأب المبدعة الرّحّالة سناء شعلان في أعمالها السّرديّة كاملة مهما كلّفها الأمر؛ فالكتابة والسّفر هما تعويذتا سناء شعلان، أو ترياق الأمل الذي تمنحه لنا للقضاء على رتابة الواقع وصراع الإنسان مع الإنسان وجنون الاستلاب الاستهلاكيّ في زمن العولمة، وروح الاستعلاء بين الأفراد والشّعوب.

إنّ سناء شعلان تنمي إلى ما قاله شاعر الإنسانيّة العظيم ناظم حكمت:

"إنّ أجمل البحار ذاك الذي لم نذهب إليه بعد

وأجمل الأطفال من لم يكبروا بعد

وأجمل أيّامنا التي لمْ نعشها بعد

وأجمل ما أريد قوله لم أقله بعد"

إذن كلّ ما هو مطلوب منا هو أن نقرأ ما تريد قوله سناء شعلان في هذه الرّحلة التي سبقها كثيرون إليها، مع الثّقة بأنّ كلّ شخص يرى بعينيه ووفق زاوية رؤيته التي لا تشبه رؤية أحد غيره، ويلتقط بحواسه ومفاهيمه للجمال وقراءته للوجود "الحيز الجغرافيّ"من خلال تمثّلاته التّاريخيّة والسّيسولوجيّة، وبالتّالي يتشكّل الواقع النّهائيّ، ونشعر به، ونتبع مكامن الجمال فيه التي تمنحنا اللّذة والمتعة والدّهشة.

إنّ كلّ شيء من حولنا يحتاج إلى قراءة حاذقة وفاعلة؛ لتحويل الرّحلة إلى نصوص مكتوبة كما هو النّص الرّحليّ الـذي بـين أيـدينا. وفي الحـالتين قـراءة الوجود أو النّص تمنحان لنا لذّة الاكتشـاف بشـرط"النّزاهة الجماليّة"والصّـدق في المحاكاة والتّأويل؛ فالرّحّالة يفتّش عن دلالات الظّواهر والسّلوكيات على أرض الواقع، ويبني عليها مفاهيم مشـاهداته، ويسـبغ عليهـا خيـال اللّغـة مـن أجـل تصويرها بدقّة بواسطة الكلمات.

ننتظر القـادم، وننتظـر أن نخلـع ورقـة التّـوت عـن عقولنـا، وأنّ نفكّـر بوجودنا الإنسانيّ المفرط الثّراء والتّنـوّع والمتناسـل إلى حـدّ يعجـز الخيـال عـن تصوّره، ويحتاج إلى ألف حياة وحياة، وأدب الرّحلات يمنحنا ما تعجز أبصـارنا وحواسنا وأقدامنا عن الوصول إليه، وإدراكه؛ فكثير من الرّحلات المدوّنة بقيتْ شاهدة على جغرافيّـات اختفـتْ وأمـاكن دمّرتهـا الكـوارث الطّبيعيّـة العنيفـة المتطرّفة، أو خُرّبتْ بفعل الحروب والإهمال وجشع الإنسان.

كتبت سناء شعلان رحلتها بطعم الماركويا "ثمرة الحبّ والشّغف"، وفاحتْ منها رائحة الجوّافة، وعبق قصص الكـاريبيّ ورائحتهـا الممزوجـة بتـاريخ تجـارة العبيد، وتجارة المهاجرين، وامتزاجهم مع السّكان الأصليين.

إنّ من أبشع ما ارتكبه الإنسان الأبيض بحقّ السّـكان الأصـليين في قـارّة أمريكا اللاّتينيّة واستراليا وأمريكا الشّماليّة وأفريقيـا علـى وجـه التّحديـد هـو الاتجار بالبشر من قِبَل الرّجل الأبيض، وبقي هذا الأمر وصمة عار أبديّـة علـى

جبين الإنسانيّة؛ بعد أن راح ضحيّتها ١٥٠ مليون إنسان إفريقيّ، وكان لكوبا نصيب وافر من هذه الأفعال المروعة لحين استقلالها وتحرّرها في ١/ ١/ ١٩٥٩، ثم جاء بعد ذلك حصار بشع، لكن على الرّغم من ذلك بقيتْ كوبا السّاحرة من أهمّ الوجهات السّياحيّة في العالم، وظلّت مزاراً لحركات التّحرر المنفرط عقدها، ومقصداً للعلم في جامعة هافانا، ووجهة للاستشفاء بمستشفياتها للشّعوب المغلوب على أمرها وصخرة حطّمتْ أحلام الامبرياليّة الأمريكيّة المتوحّشة.

الإحالات:

١- أدب أمريكا اللّاتينيّة قضايا ومشكلات: تنسيق وتقديم فرنادث مورينو، ترجمة أحمد حسّان عبد الواحد، مراجعة شاكر نابلسيّ، ط١، سلسلة المعرفة، عدد ١١٦، أغسطس ١٩٧٩، ص٢٩

٢- الشّرايين المفتوحة لأمريكا اللاّتينيّة: إدواردو غاليانو، ترجمة علاء شنانه، ط١، طوى للنّشر والثقافة، لندن، بريطانيا، ٢٠١٦م، ص١٠

٣- الشّيخ والبحر رواية تبرّر الاستعمار والهيمنة: الجزيرة نت https://midan. aljazeera. net/intellect/literature/٢٠١٩/٧/١

" ٤ "

رحلة مخضّبة بالحنّاء ومعطّرة بالخُمْرَة[١]

"رحلات في السّودان"

كثيراً ما ارتبط أدب الرّحلة والأسفار في ذهن المتلقّي بالأماكن والجغرافيا القصيّة والبعيدة في كوكبنا غافلين محيطنا الجغرافيّ وأسراره، وترسّختْ صورة رحلات سندباد منذ نعومة مخيّلتنا بالأسفار إلى البلاد البعيدة وركوب البحار قاطعاً الجزر والصّحارى القصيّة.

كما ارتبط هذا الأدب برحلات المستكشفين والتّجّار والحجّاج والمتصوّفة الأوائل، متناسين أنّه يوجد بين ظهرانيّة جغرافيّتنا العربيّة والمشرقيّة الكثير من الأماكن التي تحتوي على الاختلافات الجغرافيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة"الثّقافة بوصفها هويّة أو تضامناً لها صلة ما بالمعنى الأنثروبولوجيّ".

إنّنا لم نسمع عن تلك الاختلافات إلاّ معلومات نزرة، لا تشفي فضولنا المعرفيّ عن الآخر على الرّغم من قربها منّا، على الرّغم من تطوّر وسائل الاتّصال وعالم "الإنترنيت" السّاحر مثل مصباح علاء الدّين السّحريّ "شبيّك لبّيك المعلومة بين يديك"، وهي على الرّغم من هذه الملكات العملاقة لا تضاهي ما يأتي الرّحّالة به من تفاصيل وانطباعات وغرائب وعجائب، ويسجّلونه في مدوّناتهم التي تنطوي على الكثير من المعلومات العينيّة والمخضبة بوجدانيّة وذاتيّة الرّحّالة ومغامراتهم ومشاقّهم، وتمنحنا إعادة التّخييل والتّأويل

والإحساس بالواقع النّهائيّ لمكان أو جغرافيّة بعيدة أو قريبة، وبطبيعة الحال تمنحنا الإحساس بكلّ ما يتعلّق بقاطنيها، وتخبرنا بتأثير الجغرافيّة على طرق معاشهم وعاداتهم وتأثيرها على بؤس العيش أو رغده وتأثير المناخ على طباع الإنسان وسلوكه، وعلى أوجه الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة وتباياتها حتى في البلد الواحد وصولاً إلى التّأثير على المرويّات والأساطير والفلكلور.

لقد بقيتْ آثار الرّحّالة المتقدّمين نصب أعيننا، لكن على الرّغم ممّا بلغتْ من أهمّية، إلاّ أنّها لا تمنع نزوغ الإنسان بطبيعته الرّوحيّة إلى التّرحال المتعدّد الأغراض، وإلى المغامرة، وإلى مزيد من الاكتشافات اللّامتناهية للأماكن ذاتها التي سمع عنها، وشهدتْ تغيّرات جغرافيّة وسياسيّة واجتماعيّة؛ إذ بقيت الكثير من الأسرار وعادات الشّعوب وجمال الطبيعة مخبوءة، ولم تظهر للرّحّالة السّابقين، ولم يُسلّط الضّوء عليها، ما تزال غير معروفه حتى لمواطني البلد ذاته.

بناء على ذلك فإنّ الرّحلة لا تعني السّفر فقط إلى الأقاصي البعيدة، بل هي استكشاف وسياحة في منطقة معينة واستنطاقها والبحث عن الغريب والعجيب الذي يكتنف حياة سكانها، فعلى سبيل المثال إنّنا لم نعرف الكثير عن عمّان واليمن والمغرب العربيّ والعراق والشّام الكبرى ومصر والسّودان والجزيرة العربيّة، هذه بلدان تجمعنا بها اللّغة والدّين والمصاهرة والتّاريخ المشترك والإرث التّرابطيّ، وهو الأهمّ في تاريخ الإنسانيّة.

لقد تعاقبتْ عليها ممالك ودول على مرّ الزّمن، وللأسف إنّ ما عرفناه عنها قليل جدّاً، واكتفينا بالمعلومات التي دوّنها الرّحّالة المستشرقين عنها الذين جاء بعضهم مع الحملات العسكريّة، فكانت كتاباتهم لا تخلو من العنصريّة التي جعلتْ بعض المؤرخين ينظرون إلى بعضها بعين الرّيبة والشّكّ وعدم الثّقة بها.

لقد تعلّم بعض هؤلاء الرّحّالة اللّغة العربيّة، وأشهروا إسلامهم، ومن أهمّ الرّحّالة المستشرقين الذين تركوا لنا رحلات مدوّنة مليئة بالحكايات والوقائع المليئة بالغرائب والعجائب عن الشّرق والعرب والمسلمين "جون لويس ببركهارت" الذي عُرف بعد اعتناقه للإسلام باسم "الحاجّ إبراهيم"، و"إدوارد وليم" الذي تعلّم اللّغة العربيّة، و"جورج أوغستين فالين" الذي اعتنق الإسلام، وتعلّم العربيّة، وتسمّى باسم"عبد الولي"، و"هانز هو لفريتز"، و"الفيكوت شارل دوفوكو"، و"أوجين دولاكووا"، و"موريس هوفه"، و"جيمس ريموند ولسنتد"، و"لو دوفيكو فارنيما"، وآخرون كثر غيرهم.

لا يجوز في معرضنا حديثنا هذا أن نغفل الحديث عن أهميّة الرّحلات التّبشيّريّة للمسيحيين، أو الرّحلات الدّعوية للمسلمين، أو الرّحلات الدّينيّة للشّعوب الأخرى، كذلك لا يجوز أن ننسى مساهمات مشاهير الرّحّالة العرب والمسلمين الذين شدّوا رحالهم في الاتّجاه المعاكس؛ فكانتْ رحلاتهم على درجة كبيرة من الأهمّيّة، وارتقتْ إلى مستوى الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع والفيولوجيا والأساطير، وساهمتْ في الاكتشافات العلميّة والفلكيّة والملاحيّة عند الغرب، ومن أشهر الرّحّالة المسلمين هو الرّحّالة الشّهير ابن بطوطة محمد بن عبد الله الطّنجيّ، الذي ارتبط اسمه بأذهان الكثيرين بالتّرحال والتّطواف غرباً وشرقاً، حتى أنّنا لا نستطيع الحديث عن أدب الرّحلة حتى يقفز اسم ابن بطوطة إلى أذهاننا؛ فهو من أشهر الرّحّالة على الإطلاق.

إضافة إلى الإدريسيّ أبي عبد الله بن محمد الهاشميّ القرشيّ، وابن جُبير الأندلسيّ، وأحمد بن فضلان، وأحمد بن ماجد، والمسعوديّ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ومحمد أبو القاسم بن حوقل، والحسن الوزان"ليون افريقيا".

لقد تبع خطاهم عشرات الرّحّالة، وما الأسماء التي ذكرتها أعلاه إلاّ من باب ذكر أشهر الأسماء على سبيل المثال لا الحصر، وصولاً إلى العصر الحديث حيث يشهد الأدب الرّحليّ اهتماماً واسعاً عند الرّحّالة الشّباب والقرّاء المتلقّين.

لقد زودنا الرّحّالة المسلمون المتقدّمون بمعلومات عن البلدان التي ذكرناها في الوطن العربيّ، وذلك عبر ما كتبوه في مدوّناتهم عن مشاهداتهم، وهم في طريقهم إلى الحجّ لمكّة المكرّمة، أو للإقامة فيها من أجل طلب العلم او الهجرة. ولم تكن تلك الرّحلات بغرض زيارة تلك الأقاليم لأجل الاكتشاف والكتابة عنها، إنّما كان الأمر هو بحكم المرور فيها بطبيعة الحال؛ وهذا ما يستدعي من الرّحّالة المعاصرين خوض المغامرة والاكتشاف لتلك الأقاليم بقصد الاكتشاف من جديد.

هذا ما يُحسب لسناء شعلان في رحلتيها "شواهق العشق: رحلة إلى إقليم كردستان العراق"، وفي هذه الرّحلة "تغريبة الحنّاء والخُمْرَة: رحلة في السّودان"، وهناك آخرين بعدد أصابع اليدّ الواحدة أو أقلّ.

لقد دوّنتْ رحلتيها المذكورتين للأغراض والأهداف نفسها في خوض المغامرة والكتابة عمّا هو غريب وعجيب في ثقافة الشّعوب، وتتبّع فلكلورها وعاداتها وتاريخها من حيث تطوّرها الزّمنيّ ودراسة الوقائع والأحداث.

إذا لم نفهم البلدان التي ننتمي إليها، والأقرب إلينا جغرافيّاً وثقافيّاً، لا نستطيع فهم الآخر، كما ينبغي ودراسة المقاربات والأنماط الثّقافيّة بشكلها الواضح؛ للوصول إلى التّباينات التي تشكّل الصّورة النّهائيّة عن شعب ما واستجلاء أسباب تكوينها.

مهما كانت الجهود حثيثة وروح البحث صادقة ومخلصة، لن نصل إلى الجزم القاطع بأنّنا عرفنا كلّ شيء عن أيّ شيء أو مكان أو إنسان؛ لأنّ ما يظهر للرّحّالة محكوم بزمن وجغرافيّة محدودة لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن يمسحها كاملاً، أو أن يسجّل تفاصيلها كلّها، أو أن يستقصيها، أو أن يبوّبها، كما هي موجودة في الواقع الذي ما زال التّنقيب فيه مستمراً دون هوادة في خضمّ ظهور حقائق آركلوجيّة تدحض التّصوّرات السّابقة.

إنّ ما هو مدفون من نفائس في الشّرق لم يُكتشف منه إلاّ ما نسبته ٣٠٪ وفق تقدير الأركولوجيين والآثاريين، وهناك حلقات زمنيّة مقطوعة عن الحضارات كلّها، وهي غير معروفة عندنا مثل تلك الحضارات التي ورثنا عنها العادات والتّقاليد والجذور اللّغويّة.

الرّحلات هي عينّات وإضاءاتْ تستكشف مقطعاً، أو شريحة، أو إقليماً، أو مكاناً محدوداً قد شاهده الرّحّالة في سفره وفق غرضه ومرامه. من هنا يبقى أدب الرّحلات حاجة معرفيّة إنسانيّة لا تنقطع الحاجة إليها في عالم مليء بالأسرار والغرائب والعجائب التي خلقها الله مثلما خلق أسرار الشّعوب والإنسان ووجوده وتنوّعه اللاّمحدود.

في هذه التّغريبة الرّحليّة كشفتْ سناء شعلان عن مناطق محرّمة على المرأة إنْ تتناولها، فكانتْ صادمة للمتلقّي العربيّ الذي عرف سطوحها السّاذجة دون أنْ يعرف تفاصيلها وجذورها في عادات وتقاليد شعب تربطه به روابط جغرافيّة وتاريخيّة وعقائديّة كثيرة، وما يحسب للرّحّالة هو التقاطاتها الدّقيقة لبعض القضايا الشّائكة التي تشغل مجتمعات شرق أوسطيّة وعربيّة، مثل: ختان الإناث، وطقوس الزّواج، وربط الجميل بالمقدّس والرّجوع إلى طراز الأسلاف في بعض

سلوكيّات المجتمعات، وإطلاق العنان للدّوافع الغريزيّة "الارتداد" من وجهة نظر"التّحليل النّفسيّ".

إنّنا نفهم ذلك كلّه من خلال التّاريخ والجغرافيّة التي قصدتها الرّحّالة بأسفار عديدة ممتدّة بين الأعوان ٢٠٠٥- ٢٠١١، فكانتْ نظرتها تكامليّة وواسعة الاطّلاع وواضحة للعيان دون تحيّز، محيّدة الجوانب الانفعاليّة قدر الإمكان في الحكم على ما تراه، وفي نقلها للظّواهر والسّلوكيّات والعادات للمجتمع السّودانيّ، دون تشويه، لكنّها لا تخلو من الشّحنة الانفعاليّة سعياً لترسيخ اليقين "certainy" عند القارئ بسرد غاية في الرّوعة، مع تسليط الضّوء على أدقّ التّفاصيل التي لم يسبقها أحد إليها، وإنْ سلّط الضّوء عليها من قبل، وأتتْ بما لم يأتِ به السّابقون لزيارة ذات المكان حتى من الباحثين والدّارسين للفلكلور والانثربولوجيا، وبيّنت الظّواهر الغريبة والعجيبة للعادات والتقاليد بموضوعيّة من خلال الجغرافيّة البشريّة السّودانيّة المتنوّعة والغزيرة بالخرافات والأساطير وتأثير العلاقات المتبادلة بين الإنسان وبيئته ومحيطه الجغرافيّ الأوسع "إفريقيا والعالم الإسلاميّ والعربيّ"، وعلى العلاقات الاجتماعيّة، وتشكيل المخيال الشّعبيّ النّاشئ من هذا التّنوّع في المعتقدات، واختلافها رمزيّاً وصوريّاً عند بعض الشّعوب التي تعرّفتْ عليها بوصفها مشتركات رمزيّة "صيغة الرّمز شيء ينوب عن شيء آخر.

فصورة "الغول" على سبيل المثال، يرسمها المخيال الشّعبيّ السّودانيّ "فاطنة السّمحة" ديمقراطيّة وراقية وجدليّة عكس ما هو متعارف عليه، بوصفه كائن خرافيّ شرير وممقوت عند معظم شعوب المعمورة، وهنا اختلفت العلاقة بين الخاصّيّة الرّمزيّة عند السّودانيين والمتعارف عليه في قصص وخرافات الشّعوب

الأخرى"المرموز له، كذلك أسطورة "البعاتي" هي وصف يُطلق على الذي يعود إلى الحياة من الموت، ويأكل لحوم البشر.

يؤمن بعض السّودانيين بوجود "السّحاحير"، وكذلك يؤمنون بخرافات عودة أرواح الإسلاف، كما تؤمن بها شعوب كثيرة من شعوب "الأفرو- هنديّة"، وهناك أمثلة كثيرة كانتْ غائبة عن ذهن القارئ وعن أذهان دارسي التّراث أضاءتها الرّحّالة، وأسرتنا بقصّها بأسلوب حكائيّ إلى حدّ الدّهشة؛ لاسيما أنّها أديبة تمتلك مفاتيح اللّغة، كما تمتلك شاعريّة القصّ، وهي مولعة بقصص ألف ليلة وليلة والحكي الشّهرزاديّ.

إنّ وعي الرّحّالة السّرديّ وخلقها لتكثيف حكائيّ بأسلوب تقنيّ خاصّ بها، وتصوير رحلتها تصويراً واقعيّاً بدّقة بتمّثلاتها الفعليّة والتّاريخيّة والاجتماعيّة كلّها كان من دعائم نجاحها الباهر في هذه المدوّنة الفريدة في الشّكل والمحتوى، إضافة إلى طرحها لقضايا تبدو خلافيّة وإشكاليّة بين المجتمعات والأفراد، وإزاحتها الغطاء عن التّابوات "المحرّمات" دون تردّد.

هذه مغامرة أخرى مضافة، تُحسب لها في دخولها عالم المرأة السّودانيّة تفاصيله كلّها، في حين يتعذّر على الرّحّالة الرّجل أن ينال هذه التّفاصيل كلّها، أو أن يظفر بها لاعتبارات وأسباب عديدة يطول الخوض فيها، مثل المجتمع الذّكوريّ، وقيود السّفر، وتمنّع النّساء عن البوح للغرباء والرّحّالة، وأزمة التّعبير عن الوعي عند المرأة، والمحذورات الاجتماعيّة والكهنوتيّة في عالمنا العربيّ.

من هنا تحقّق سناء شعلان ما لم يستطيع رحّالة آخر أنّ يحقّقه عن رصد الفلكلور والحياة الاجتماعيّة والثّقافة السّودانيّة التي تُعدّ منطقة التقاء الذّكورة

بالأنوثة، كما أنّها تمجّد الجمال بوصفه قيمة أخلاقيّة وروحيّة، وبالوقت ذاته ترصد منطقة المخيال الحبيس حيث مساحة الأسرار العجائبيّة والعادات والشّهوة وخبايا عوالم النّساء الخفية التي يفضحها شذى الخُمْرَة وفنون الحنّاء وخطوطها الطّلسميّة منذ عصر "الكنداكات".

من هنا أخذت الرّحّالة عنواناً لتغريبتها، وهو عنوان يحمل الإثارة والغموض، كما هي هذه الرّحلة مترعة بالإثارة وغموض الخرافات والأساطير السّودانيّة التي تكتنف واقع وحياة شعب شقيق متنوّع الأعراق والجغرافيّا التي لم يطّلع عليها القارئ العربيّ، أو حتى لم يسمع عنها.

إنّ السّودان يقع ضمن البقعة الشّرق أوسطيّة الفسيحة الضّاربة الجذور في التّاريخ حيث ظهرتْ حضارات وممالك كثيرة، وتركتْ آثاراً مهمّة، وكتب الرّحّالة القدماء عن جوانب اجتماعيّة وآثاريّة مهمّة عن السّودان.

تُعدّ الحضارة "الكوشية- المرويّة" حضارة السّودان القديم من أعرق الحضارات الإنسانيّة، ولها صلة وترابط قوي بحضارة الفراعنة المصريّة، إلاّ أنّها لم تبح بأسرارها بعد، ويأمل علماء الآثار والأركولوجيا بتواصل البحث والكشف عن كنوز هذه الحضارة العريقة، ولم تفكّ أسرارها، وبقيتْ مدفونة في الرّمال، مثلما بقيت أصول ملوكها محلّ تنازع في أصولهم، لكن ظهرتْ دراسات مؤخّراً تؤكّد أنّهم ملوك محليون.

اليوم بإمكاننا أن نشاهد أفلاماً وثائقيّة كثيرة عن الجغرافيّة الطبيعية والإحيائيّة والآثار عن بلدان المعمورة كلّها، لكن لا يمكننا بأيّ حال من

الأحوال التّعرّف على طقوس تلك البلدان وعاداتها المحذورة على البوح التّفصيليّ أو الجزئيّ أو بعناوين عريضة لا تلامس فضولنا المعرفيّ.

لقد خاضتْ سناء شعلان مغامرتها هذه بتسليط الضّوء على ممارسات إنسانيّة وطقوس دينيّة وعادات زواج وجنس حلال مقدّس، وهي تفاصيل غاية في السّريّة في مجتمعاتنا الشّرقيّة، فأخرجتها من محبسها، واستطاعتْ أن تدوّن أدقّ تفاصيلها، وهي العارفة بأنّ الإحساس بالجمال وتقديس المقدّس يفرض عليها البحث عن الجذور التي صنعتها، ليمارسها شعب أو جماعة ما لتصل بنا إلى "فكرة أفلاطون: فكرة أنّ الاهتمام الجنسيّ والإحساس بالجمال وتبجيل المقدّس ما هي إلاّ إحالات عقليّة متقاربة تتغذّى على بعضها بعضاً، وتنمو عن جذر مشترك، وإذا كان لا بدّ من وجود سايكلوجيا للجمال، فيلزم أن تندرج هذه الفكرة ضمن مقدّماتها المنطقيّة". (٢)

على القارئ أنْ يؤمن بأنّ الأدب الرّحليّ مهما كان غرضه، فهو ليس للإمتاع فقط، وليس خالي الوفاض من المعرفة المتعدّدة الأوجه والأهداف، وهذا ما يبقي المدوّنات الرّحليّة مقروءة مثلها مثل الرّوايات العظيمة والنّاجحة التي تبقى خالدة عبر الأجيال دون أن تفقد بريقها، ودون أن تتأثّر بالتّقادم.

ختاماً؛

عُرفت الدّكتورة سناء شعلان بأنّها إحدى فارسات التّجريب في السّرد العربيّ المعاصر، وأنّها معنيّة بإنتاج أشكال غير معهودة، وخاضت التّجربة بمجازفة وبروح توّاقة، وبدأب متواصل في التّجريب والتّجديد في النّصوص السّرديّة، واجتهاد مشهود لها إلى حدّ لفت نظر الدّارسين والنّقاد لسردها مبكراً

على مختلف توجهاتهم ومدارسهم النّقديّة، فاعتنوا بأعمالها القصصيّة والرّوائيّة، ومن ثّم بكتاباتها الرّحليّة التي وضعتْ اسمها في القمّة التي تتّسع للجميع.

هذا كلّه جاء نتيجة امتحانها لنفسها ولغتها وقرّائها بإيجاد أشكال مغايرة ومبتكرة متسلّحة بوعي أستاذة في الأدب العربيّ الحديث في الجامعة الأردنيّة، وكاتبة غزيرة الإنتاج تحضر بقوّة في المشهد الأدبيّ والثّقافيّ العربيّ والإنسانيّ؛ فهي ليستْ مجرّد ظاهرة، بل هي مسار متّصل في أعمالها الإبداعيّة كلّها.

كما جاء انطلاقها هذا من إيمانها العميق بأنّ عالمنا المعاصر معنيّ بتقديم الأشكال الجديدة التي تتلاءم وروح العصر والعولمة، وأنّ المعركة الحقيقيّة هي معركة الاستحواذ على تقديم الأشكال في مجتمعات واقتصاديات قائمة على الاستهلاك والتّنافس المريع.

ما تدافع الدّول إلاّ من خلال الأشكال بمجالات الحياة كلّها، بدءاً من العمارة والموضة وصولاً إلى الاختراعات العلميّة والتّكنلوجيّة الرّقميّة، وقد عمد الغرب إلى تأطير المفاهيم وإنتاج مفهوم جديد وبنى جديدة في العلوم التّطبيقيّة والعلوم النّظريّة والعلوم الإنسانيّة.

لقد كتبتْ سناء شعلان مدوّناتها الرّحليّة بشكل جديد وبأسلوب خاصّ من منطلق التّجريب والبحث عن الجديد، وهو من أولى اهتماماتها، وهو ليس مجرّد رغبة عابرة أو نزوة أو نزق تستحوذ عليها، بل هو هدف من أهدافها التي تضعها نصب عينيها عند كتابة نصوصها قاطبة.

من هنا جاء اهتمام النّقّـاد والدّارسـين بأعمالهـا؛ إذ لم تحـظَ أديبـة عربيّـة معاصرة بما حظيتْ به الدّكتورة سناء شعلان من اهتمام بحثيّ ونقـديّ بأعمالهـا الإبداعيّة التي كانتْ موضوعاً لدراسة عدد كبير من الرّسائل الجامعيـة "الماسـتر/ والدكتوراة"؛ إذ أجزم أنّ لها حصّة الأسد بين الكتّاب العرب المعاصـرين في هـذا الشّأن، وما زال هناك الكثير من الدّراسات قيد الإنجاز في حوزة طلبة الدّراسات العليا عن أعمالها في ماليزيا والهند وباكستان والجامعات العربيّة.

الإحالات:

١- الخُمْرَة: نوع من أنواع العطور المطيّبة لرائحة الجسم، والمستخدمة بشكل أساسي ومشهورة في السّودان بشكل خاص وبعض بلدان الخليج العربيّ، وهي تتكوّن من الصّندل والقرنفل والمحلب ومواد عطريّة أخرى، وهناك العديد من الأنواع التي تعتمد على نوع المواد العطريّة المستخدمة،

٢- الجمال: روجرز سكروتون: ترجمة بدر الدّين مصطفى، المركز القوميّ للتّرجمة، ط١، القاهرة، مصر، ٢٠١٤

مؤلّف الكتاب في سطور:

عبّاس داخل حسن

- قاصّ وكاتب مقال وناقد عراقيّ.
- مؤسّس ومدير مركز التّنور الثقافيّ في فنلندا.
- وُلد في العراق في عام ١٩٦٢
- مستقرّ منذ أكثر من ربع قرن في فنلندا
- عضو الاتّحاد العام للكتاب والأدباء في العراق.
- عضو النّقابة الوطنيّة للصّحفيين العراقيين.
- نشر في بداياته الإبداعيّة في مجلّة فنون العراقيّة مجموعة من المقالات النّقديّة عن المسرح، وعن بعض فناني العراق.
- نشر أولى قصصه في عام ١٩٨١ في مجلة الطّليعة الأدبيّة العراقيّة.
- نشر العديد من القصص والمقالات المتنوعّة.
- مهتمّ بالدّراسات السّرديّة والرّواية وحقوق الملكيّة الفكريّة، إضافة إلى كتابة المقالات السّياسيّة والسّاخرة.
- نشر في كثير من الصّحف والمجلّات العربيّة والعراقيّة في داخل العراق وفي المهجر مثل: جريدة العالم، والزّمان، وطريق الشّعب، والطّريق الثّقافيّ، والدّستور، وبعض الصّحف المصريّة واليمنيّة، إلى جانب النّشر في معظم المواقع الإلكترونيّة المتخصّصة والعامّة.
- عمل محرّراً في عدد من المجلّات، مثل: مجلّة "لارسا"، ومجلّة "هويّة"، ومجلّة "رواية".
- صدر له:

١. خطى فراشة: مجموعة قصص، ط١، دار الجواهريّ، بغداد، العراق، ٢٠١٥

٢. ألق الحكاية: ورقة استشرافيّة عن القصّة القصيرة جدّاً، ط١، دار سطور، بغداد، العراق، ٢٠١٥

٣. سقوط السّماء في خان الشّابندر: ط١، دار الجواهريّ، بغداد ، الغارق ٢٠١٦

٤. سقوط السّماء في خان الشّابندر: دار تكوين، ط٢، بغداد ، العراق، ٢٠١٦

٥. مزامير يوميّة يوميّة: قصص قصيرة جداً، ط٢، دار أمل، دمشق، سوريا، ٢٠١٨

٦. حوارات مع شمس الأدب العربيّ سناء شعلان، جزء ١، ط١، أمواج للنّشر والتّوزيع، عمان، ٢٠٢٠

٧. حوارات مع شمس الأدب العربيّ سناء شعلان، جزء ٢، ط١، أمواج للنّشر والتّوزيع، عمان، ٢٠٢٠

٨. الكثافة الشّعريّة وتفاصيل السّرد في أدب سناء شعلان (بنت نعيمة)، ط١، مركز التّنور الثّقافيّ (فنلندا) ومؤسسّة (إفرا) إيران، ٢٠٢٣

٩. المنجز النّقديّ عن أدب سناء شعلان بنت نعيمة في ١٢ جزء متسلسل، جمع وتصنيف وتبويب: عباس داخل حسن، ، ط١، مركز التّنور الثّقافيّ، فنلندا، ٢٠٢٣

أهمّ ما يميّز قصص سناء شعلان (بنت نعيمة) وسرديّاتها لغتها الشّاعريّة المتوقّدة والمكثّفة ذات العمق الدّلالىّ الخاصّ والنّسيج الفنّىّ الدّقيق والانبهار الفينومينولوجىّ للصّور الشّاعريّة وشجاعة البوح الأنثوىّ والتّوق الجارف الذى تارة يأتى مباشراً، وتارة أخرى يأتى عبر الرّمز المؤنس، وهى تمارس لعبة التّشكيل السّردىّ بأشكال مختلفة، وأنماط دقيقة فى الحبّكة ورسم شخصيّات قصصها، وترسم ملامحها ودواخلها وعمقها النّفسىّ من خلال التّدوير وتعدّد الأبعاد وشعرنة الوصف بكشف هادئ وموح بأدق التّفاصيل، حتى لو اخترقت التّابوات كلّها.

عبّاس داخل حسن

9 789957 545574

Sanaa Kamel Shalan

ALTNOOR
النور
Culture and Art